٢

دار سعاد الصباح

القصائد

الجزء الثانى

يناير ١٩٩٣
جميع الحقوق محفوظة ©

رقم الإيداع : ١٩٨٦/١٩٩٣
I.S.B.N. 977—5344—69—7

دار سعاد الصباح
ص.ب : ٢٧٢٨٠
الصفاة ١٣١٣٣ - الكويت
القاهرة – ص.ب : ١٣ المقطم ٢٦٧ دق
تليفون : ٣٤٩١٧٢٧
٣٤٩٧٧٧٩
٧٠٩٥٨٣
فاكس : ٧٠٩٥٦٣
٥٠٦١٠٣٠

الاشراف الفنى : حلمى التونى

ديوان
الشعر
العربي
المعاصر

الأعمال الكاملة
للشاعر
سميح القاسم

القصائد
الجزء الثاني

دار سعاد الصباح

قصائد هذا المجلد (الثاني) من الدواوين التالية:

[١] الموت الكبير

١٩٧٢ ــ دار الآداب ــ بيروت

[٢] وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم!

١٩٧٦ ــ القدس

[٣] ديوان الحماسة (الأجزاء الثلاثة)

١٩٧٨ ــ عكا

١٩٧٩ ــ عكا

١٩٨١ ــ عكا

[٤] أحبك كما يشتهي الموت

١٩٨٠ ــ عكا

[٥] الجانب المعتم من التفاحة، الجانب المضيء من القلب

١٩٨١ ــ دار الفارابي ــ بيروت

[٦] جهات الروح

١٩٨٣ ــ حيفا

* تصدر هذه الطبعة عن « دار سعاد الصباح » - القاهرة - يناير ١٩٩٣

أُعلن في الشعوب نبوَّةَ الشّهداء
أعلن في الشعوب خلافتي ..
منذا يبايعني ؟
ـ الضمائر والعواطفْ
منذا يبايعني ؟
ـ الجداول والسنابل
والنسائم والعواصف
منذا يبايعني ؟
ـ الأغاني والمراثي
والشرايين الرواعف
منذا يبايعني ؟
ـ دمٌ من جبهة التاريخ نازف
ولدان في القبر الجماعيّ الحبيبْ
ولدان من حَمَأٍ وجُلْنَارٍ
غُلامٌ للتراب
وطفلةٌ للماء
صوتي الريح

أنا الذي رددت دَينك القديم كله رددت

أنا الذي مملكتي أغلقت الدموع

أبوابَها .. وفتّحت أبوابها الدموع

مملكتي استراح موسى في حمى أسوارها

وزوّدت محمدا بالماء

وقاسمت رغيفها ، يسوع

فما الذي تأمرني يا أجمل الجياد

يا موت . يا ابن الشمس والأعياد ؟ .

مصارع الرجال

وجهي إلى كل جهات الأرض
مجللاً بالنار
وجهي إلى الأعالي
وجهي إلى الأغوار
وفي جراحي تكبر الأزهار
وصية الميلاد ملء جبهتي
ملء فمي ورئتي
فالعفو إن سال دمي .. سال على الأوتار
أبكيك ، لكن واقفا

وصامداً وزاحفا
أبكي لعل نخلة البكاء ..
أبكي من المحيط للخليج
أبكيك يا جمال
أبكيك في مصانع لم تفتتحها بعد
أبكيك في معاهد لم تفتتحها بعد
وفي صحارى فرشت رمالها يداك
سنابلاً وورد
أبكيك في الكلية الحربيه
أبكيك في القنال
أبكيك في الثالث والعشرين من يوليو
وفي الأول من أيار والخامس من أيار
أبكيك في كل التواريخ التي حزّت شراييني
وفي كل التواريخ التي تغمرني
ضوءاً وموسيقى وجلّنار
أبكيك في المنازل الشعبيه
في السد في الغيطان في المدارس الريفيّه

في العلماء السّمر في الطلاب في العمال
في الكتْب في الساحات في الأطفال
أبكيك في الغلال ، في الحدائق
أبكيك في الخنادق
أبكيك في الفؤوس والمطارق
في خوذة العامل والجندي
في كوفية الفلاح والعقال
أبكيك في قلانس الأحبار ، في عمائم الأئمه
أبكيك في الصليب ، في الهلال
أبكيك يا جمال
في دفتر النوتات ، في العازف ، في الناي وفي الموال
أبكيك يا مدرّب القراءه
أبكيك يا مدرّس النضال
أبكيك يا جمال
في لهجة العراق
في لهجة السودان
أبكيك في الأردن في ليبيا وفي لبنان

أبكي مع الوحده
أبكي بالانفصال
أبكيك في كل لغات الأرض
في مؤتمرات السلم ، عملاقا
وفي مكائد القتال
أبكيك يا جمال
في طفلة ناجيةٍ من مذبحه
دموعها تبلل الجريده
وكفّها ممدوده
لكفك البنيّة الملوّحه
من صورة في أحد المواقف المجيده .
أبكيك يا جمال
في شهقة ابن التسع والسبعين
وهو يصيح من جحيم أمسه المفقود
ومن نعيم غده الموعود
« يتّمتني يا ولدي . .
« يتّمتني يا بوي .. »

أبكيك في فظاظة الشرطيّ إذ يكتشف الهويه
في السجن ، في المنفى ، وفي الاقامة الجبريه
أبكيك إذ يغبنني في منزلي الضيوف
ويخطفون من يديْ صغيرتي
بقيّة الرغيف
ويشتمون والدي وأمّتي .. والروس
وإذ يمزّقون بالكلام والأظافر
ملامحي في الصحف اليوميه
وصورة المدعوّ عبد الناصر .
أبكيك يا جمال
في ما تبقى من تراب وطني
ومن دماء عزوتي
ومن بيوت بلدي
وهي تصيح من قرار جرحها وعارها :
« ولو . لمن تتركني يا سندي؟. »

جمال . يا جمال .

أبكيك .. لكن ، واقفا
وصامداً .. وزاحفا
أبكي من المحيط للخليج
أبكيك .. لكني تعلمت .. إلى الأبناء والأحفاد
كيف يكون الصبر والجهاد
وكيف تحمي شرف الأجيال
مصارع الرجال ..

الدم الصهيل

يا رائحاً للشام
سلّم على الحبيب
وقل له : « يا زين
أنت له الطبيب » !

يا قاصداً بغداد
سلِّم على أهلي
وقل لهم : « يا ناس
يموتُ في الذلِّ ! »

يا راحلاً لمصر
بُس لي ثرى الضريح
وارفع من الدموع
سيفاً وقوس نصر

يا مشرقي المغدور
يا مغربي الأقصى
يا ظهريَ المكسور
غُصّ الهوى .. غُصّا

رُح يا هوا مرسال
واخبط على الأبواب
وخبِّر الأحباب :
دم المغني سال !

وفي جبال الريح
جواده الأبيض

يصهل .. والدماء

صهيله الجريح !

الفصل قبل الأخير

آن للغائب أن يقرع باب البيت
للمُقعد أن ينهض
للمحروم أن يُنصف
للمتعب أن يرتاح
في ظلّك يا أُمي القديمه

آن للمقتول أن ينسى قليلاً
من تفاصيل الجريمه
فأعدّي للجواد الأبيض الماءَ

أعدّي

من زهور اللوز والرمّان

يا أُمّي .. قلاده

للجواد الأبيض الصاعدِ

من وادي الأساطير المعاده

وارتقي لي معطفي البالي

ارتقي قلبيَ ، يا أُمي

وأشلاءَ بلادي !

توجوا الموت ليقتلوه في أعالي الظهيرة

صاعد من صدأ المنفى وقضبان السجونِ
صاعد ملء الليالي الدمويه
ملء أحزان النهارات .. نداء وشظيه
صاعد .. فانتظريني !
خنجري من فضة الموت ومن عشبي وطيني
وجوادي غضب الريح
ومهمازي حنين الياسمينِ
صاعد يا حبّيَ الغالي
وعاري
وجنوني

صاعد .. فانتظريني !
بيننا بابان لغزان
فباب
زعموا مفتاحه السريّ زهره
بيننا بابان لغزان
وباب
زعموا مفتاحه إعصار ثوره
وتقدمت كثيرا
وتقهقرت كثيرا
نازفاً خلفي زماني وأناشيدي ولحمي
كلما عالجت بالزهرة باباً .. زجروني
كلما عالجت بالثورة باباً .. زجروني
وعلى بابين لغزين
مسيحاً صلبوني

(في الليالي الأخيره
واحداً واحداً يقبلون

بالسلاح الأخير
وبقايا الذخيره
في الليالي الأخيره
واحداً واحداً يسقطون
عند باب الأميره)

كنت في مولديَ العاديّ ، عادياً
وقالت لي الطفوله
انني اصبح في يوم من الأيام دكتوراً عظيما
لا .. مدرس !
لا .. مهندس !
... ربما قائد اوركسترا
ونجماً سينمائياً
وضابط
ربما أصبح ـ من يعلم ـ فلاحاً بسيطا
في الكروم الجبليه
ربما اتقن ألحان الرعاه

وجثةٌ وَنَرْدْ

كل الذي ورثتَ من أمس لِبَعدْ الغَد

أما فهمتَ بعد ؟

لا وطنٌ أنت . ولا بيت . ولا حبيبه

مجزرةٌ دهريّة تمتدّ

ورحلةٌ في الوجدْ

فابكِ على الحقيبه

إبكِ مع الحقيبه !

وانتصارات جديده
وأنا في بزّة الحب أغنّي
بمقاماتي وأوتاري القديمه
لم أعد أضمر لك
أي حقد أيها الموت !
وكل المجد لك
هوذا الموت
ولم يبق لدى ذاكرتي
مقطع من أغنيه
لم تبلله دموع اللاجئين
ودماء العائدين
هوذا الموت
وما زال مداري
مرهقا ،
والأرض لا تسمع لا تسمع صوتي
لست نجماً بارداً يا أرض
نيراني كثيره

ورمادي في الزوابع
صاعد في سلم الله ونازل
بين أحطاب البساتين وأنقاض المنازل
لست نجماً بارداً يا أرض ،
نيراني كثيره
ورمادي ،
غيمة ناشفة الضرع على سقف بلادي
ورمادي
شبح غطى زجاج الأمم المتحدة .
لم أزل أحفر في الجدران
في سرّي
وفي العالم من حولي
وفي المستقبل المشطور ليلاً ونهاراً
لم أزل أضرب في السكرة والصحو
سجلّي بقع الدمّ
أُلاقيهم على كل الميادين
وأحتجّ

لماذا تشطبون اسميَ من كل اللوائح
والذي يقتلني
يفترس الليلة انسانيتي
يمنح بأسم الله نيشان البطوله
ويسمى في الأغاني «فارس الله المكافح»
هوذا الموت
جوادي الأبيض الصاهل في كل الجهات
هوذا الموت ،
واني قادم .. فانتظريني
يا شراييني التي شدّت خلايا جسدي
شدت كوابيسي وضحكاتي
وشدّت سكرتي والوعي ،
شدت لغتي ، صوتي ، وتاريخي ،
إلى أغوار أغوار التراب
قادم من ألف باب
قادم من كل باب
قادم فانتظريني .. انتظريني .

لم أعاتب ثمري الفاسد
سخطي وعتابي
للسماد السام والطقس الرديء
قادم من جثتي المتراس والبيرق
من موتي الكبير
وعلى قمة تاريخي المضيء
بمصابيح الدماء البارده
الجواد الناصع الجامح
من أقصى الدروب الصاعده

(ثلة ثلة .. ينهضون
يا أميره
موكباً .. موكباً يزحفون
يا أميره
توجوا الموت واستقطبوه
قبل أن يقتلوه
في أعالي الظهيره)

حيث صار الموت عادة

« بعد لقاء مع الأطفال الفلسطينيين اللاجئين والأطفال الجرحى من مدرسة بحر البقر . كان لقاؤنا في بوتسدام ، وهناك تقاسمنا الدموع والحلم .. »

افتتاحية :

(أبي آدم الحزن ،
من ضلعه امتشق الحالمون
حراباً ،
ومن ضلعه امتشقوا
زهرة للفرح ..)

ويقول الشاعر والشاهد :

أضربُ بحر الدم

بعصا أحزاني السحريه
لنشق طريقاً للبوابات السريه
ولنعبر يا قوم
أحلامي شاهقة والدرب طويل
والنسل الآتي
يقفز دون مظلات ومواقع إنزال
يقفز .. من رحمٍ .. لرجوله
ويزيح عن الكتب الموروثة والسيف الموروث
أكداس رمادٍ ورمال
فهدوءاً ، أجدادي الباكين لأجلي في صمت
الباكين لأجل قناطرنا البيضاء
ولأجل سنابلنا المختنقه
تحت ضجيج الأعشاب البريه !

ويضيف القاضي والشاعر :
أضرب بعصاي السحريه
في غرف التحقيق المفتوحة للناس جميعا

لجميع الناس
من كل الأجناس
وتَرُدّ بنادقهم .. هُم ..
ويكون جواب واحد :
ماذا نفعل غير القبض على الأسرار
في أعماق الصدر لنختصر الأعمار ؟
هل نَصلح نافورة ماء
في ميدان ينتظر طقوس التدشين ؟
هل نصلح شبَّابة راعٍ
ومرشَّات لزهور الساحات ؟
أو أرجوحة طفلٍ أو عكازة شيخ ؟

ويضيف الشاهد والقاضي :
لم يجد الحقل المهمل تفسيراً للشوك !
لم تجد الجدران
تفسيراً لطلاء لم يتجدد من عشرين
لم تجد الأشجار

أيُّها الحيّ الباقي

بارك قيامتنا ، بارك وَجْدَنا المقيم كروحك

خُذ بأيدينا المشتعلة بالحياة

لنشهر ميلادنا، من مآذن القدس وجَرَسيّاتها

وفي أعالي صبانا الزاخر بك

نستعيد الذكريات على ضفاف دجلة !

(أيتها المتبدِّدة في زحام الأرض

لماذا كنتِ بعد كل هذا العدم ؟

لماذا تشكلت بعد كلّ هذا الهُلام ؟

ولماذا أفقدك ـ بعد كل هذا الفقد ؟!)

ويضيف الشاهد :

خمسة آلاف من أحبابي
عشرة آلافٍ .. عشرون
ـ لا أذكر ـ ما زالوا في طابور الحرب
لتسجَّل أسماؤهم المحذوفه
في كتب الموتى
وعلى أرصفة النكبة ينتظرون
سيارات الاسعاف الموعوده
(لا فرق .. صليب أحمر
وهلال أحمر
أو نجمة داوود الحمراء)
أحبابي قبلوا بكفافٍ يومي
لكنْ دفعوا الثمن إلى آخرهِ
دفعوا ثمناً لكفافٍ دهري
قبلوا . وانتظروا عدل وكالات الغوث
لكن السفن جرت ،
كيف تشاء الريح ..

ويضيف الشاعر والشاهد :

فقدتْ أل التعريف
قيمتها .. فقدتْ قيمتها
أل التعريف
فلتعلن موقفها الآن حروفي الشمسيه
وحروبي الشمسيه
والدبابات الطيارات الرتب الرادارات الخطب الشمسيه
موقفها .. الآن .. الآن
« الآن الآن وليس غداً
أجراس العودة فلتقرع ! »
كمثراة ذابلة وطني . قلب كاسد
ينبش في أنقاض الذكرى
في حمأ البركان الخامد
عن صور الآباء المنفيين
والأبناء المنفيين
حيث غدا النوم على حد السكين
من عادات القرن العشرين

حيث غدا الموت اللا معقول
عادة عادات الشعب المجهول
في هذا القرن .. العشرين !

تذكير آخر بالافتتاحية :
(أبي آدم الحزن ،
أعطى . وصلى . ونام
وجئت لأبصره عن كثب
لألمسه مرةً ثم أمضي
لأحضنه مرةً ثم أمضي
لأحفظه مرةً ثم أمضي
وبين ضلوعي جميع العرب)

ويضيف الشاعر والشاهد والقاضي :
من أعوام ألف
وأنا أحلم بشجيرة وردٍ .. لا غير
وقبيل الموت الأول

كان خروجي من آخر أبواب الحلم
وإذا في الحوض .. شجيرة ورد
ومددت يديَّ مددت يدي مددت يدي
وتكاثر من حولي أهلي
مدوا أيديهم مدوا أيديهم مدوا أيديهم
لكنَّ الموت اللا معقول
أصبح عادة عادات الشعب المجهول
في هذا القرن العشرين !

ويضيفون جميعاً :
بيدي هذه
بأصابع كفي هذه
سبَّلتُ جفوناً لم أبصر روعتها قبل الموت
وشددتُ زنوداً لم ألمس روعتها قبل الموت
سبَّلت جفون أحبائي
وشددتُ زنود أحبائي
بيدي هذه

بأصابع كفي هذه
(مهلاً . مهلاً . لم أكمل
مهلاً . لا تتهدَّج يا صوت !)
رقدوا حتى أنهض من موتي السّابق
وأنا أبصرهم
منتصبين وراء الأشجار الوعريه
ووراء صخور الوديان البنيّه
أبصرهم
أعينهم تلمع كمرايا سريَّه
تنقل للجيل الصاعد
من قعر الليل الراكد
أسرار الميلاد .. إشارات الميلاد !

ويضيف الشاهد والقاضي :
أعرف وطني .. من حد السكَّة للبيدر
وغداة تطول مسافات الغربه
أعرفه أكثر !

أعرف وطني
منذا يعرفه مثلي ؟
في لغتي تتبادل وديان وجبال
وجهات النظر عن الطقس القادم
في لغتي تسأل بياره
وتفكِّر أحواض وكروم
بشؤون أغانٍ ومواسم
لكنْ .. ما عادت في لغتي
أخبار الصحف السيَّاره !
أحفظ عن غيبٍ وطني
أحفظ أغنية منسيَّة
وخرائط ضاعت .. وهويَّه
ضاعت .. وحكايا شعبيه
منذا يحفظه مثلي ؟
حين رأوني أنمو في كل جهات الأرض
قالوا : نحتكم إلى التاريخ
وضحكت . بكيت .

عايشت صنوف التاريخ جميعاً
عايشت جميع صنوف التاريخ
الزائف والمدسوس
والكاسد .. لم تنفد طبعته الأولى
والمكتوب بدمع العين ودمع القلب :
قرِّي يا عيني .. مارست التاريخ
قرِّي .. أحسستُ التاريخ
يا عيني قرِّي .. أدمنتُ التاريخ
وكتبتُ بدمع العين ودمع القلب :
صنعوا من كرهي وطناً
صنعوا من موتي وطناً
وانا .. وطني ،
حبي عتْبة بيتي ، مقبض بابي ،
صورة جدي ،
واسمي المنقوش على الجذع السري ..

ويناديِ الشاعر :

ومتى ننشد للحق

إن لم ننشد ساعة ينتصر الباطل ؟

ومتى ننشد للحب

إن لم ننشد ساعة تنتصر البغضاء

ومتى ننشد للسلم ؟

إن لم ننشد في أحزان الحرب ؟

انتم . يا حراس الليل المنطفئين على الأقفال !

انتم . يا شعراء الحمّى والزقّوم !

من لا تقنعه القبلة لا يقنعه السيف

فلنعط الشفة مهمّتها

ولنعط السيف مهمته !

يا طلاب العلم من اللحد إلى اللحد

حين تغصّ منصّات العالم

بالفتنة والنار الموبوءه

تنضج فاكهة العقل الممنوعه

وتصير نبوءه

حين تذل منصّات العالم
تنضج فاكهة القلب
فليُسعفني العالم
بنشيد آخر للحُب
وأنا أقضم تفاحة موتي
وأغني .. في فرحٍ وشهيَّه !

[«الاتحاد» ـ ٢٥ أيلول ١٩٧٠]

الموت في الغربة

يمرّ القطار بركّابه المتعبين

يمرّ بأحماله المرهِقه

يمرّ

يمرّ

يمرّ

ونافذة الميّت المغلقه

تؤدي تقاريرها للستائر

ويمضي مسافر

ويأتي مسافر

وينفجر البرق بين المداخن ،
عبر النوافذ
تحت الجسور
على بصمات الأصابع ، فوق
على جثة الميّت اليابسه
وقبضتُه اليائسه
تعضّ الحديد المطعّم بالثلج
في الركن ،
ركن الزمان ،
وركن السرير ..

....

يمرّ القطار
تمرّ الجراح
تمرّ الصور
ويصهل في القرية النائيه

جواد من الياسمين
على تلّةٍ عاريه ..
وفي القرية النائيه
يمرّ سعاة البريد
تمرّ الجراح ،
تمرّ الصور ،
... وما من خبر !

لا مفر !

قال لنا :
إقرعوا بابي متى تشتهون
فأنا مستغرق في النوم
٢٥ ساعة في اليوم الواحد

....

وضحكنا حين سمعناه يقرع أبوابنا
بكلتا يديه يقرع أبوابنا
يقرع أبوابنا ويصرخ
في تمام الساعة الثالثة والعشرين
وتسع وخمسين دقيقة !

هبني قدرة الشهداء

لأني موقنٌ ألا مفرًّ من الردى العالي
لأني ناهضٌ من ساعة الصفرِ
على درج الردى المسموع
سلاماً يا أبي الغالي
سلاماً يا أبي المفجوع
أبوس يديك مغلوباً على أمري
وأبصقُ فوق جبّتك الدمقسيّه
يجرجر ذيلها الدامي
خليفتك الضعيف القلب

والعينين

والظهرِ ؟

سلاماً يا أبي الغالي

سلاماً يا أبي المفجوع

وسبحان الذي أعطاك نسلاً راسخ الإيمان

وسبحان الذي أعطى لغيري المنَّ والسلوى

وألقى من سماواتي البرونزيه

قلائد أنجمٍ ودموع

لألفِ محمَّدٍ ماضٍ وألف يسوع

وسبحان الذي احتفلوا بصورتهِ

على ورق النقود ،

على طوابع غربتي وبريد رحلتهم

على بدني إلى بدني

إلى وطني ومن وطني !

لأني موقنٌ ألا مفرَّ من الردى العالي

أُطلُّ على المشارف ضاحكاً

وأصبح موّالي :

على مالِه

أخذنا القرد يا دنيا

وراح المال يا دنيا

وظلّ القرد

ظل القرد

على حالِه ! »

أبي الغالي

تطلّعْ مرّةً أخرى

لتُبصر مرةً أخرى

وهبني قدرة الشهداء !

خديجة تنتظر حبيبها العائد بالمهر

غمستْ خديجة ساقها البيضاء ، وارتعش الغدير
وتذمَّر القصب الحزينُ ؛
وقهقهت للسنديان الكهلِ
أسراب الشحارير الخبيثه
لكن أزهار البراري لم تغادر حُلمها ..
ضحكت خديجه
ضحكت مقلِّدةً عبارته العنيدة والأخيره

« أنا لن أبيع الكرم ، مهما كان
والمهر اللعين

آتي به من آخر الدنيا ، لوالدك اللعين ! »

ضحكتْ .. وفي سفح الجبل ،
صهل الجواد الأبيض العاري
وأشهرِ في الفضاء
قمرين .. وِجهي جئتين ..
وغاب .. وارتعشت خديجه !
« يا ليل ! خبِّي بجانحك عابر سبيل
طالع من الغربه على الدرب الطويل
وان كان نجم الموت حبُّو وما ارتجع
يا ليل .. دفِّي بجانحك جرح القتيل .. »

عامانِ مرًّا .. وهو ينزف مهرها .. عرقاً ودمعا
عامان مرا .. وهو ينزف مهرها ..
وعلى الطريق ،
من آخر الدنيا ، اليها ..
آخ .. يا رشّاش قطّاع الطريق !!

الجواد الأبيض يصهل على التل

نهضتْ ريح الشمال
نهضت سيِّئة الأصلِ .. أعنِّي لنعدَّ المدفأه
وأمير الماء مزهو كديك حبشي
نازل من حضرة الله تعالى
وكأنَّ الغيم سجَّادة صوفٍ عجميه
مدَّها سبحانه في قاعة القصر الكبير
بعد أن أحكم إغلاق النوافذ ..

....

وقريباً يزهو اللوز ، وتأتي يا حبيبي
من بلاد الذل والغربةِ ..

يأتون معك

سوف يأتون معك

يا حبيبي وسنحكي

وسنبكي يا حبيبي

فاذكر الله وهالأمّ وهالارض الكريمه .

....

لحظةً .. لا تخرج الآنَ ،

فهم في الساحةِ الآنَ ،

خريفٌ وبنادق

إنهم في الساحة الآن ،

عيون تتوهج

بالسكاكين الحرائق

وجباه ، شمُّها حقل بنفسج

إنهم في الساحة الآن .. تمهل يا حبيبي

ريثما يحجبهم عنّا سياج الياسمين

ثم تمضي يا حبيبي

في أمان الله والوعر الأمين ..

لم يعد لي غيرك اليوم ، ومن عشرين عام
قتلت والدك الشهم ، وفي عز الحصيده
حيّةٌ غادرةٌ ،
كان كجذع الحور .. صلباً وجميلا

....

وأخوك النخلةُ الجسر الحصان
تعبت في حمله للبيت ،
يا ويلي .. رجال أربعه
حملوه .. حملوا فيه رصاص الجيش ، يا ويلي ،
أمام الله والناسِ ،
على الدوّار
أردوهُ قتيلا !

....

لم يعد لي غيرك اليومَ ،
فلا تقسُ عليّا
لا تكن يا ابني جواداً عربيا
كن نسيماً .. كن خيالا

ريشها تنسلّ من أقصى حواكير البلد

واذكر الله تعالى

يا ولد !

....

لم يعد لي غيرك اليومَ ،

وإن هم قتلوك !!

....

كنست أبصارهم كل الزوايا

واستدارت تركلُ الساحة أعقابُ البنادق

حربة تبرقُ ،

ها هم يطعنون

حارةَ الجامعِ ..

غاصت في السكون

آخر الأقدامِ .. أسرع

إنهم ينطفئون

أسرع الآن .. نسياً في حواكير البلد

أسرع الآن . خيالا

يا ولد !

....

«وأكد سعادة وزير الدفاع في مؤتمره الصحفي، أن الله في الأعالي والأزهار تصلح لأكثر من مهمة. وأردف أن الحرب هي الحرب. ورداً على سؤال أحد الصحفيين عما إذا كان السلام سلعة كمالية لا ينبغي استيرادها بالعملة الصعبة في هذه الظروف الأمنية الحرجة، غمس سعادته يديه الكريمتين في ماء الورد وصلى، ثم ذكر جميع أصناف الأسلحة الستراتيجية والمؤسسات الخيرية..»

....

طلقات تحت سقف اللوز ،
ركضٌ
برقةٌ
رفٌّ عصافيرٍ
وصرخه ..
برقةٌ .. رعد .. وفي أقصى الحواكير انهمر
دمه الساخن .. واشتدَّ المطر
وعلى التلِّ جوادٌ أبيضٌ ،
يصهل في الريحِ
ودوَّامات أوراق الشجر ..

المنارة

لم يكتفوا بالحزنِ ،
لم يجترحوا الموت من المراره
لم يرتدوا قوالب الرصاص
لم يغرقوا
لم يسقطوا
لم يشحدوا الخلاص
من خبرٍ تنشره الجرائد السيَّاره
فلتقفي لأجلهم دقيقة الحداد
يا كلّ جهات الأرض
لأنهم ماتوا ..
وفي جباههم ،
مناره !

طلقة واحدة !

من أين ، يا جنازة الملائكه ؟
من أين ، يا سحابةً بيضاء
على سطوح القرية البيضاء ؟
والمقبرة البيضاء ؟

وتستعيد فجأةً ،
قناطر المنزل والبوابة الشرقيه
طلاءَها الشاحبَ
والتهليلةَ المنسيّه :

وطارت الحمامة الحزينه
وعند باب القصر ،
فكّت سحرها الجنيّه
وعادت الحمامه
يا ولدي .. صبيّه
وعندما أخبرها الحرّاس
بصرع الأمير
يا ولدي .. بكت ، بكت
وصارت الصبيّة الحزينه
في الفجر .. يا سمينه »

....

لأين .. يا جنازة الملائكه ؟
لأين .. يا سحابةً بيضاء
ترتيلةُ الزنبقةِ البريّه
والبرق
والدماء ؟

وفجأةً .. تلطّخ الغناء
على أزيز طلقةٍ .. واحدةٍ وحيده
مرّت ، مع الموتِ ، بقلب العاشق الأمير
بين جذور التلّة البعيده
بين جذور الوطن المقلوع كالزيتونة القديمه
بين جذور الكرة الأرضية ..

....

جنازة الملائكه
تنزل في سحابةٍ بيضاء
على سطوح القرية البيضاء
والمقبرة البيضاء !
ودفّت الحمائم المذعوره
دفّت .. إلى كلّ جهات الأرض
وظلّ في العراء
ظلّ جواد أبيض ،
يصهل ، كالزغرودة الوحشيّه
قائمتاه رايتان في الفضاء
وعرفه .. قنطرةٌ دهريه ..

محاولة لتركيب صور قديمة ممزقة

(١)

يا قمر القمّيره
يا رافع الغيمات
على السما بنديره
يا خاطف البنات
أبوك يشكو حضرة الاستاذ
لحضرة المدير
لأن أخلاقك صارت تقلق البلد
وتجلب الشتيمه

لأمك الكريمه
وأمك الكريمه
تبكي على الحصير !

(٢)

يا قمر القمّيره
تسألني ممّن أنا زعلان
منك أنا زعلان
منك ، فقد حرمتني الرمّان
وأنت ، طول الليل ،
في حاكورة الجيران !

(٣)

يا غيم ، يا عنيد
شتِّ ، كما تريد

فبيتنا حديد
ولا نخاف بقْرة السماء
ولا سيوف الغيمة السوداء
لأننا مجتهدون طيبون

(٤)

هـ .. هـ . هأ
راحت عليكم
لم يمت جدّي ،
فجدّي نائمٌ
يسخر منكُم ..

(٥)

يمّا .. حرام
لا تذبحي زوج الحمام

لا تذبحيه
والآن يا عمّا أنام !

(٦)

ـ وتُمسك الجنّيه
بطرف البرقِ
وتهوي مَعَهُ
إلى سياج الكوخ
وكانت الصبيّه
نائمةً ،
فقصّت الجنّيه
بظفرها الفضيّ
خصلة شعر ناعم
أشقر مثل العسل الممتاز
وابتسمت في حلمها البنتُ
ودسّت جنبها الجنيّه

جوهرةً من أثمن الألماز

وعادت الجنيّه

وأمسكت بطرف البرقِ

وطارت معهُ ،

طارت إلى مملكة الغيوم ..

وقهقهت مزهوّةً

وقهقه الأمير

من فرحٍ .. وصاح بالنجوم :

« تزيّني لحفلة الزفاف ! »

وأسند الظهر إلى قنطرة القصرِ

التي في لغة الإنس اسمُها :

قوس قُزح !

حوارية السنبلة وشوكة القندول

(المشهد : حقل على الشاطىء الشرقي للبحر المتوسط)

السنبلة : لا تقتليني قبل ميعادي مع الموت الحياه

شوكة القندول : القتل بالمجّان مهنتيَ الوحيده

السنبلة : لكن زهرتك الجميله

عسلٌ ...

شوكة القندول : وشهوتيَ العنيده

دربٌ .. وموتك منتهاه

السنبلة : عيشي وموتي كيف شئتِ

ما بين زهرتك الحزينه

وظلام شهوتك اللعينه

عيشي وموتي .. واتركيني

شوكة القندول : قدرٌ علينا .. أن تعيشي كي أموت

أو أن تموتي كي أعيش

السنبلة : في الحقل متسّع لنا

شوكة القندول : يا جارتي قدرٌ علينا

(تدخل النار وينهض الرعب)

السنبلة وشوكة القندول :

لا تقتلينا

يا نار ، نحن صغيرتان وحلوتان معاً ربينا

لا تقتلينا

لا تقــ....

(يبقى الرماد ، وسنبلة وشوكة قندول على الأفق)

غـزة

الغول ، والعنقاء ، والخل الوفي
حفظتْ ملامحهم ،
وكان الموت يحفظ كل شيء
في المرفأ المأهول بالآتين من دهر قديم
بنوازع القتلى القدامى ،
بالقوارب ،
باللغات ..
وأعوذ بالله الرحيم

من شر ما خلقتْ يداه
وأعوذ بالشر الرجيم
من شر ما خلقتْ يداه
الغول ، والعنقاء ـ والدم والشِّباك
والنسل ـ والخل الوفي
من أول الدنيا ـ هناك
لآخر الدنيا ـ هناك !
وجبينها العالي ،
كصاريةٍ تعود ولا تعود
من سقف أعمدة الدخان
وأنا أخاطبها ،
وفي عنقي سلاسل موتيَ الآنيّ
أسألها ،
وسور السجن يلعق عاره : ما أنتِ ؟ من ؟
أمدينة ؟ أم موقع متقدم ،
في جبهة نقشت صدور جنودها الشجعان
كل الأسلحه

وعلى صدور جنودها الشجعان
ذلَّت .. كل .. كل الأسلحه ؟!
ما أنت ؟ من ؟
أمدينة ؟ أم مذبحه ؟!

يتفقد الأغراب من حين لحين
تفّاح جرحك .. هل سيثمر
للغزاة الفاتحين !
يتفقد الأغراب جرحك ، وهو ينزف
وهو ينزفُ في ظلال الياسمين
يتفقد الأغراب جرحكِ :
« قد تموت
في الفجر - غزة - قد تموت ! »
وتعود في الفجر الحزين
صيحات حبك والحياة
أقوى .. وأقوى !
يا صباح الخير ، أختَ الصامدين

أقوى وأعلى !

يا صباح الخير ، بنتَ المعجزات !

قدماي في الأصفاد من عشرين عام -

ويداي - من عشرين عام -

في النار يا حبي الممزَّق - آخ - من عشرين عام

والليلُ والأسلاك نافذتي اليكِ ،

ولا أزال ،

يا حبيَ المحظور ،

طفلاً لاهياً في ساحتك

وفتىً ينازل غاصبيكِ ، على تراب أزقَّتك

وأنا القتيل على الرصيف

وأنا الأشداء الوقوف

وأنا البيوت .. البرتقال ..

أنا العذاب ..

أنا الصمود ..

أنا المئات

أنا الألوف !

اليوم صار على المحبين اختيار الموت
أو أبد الفراق
اليوم عرس دمي المراق
وأنا .. وأنتِ ..
نعيش يا حبي المقاوم
أو نموت !

ريبورتاج .. عن حزيران عابر

ـ ١ ـ

بين أنقاض حزيران التقينا
أنا والموت ، تداخلنا ، اشتعلنا وأضأنا
وعلى أرصفة النكسة قابلت كثيرين ـ اعذروني
فالعدد ،
صار شيئاً ونقيضه ـ
قال لي الراوي الذي أصبح شعباً في جسد :
« بآسم مليون شريد مرة اخرى ،

ومليون ذراع في السلاسل
بآسم طفل ، مرة أخرى تيتَّم
وعجوز حرموها صفنة الذكرى ،
وتاريخ السنابل
مرة أخرى ،
ومنديل صبيه
حبها نصب على قبر مقاتل
بآسم آتي مدن صارت مخيم
.. وقرى تغرق في ماض محطم
مرة أخرى ،
.. كروم اورقت في الابديه
عبرها دبابة تعوي . وجيش يتقدم
بآسم قتلى دفنتهم
في شقوق الصخر ، في الصهد ، رياح بربريه
لا تسلني أي شيء تركوا ، أي وصيه
وعن اسم همسوه
لحظة الموت .. فاني لست أعلم .

بآسم شعب جعلوه
عبر اعوام من الحزن .. إلهاً في جهنم
بآسم شعبي .. اتكلم ! »
(وطفونا . وغرقنا
وعلى الجرح خبونا
وعلى الجرح احترقنا ..)

ـ ٢ ـ

كل زيتون الجليل
كل ازهار الجليل
وحساسين الجليل
عرفته .. وأحبته . وباست راحتيه
راعياً كان ، وفناناً أصيل
صوته ، يحفظه عن ظهر قلب
كل سفح ومطل وسبيل
صوته زفرة ناي ، وانتفاضات طبول

لم يزر معهد موسيقى .. ولكن الحقول
لم تبع للاسطوانات العجيبه
نكهة الصوت البدائي الجميل ..
راعياً كان .. وغنى
قبل أن يسقط فيها بعد . والصحف تقول :
« عثرت دورية الأمن ،
على عنصر تخريب .. قتيل »
راعياً كان .. وغنًّى قبل أن ...
(أحبائي مضوا شرقاً وغربا
وفاتوني لنار الشوق نهبا
لعودتهم نذرت فماً وقلبا
فشاخ فمي . وقلبي ذاب ذاب
كل العيون عيوني ..
سلاماً يا أحبائي سلاما
من الجرح الذي صلًّى وصاما
دمي صوت وصيحاتي خزامى
وأنتم صامتون بلا جواب

كل العيون عيوني
أعينوني على جرحي أعينوا
أهدهده ويوقظه الحنينُ
يهون الأمس لو عدتم يهون
فملء غدي الطفولة والشباب
كل العيون عيوني ..)

- ٣ -

أشعل النيران في جلبابه الصوفي ،
ألقى فوقه فضلة صبره
صار أيوباً جديدا
بلغ الكشف فعاد الدهر عن زرقة شعره .
عندما قابلته في ردهة الحزن تبسَّم
قال لي والخنجر المسموم مغروس بصدره :
« أخطأ الله كثيرا ،
ما على العبد إذا العبد تكلم .. » .

وبكى في ردهة الحزن وغنّى
للتي صارت نعيماً وجهنم :
أجسادك الكثيره
محبوكة في جسدي
ويوم صارت حولك القلوب
طبول جيش عاد بالبيارق الكسيره
تقمّصتْ تغريبتي الصخور والدوالي
وفي أتون زهرك البري
تعمدت أصابعي . وجبهتي تعمّدت
وقبل أن يلوي بك الغروب
صعدتُ بالظهيره ..
أجسادك الكثيره
محبوكة في جسدي . يا زوجتي الفقيره
لذا جرعت علقم التاريخ كله
حتى أصير عسلي
هذا الذي أورثه ذريتي .
فليُسعد الأودية الكئيبه

غموضها وفهمها
وليُسعد الجبال في صفنتها الرهيبه
أن تشرب الصوت الذي أصرخه
من قبل أن تنقله إليكِ
ليرتمي صاعقة في ملتقى يديكِ
في جسدي محبوكةٌ
أجسادك الكثيره
وها أنا أرتقب الصواعق
في الثمر الناضج مثل حبنا
وها أنا أنتظر الخوارق
في خطوتي الأولى إلى رحابك
فانتظريني .. انتظري ..
بالزاد والماء ، أمام بابك .
في جسدي أجسادك الكثيره
يا زوجتي الأسيره
وكل أسراري التي اختفت تعود
من حزننا .. تعود

من موتنا .. تعود

بياسمين حبنا تعود ..

وحيث أشتهي تدور الكرة الأرضية

تدور مثل حدقه

أستلُّها من محجرَيْ جنِّيَّه

وفي طقوس الرجم والصعود

تزدحم القامات بين حاجبيّ

ووجهك الموعود

يطل . آه وجهك المعبود ،

يطل من نقع التواريخِ ،

وقد مددتُ لاستقباله كفّيّ .

ـ ٤ ـ

خطاه قداس على الأعتاب

تهللي ايتها الارصفة الحزينه

تزيَّني ايتها الساحات والقناطر

وليخرج الحزانى
بغصن زيتون وياسمينه
خطاه قداس على الأعتاب
فانفتحي للملك المجد الذي أقبلَ ، يا أبواب
خطاه قداس ..
وفي فكّيه مزمور
عن العدوان والثمار
والموت والخلاصة :

بيدٍ أغلق أبواب جراحي
ويدي الأخرى على باب الصباحِ
نصل سفّاح على حنجرتي
وعلى وجهي تهاويل الأضاحي
قبضة الجبهة لا تمهلني
لحظة .. ما بين ذبح وانذباح
لم تزل نيرانهم مفتوحةً
ودمي ينزف فُلّاً وأقاحي

أنــا أوجـاع مــلايــين صحت

فصحت غضبــة حق مستبـــاح

من رخــام الأمس دوّى ألمي

يا سدود انتظري دَين اكتساحي

أبــذر الشمس عــلى مستقبـــلي

واشج الليل عن فضل وشاحي

فــاضربــوا أوتــادكم في وطني

انها لــعــبــة قش وريــاح

حــرّموا الــدوح عــلى بلبله

وأبيحــوا لكمــو غــير المباح

سـأكيـل الصـاع صاعـين لكم

نـاقلاً نـاريَ من ساح لسـاح

مخلب الصـقــر أنــا قلّمـتـه

أمس . فليكبر على حد سلاحي

تــتــحــدى زهــرتي دبــابــةً

فاسحقوها ، تزدهر كل بـطاحي

من محيـــطي لخليجي لم يــزل

صاعداً يكتسـح الموتَ جنـاحي

وطــني جنَّــة عــدني ، وانـــا

حــارس الجنَّــة من كف وقـاح

وأرى حـــولي رؤوســـاً اينعــت

وانــا قــاطفهــا بــأسم جـراحي

غــضبـي يحــرق مــن يـشعـله

غضبي القــادم ريحـــاً بلقـــاح

فــافهموا يــا ســادتي ، أخبـركم

اني صاح ، اعيد القول ، صاح

ألف هـــولاكـو انـــا اغـرقتهم

في دياجيري ، واطلعت صباحي

ينتهي العـــدوان غيـــاً عـــابـرا

وانـــا ابقى ، وحبي ، وكفاحي .

ـ ٥ ـ

جرعَ الكأس المهولة .. دمعاً بدماء
وأزاح رماد الأفق ، وقال :
« وطَني بطاقات البريد
وطني . وكرتات الاعاشه
وطني : ونيسان جديد
وصلت بشيرته الفراشه . »

ـ ٦ ـ

أخذَ الحكمة عن كتب الحزن ، وكان عليه
ان ينجز امراً ما ..
حدَّثني من زهرة نار في سيناء ولم يسترسل :
« ويقول المثل الموروث من جيل لجيل
السنونوَّة لا تخلق في الأرض ربيعا
ويقول المثل الموروث من جيل لجيل

كل حق خلفه طالبهُ ،
لا . لن يضيعا .. »
قلت له ،
وهو يغيب لينجز امراً ما :
(لو انني أملك ان تكون
خاتمة الآباء
وأول الابناء
يهون ما كابدته .. يهون
وملء جفنيَّ اموت .. باسما .)

- ٧ -

المارد يطلع من مارد
وملايين تنبض في الساحات
تنبض في الساحات .. تموج تغني . تبكي .
قلباً واحد
وفماً واحد :

لسنا شعب الخامس من شهر حزيران
نحن ككل شعوب الأرض
نملك ايام السنة الشمسيه
والسنة القمريه
نعرف كل فصول الحب ونعرف كل فصول البغض
نعرف حزن الجَزْرْ
ونعرف عنف المد
لسنا شعب الخامس من شهر حزيران
فليفهم مستر هولاكو
وليفهمْ مستر جنكيز خان
وليفهم كل قراصنة التاريخ
في الماضي ، والحاضر ، والمستقبل
وليفهم كل الأسياد وكل الأعوان :
أقوى من كل الجنرالات
وكل الدبابات
وكل النفاثات
وكل الغواصات

وكل الرادارات .. الخ ..

أقوى منها

كف الانسان على مقبض منجل

هذا درس الماضي والحاضر ..

فلنتعلم .. للمستقبل !

(حزيران ١٩٧٠)

طانيوس شاهين

« أول عربي نظم في التاريخ الحديث ثورة فلاحية على الاقطاع (في لبنان) » .

تجهل الكرمة ان الشاربين
دمَها ،
لم يصنعوا تاريخها .
يجهل الصفصاف ان الغارسين
افسحوا الظل لقطّاع الطريق .
تجهل الارزة ان الحاطبين
آثروا اللقمة في برد الشتاء
ولذا تنعم بالدفء أكف الآخرين ..
....

يا أسير القصر ، يا عنقود
من يخلي سبيلك
لذويك الجائعين ؟
يا ظلال الحور والصفصاف من تنتظرين ؟
زوجة العرزال شدَّت قبضتيها
وصخور الجرد لا تعرف أسرار الجنين ..
....
جدة الخضرةِ ،
يا أرزةُ . كوني
نعش أشباح القلاع
أشعلي النار على كل الجبال
واسمعي صوت مناديكِ
وهبّي يا ضياع .

« لبنان يا لبنان
ما عاد بدها صبر
شعِّل معي النيران

عيشة بشر .. او قبر . »

خنجر يبرق .. ام عينان ؟
صوت .. ام قذيفه ؟
عنَّب الثلج على صنِّينٍ ،
والأيدي الضعيفه
تقمع الأبراج كالفاصولياء ..

« لبنان يا لبنان
هالليل ذيب كبير
وشو بيعمل الانسان ؟
غابة عطفل صغير . »

وارتمى ، لا حول ، والكف تكاد
وعلى بيروت نعل أجنبي
وعلى الثلج .. أبرقوق خرافي وكرَّاز عجيبه ؟
وعلى الأرز .. صدى تنعفه الريح ، رماد .

ملاحظة من التاريخ :

يسعد القبلة يا آخذها ،
أن تُستعاد ..

مقابلة مع المدير

وضاع شهر آخر
في البحث عن عملْ
في مصنع الحزنِ
وفي دائرة الملل
وضربوا لي موعداً
لألتقي بحضرة المدير
....
كانت على المقعدِ ،
خلف مكتب المدير
طائرةٌ مقاتله
وانتهت المقابله !

الحب على الطريقة الاسرائيلية

من يشتري قصائدي
برتبةٍ في فرقة المدرّعات ؟
من يشتري ساقي التي لا تعرف التعب
بواحده
من الخشب ؟
ومن يريدُ وجهيَ الجميل
بآخر ، مُشوّه بالحقد والبارود ؟
ومن يريد غرّتي بخوذه ؟
وشفتي الطمّاعة الذكيّه
بندبةٍ تصيح :

مرت ههنا شظيّه ؟
من يشتري مغنياً بضابط ؟
لأن من أحبُّها
أردتُ أن أمنحها حبي بلا حدود
أردتُ أن أمنحها قصائدي الجديده
وطفليَ الموعود
لكنها تبحث في الخنادق البعيده
عن فارس الأحلام !

حوارية مع الوطن

ـ بِكَمْ هذه السوسنه ؟

ـ سل الميتين الصغار .

ـ من الميتون الصغار ؟

ـ سل الميتين الكبار .

ـ من الميتون الكبار ؟

ـ سل السوسنه .

ـ من الميتون ؟

ـ عريسي الذي سوف يأتي

بمهري

وخاتم عرسي .

سيد الموقف

أُخرجُ الليلة من باب العصور المظلمه
ولأني يا أعزّائي القضاه
لم أذقها ، لم أذق خمر سدوم
عندما أنظر للخلفِ ،
يصير الآخرون
وحدهم ، أعمدةَ الملحِ
ووحدي يا أعزائي
أكون
سيّد الموقف يوم المحكمه !

الاثنان الواحد

هو الأول : بابي سدَّتهُ يدٌ أُخرى

لكنَّ يديَّ على المقبض

أسقطُ كي أنهض ثانيةً

أسقط ثانيةً .. كي أنهض

كورس : شكراً أيتها البشريه !

هو الثاني : من أين بدأتُم يا أهلي ؟

يا أهلي من أين بدأتُم ؟

ما زال مكانٌ في ظلّي

لو جئتُم !

كورس : شكراً أيتها البشريه !

هو الاول : وجهي مذبحةٌ

ولساني شك

وذراعاي قضيه

كورس : شكراً أيتها البشريه ..

هو الثاني : تجدون سنابل في ظلّي

ما زالت تكبر في ظلّي

لو جئتُم

تجدون جداراً في ظلّي

ما زال جداراً .. يا أهلي

كورس : شكراً .. شكراً أيتها البشريه !

هو الاول : موتي عادي

وكبيرٌ موتي

أيتها البشريه

كورس : شكراً

هو الثاني : قتلاي جسور المستقبل

وخيامي معطف هذا الطقس

يا أهلي في الوطن الأول
لا تنسوا أمس
كورس : إنسي أيتها البشريه !
هما والكورس: لأبي تابوت من طمي الوديان
لأبي نايٌ مكسور
لكنّ القصب كثير
ودموعك يا أمي لو لمست هذا التابوت
لامتدَّت في وطني الأغصان
وامتدت .. وامتدت ..

اطفال رفح

(١)

للذي يحفر في جرح الملايين طريقه

للذي تسحق دباباته ورد الحديقه

للذي يكسر في الليل شبابيك المنازل

للذي يشعل بستاناً ومستشفى ومتحف

ويغني للحريقه

للذي ينحلّ في خطوته شعر الثواكل

ودوال تتقصف

للذي يعدم في الميدان دوريَّ الفرح

للذي تقصف طياراته حلم الطفوله
للذي يكسر أقواس قزح
يعلن الليلة أطفال الجذور المستحيله
يعلن الليلة أطفال رفح :
نحن لم ننسج غطاء من جديله
نحن لم نبصق على وجه قتيله
(بعد أن ننزع أسنان الذهب)
فلماذا تأخذ الحلوى ،
وتعطينا القنابل ؟
ولماذا تحمل اليتم لأطفال العرب ؟
ألف شكر ،
بلغ الحزن بنا سنَّ الرجوله
وعلينا أن نقاتل .

(٢)

كانت الشمس على سنجة فاتح
جثة عارية ممتهنه
تنزف الصمت على حقد المسابح

ووجوه حولها محتقنه

صاح محتلّ خرافيٌّ الملامح :

« لن تبوحوا .. ؟

حسناً .. حظر تجول ،

منذ سا .. »

وانشقَّ عن صوت علاء الدين

ميلاد الحساسين الجوارح

ـ أنا ألقيتُ على سيارة الجيش الحجاره

أنا وزعت المناشير ،

وأعطيت الإشاره

أنا طرزت الشعار

ناقلًا كرسيَّ ..

من حي .. لبيت .. لجدار

أنا جمَّعت الصغار

وحلفنا باغتراب اللاجئين

أن نكافح ،

طالما تلمع في شارعنا سنجة فاتح

(لم يزد عمر علاء الدين ،
عن عشر سنين ..)

(٣)

شجر الفتنة مكسورٌ ،
وأبواب رفح
خُتمت بالحزن
أو بالشمع
أو حظر التجوُّل ..
وعليها كان ان تنقل خبزاً وضمادا
لجريح ، بعد نصف الليل عادا
وعليها كان ان تقطع شارع
رصدته أعين الأغراب
والريح ،
وفوهات المدافع ..
شجر الفتنة مكسور ،
وكالجرح انفتح
باب بيت في رفح

قفزة .. في حضن فلَّه
قفزة .. واحتضنتها
في رصيف الرعب نخله
حاذري في كل نقله
قفزةٌ ،
دوريةٌ ،
أنوار كشاف ،
وسعله
- من تكونين ؟
- قفي
خمس بنادق
جحظت من حولها ، خمس بنادق
وغداة انعقدت بأسم الغزاة المحكمه
حضروا بالمجرمه .
(آمنه ،
طفلة في الثامنه)

(٤)

بأسم أمن الفاتحين
ألقوا القبض عليه من شهور
بأسم امن الفاتحين
لم يزل زوجك مجهول الاقامه
لم يزل زوجك .. ميتاً او سجين
من شهور ، بأسم امن الفاتحين
فاعجني دمعاً وصلصالا ،
إذا عز الطحين
واطبخي حزناً وصباراً وطين
بأسم امن الفاتحين

هيهْ يا زوجة مجهول الاقامه
ما الذي تنتظرين ؟
صلوات العَوْد للمنزل في باص السلامه
نفدت .. ماذا ترى تنتظرين ؟
نفدت من كل دين .

أوصت الجارة خيرا ،
بأبن مجهول الاقامه
واشترت تذكرة حمراء ،
من سوق الغضب
واستعاضت عن قطار في محطات السلامه
بقطار ،
صاعد عبر محطات اللهب

ساعةٌ مرت ،
ومرت ساعة اخرى
وساعة ،
قبل ان ترجعَ ،
في حمالة مصبوغة بالدم ،
حناء الشجاعه

....

قُضيَ الأمر
فهل تملك أهلاً آخرين

في خيام اللاجئين
يا آبن مجهول الاقامه
وآبن من ملّت محطات السلامه ؟
ـ قُضيَ الأمرُ ؟
وكالوحش الجريح
حملت أطرافه هبّة ريح
في يد ، دميته ـ كان اشتراها
منذ أعوام من القدس ، أبوه
وهو في الدرب إلى الشام ،
وفي عمان لاقاه صديق تونسي
زار بيروت ،
وأمضى عطلة في القاهره ـ
في يد دميته ـ كان اشتراها مذ ..
وفي الاخرى دواة ـ صنعت في مصر ـ
كالوحش الجريح
حملت أطرافه هبة ريح
وعلى منعطف الشارع ،

في أقصى المدينه
كان اطفال التواريخ الحزينه
يجمعون الكتب والأخشاب واليتمَ ،
البراويز ، واوتاد الخيام
علها تصبح متراسا ،
يسد الدَّرب في وجه الظلام
علها تقلق افواج الضغينه
ريثما يغسل عينيه السلام
من غبار الحقد والحرب الهجينه
ومع الكتْب ، مع الأخشاب واليتم
البراويزْ واوتاد الخيام ،
أعطت المتراس صمتاً عصبيا .. دميته
واستعدت بدواة قبضته
وغداة انغلقت ابواب أمن الفاتحين
كان في المعتقلين
ابن مجهول الاقامه
(حاشيه :
عمره تسع سنين ..)

الزبانية والسفير الساذج

وحين صار ثملاً للرمق الأخير
خطفتُ بدلة الوزير
لمَّعت في ياقتها حذائي
لمَّعتهُ بالياقة الحرير
وفي المساء .. رحت في المساءِ
إلى المكاتب التي أفردها الوزير
عشاً حكومياً لكي تقطنه خليلته
وعندما شارفتها
وفوق جسمي بدلته

لم ترتبك حبيبته
واستسلمت ثانية لبدلة الوزير
وبعد ان وجدتها تركتها
فانفجرت ضاحكة خليلتي :
مولاي - يا مولاي -
كان عاشقاً مخنثاً
لكنه ضاجع بالحقيبة السوداء
والمنصب الخطير
أجمل من في هذه المدينة العمياء
من أجمل النساء
وحين صرت ثملا
للرمق الأخير
قتلته .. عاشقها المخنث الوزير
قتلته .. للرمق الأخير
وبعدها ،
حتى تتاح فرصة اكبر للقاء
عينت زوجها سفير

وكان أن سمعتُهُ ، وهو يقول دامع العينين ،
في الميناء
سمعته يقول ،
من قرارة النخاع :
يا وطني الوداع ..

.. واريد

وأريد امرأةً
تغفر أخطائي الكثيره
ثم تنساني
إذا غبتُ قليلا
ثم تهواني
إذا عُدتُ قليلا
وتغنّي لي وتبكي
وأنا ألفظ أنفاسي الأخيره ..

للذي يطلب حبيبي

وجه حبيبي ،
مرسوم بالدم
وبماء الورد ... على رئتي مرسوم
وآسمُ حبيبي ،
في قلبي المختوم
بالشجر الكهل وأعشاب الذكرى
يا من تطلب وجه حبيبي
ويداك على مقبض خنجر
يا من تلهث خلف اسم حبيبي

وجبينك يرزح بالشوك
أغمد خنجرك الأسود في رئتيّ
وأغرز أشواكك في قلبي
يصرخ وجه حبيبي
وآسمُ حبيبي
.. من صدرٍ آخر!

أحلام تطردها وكالة الأنباء

لو أنني أملك أن أمارس الأحلام
ذقني على ظاهر كفيَّ
على سفوح ركبتيّ
في غرفةٍ وديعة الاضاءه
بدون أن تقذفني وكالة الأنباء
إلى خطوط النار .. في مصر وفي فيتنام
« لو أنني » ..
أحلم بالنوم على ساعدها أعوام
أحلم بالصِّغار في منزلنا ،

من كلٍّ أرضٍ شجره
من كلٍّ فرعٍ ثمره ..

« لو أنني .. »
أحلم بالبوارج الحربيه
مراكباً للصيد في عرض البحار السبعه
ومرصداً لروعة المجاهل المائيه
أحلم بالمدافع
أنبوب ريٍّ ،
يحمل النسرين والأطفال والقمح إلى الصحارى
أحلم بالقاذفة المقاتله
مقصورةً للنوم
تجتذب السيَّاح والتلامذه
إلى بلاد الغيم
لو أنني أملك أن أواصل الأحلام
أحلم بالصاروخ تمثالاً خرافياً
على مداخل الحدائق الشعبيه

أحلم بالقذيفه ،
في الركن .. مزهريه ..
أحلم بالألغام
قواعد الجرار في المنازل الريفيه
أحلم بالقنابل الخفيفه
من قبل أن تقطنها المنيَّه
منافض السجائر الظريفه
في غرفٍ ساذجة الألوان بوهيميه .
لو أنني أملك أن أصدق الأحلام
بدون أن تقذفني وكالة الأنباء
إلى خطوط النار
في العالم الصاعد والمنهار
أحلم بالانسان
مهرجاً يُضحك قلب الأرض
وعاشقاً يملك قلب الأرض !

وقريباً ..

وقريباً .. تسقط الحية عن ظهر الفرس
وتصير المبهمات
خبراً في صحف الأمسِ
وفي كل اللغات
يبدع الكتّاب أبحاثاً
عن الفيتامين والورد ،
.. ويرتاح الحرس !

وقريباً .. تُفحم الحجةُ حجه

تكسد الأوراق في البورصةِ
والمستثمرون
يركلون الصحْف في حقدٍ ،
ويرغي الدائنون ..
وتغني زُمر الأطفال في شارع بهجه :
« أسدُ البورصة .. نعجه ! »

وقريباً .. يا عزيزي الجنرال
هذه البزة تغدو
مزقاً تحسن تلميع النعال !

وقريباً يا صبيه ،
تصبح النزهة شيئاً ممكنا
دون ان يوقفنا عشرون شرطياً ،
لكي نُبرز عشرين هويه !

وقريباً .. يا رفاقي الشعراء

يهدأ الريش ويرتاح الجناح
وقريباً ، نجد الوقت ، لنلهو
بعناقيد الندى الناضج في كرم الصباح
وقريباً .. يا رفاقي الشعراء
نجد الوقت ، لتعميد الأغاني
في نوافير المساء ..
وسنبكي .. في ممرات الحدائق !

قصيدة قديمة

أنتقي من سوسن الحقل وشاحاً لحبيبي
غير أن الحقل مزروع بألغامٍ جديده !
أنتقي من قصب الوديان ، ناياً لحبيبي
غير أن الجُند في الوديان
يجرون تمارين جديده !

أنتقي من كرمنا أجمل عنقودٍ
لأهديه حبيبي

غير أن الكرم .. يا عيني ..

أحاطوه بأسلاك جديده !

....

يا حبيبي .. أطفىء القنديل ،

موتي .. مدّدوه ،

فترة أخرى .. جديده !

ابن نايوبي الأخير

«..وحين سمعت نايوبي، ملكة طيبة، بصرع أبنائها السبعة وبناتها السبع انتحبت وأغربت في النحيب، حتى رثى لحالها زفس كبير الآلهة وجعلها تمثالاً من الصخر، تسح من عينيه الدموع..» ويواصل شاعر الربابة هذه الحكاية فيروي أن ابن نايوبي السابع كان قد جرح ولم يمت. وحين استعاد عافيته نذر نفسه للكفاح ضد الغزاة المعتدين حتى ترضى عنه الآلهة جميعاً، وتعود الحياة إلى أمه وتجف دموعها إلى الأبد..

سقطتْ كل الأسانيد التي تزعم موتي
والذين احترفوا القول بأن الموت أجدى
عندما فاجأتهم في اللحظات اليائسه
هرعوا في عريهم ،
صوب نتوء البحر أو صوب نتوء اليابسه
ووحيداً تركوني

وجريحاً تركوني
نازفاً في عقر بيتي !

سقطت كل الأسانيد التي تزعم موتي
وأنا ألغيتُ ، ألغيتُ السفر
من مدارات الدم الساطع في ليل بلادي
وعلى أحداق أحبابي النيام
أدمع من شرفة الموت تنادي !

سقطت كل الأسانيد القديمه
والأسانيد الجديده
والتي يُضمرها مستقبل الرقص على أنقاض أهلي ،
فارحلي مركبة الموت بأحبابي النيام
لم يزل جفني كحد السيف مسلولاً ،
وفي قبضة تاريخي اللجام !
اقلعي عني .. فهل تنتظرين
غير هذا الدمّ .. إكليلاً لأحبابي النيام ؟

أقلعي مركبة الموت ، فما زلتُ فتيا ،
وجميلاً .. وقويا !
وإذا استنزفني الحزن ، ولبيتُ جبالي
صاعداً من أسفل الوادي ،
وقد صارت شراييني حِبالي ،
ستعودين ، تعودين ، وألقاك باكليل جديد
يوم يستقطبنا الموتُ ،
أنا الباقي .. وأمي الملكه !

كان أن المطر الطيّب لم ينفذ إلينا
من سحابات الدخانِ العاقرِ
فعطشنا ذات عامٍ .. وبكينا
لنهارٍ ماطرٍ
وأكلنا طيلة الأعياد ، من خبز المآتم ..
كان أن الخبز لم يكفِ .. فماتوا وبكينا
غير أنّا ما انتهينا ،
ونهضنا لنقاوم !

ويكون المطر القادم .. خيراً
ذات عام
يغسل الدمع ، ويمحو عن تضاريسي البعيده
لعنة الظل الذي ضخم أبعاد الجسد
وأكاذيب الجريده !

عرفوا أني شربتُ البحر من قبل قرون
ولهذا ، لا أزال
ظامئاً منذ قرون
ولهذا .. أبداً يجتنبون
ساحة الحرب السجال ،
ولهذا ، فأنا أبصرهم ينتحرون
عندما ينتصرون !
يوم شجوا باب طيبه
عمرتْ قلبي قلوب الآلهه
وعلى أهداب أحبابي النيام
والشفاه الواهه

فتحتْ لي بابها السرّي طيبه
فلتقمْ قائمة الريح الغريبه
ولتمارس موتها الريح الغريبه
موتها القادم من تمثال أمي
عندما يغرزُ وردَ الدمع ،
في عروة لحمي !

شرفةٌ جرحي ..
وما زال جوادي ،
صاهلاً في ظلها القاتمِ ، ما زال ،
وسيفي وتواريخي وأطلالي ، تنادي
يا أحبائي الذين انتثروا
كالنرد من كف مُقامرْ
أقبِلوا ..
كل زمانٍ وله رمحٌ نبيٌّ
وانهضوا ..
كل زمانٍ وله سيفُ مغامر

يا أحبائي .. وتبقى المسأله
أن تكونوا مرةً .. أو لا تكونوا !
شرفة جرحي ،
وأسراري تنادي
من نهايات منافيَّ ، ومن بدءِ بلادي :
رفع الموتُ ذراعيه بباب المعجزه
ووراء المعجزه
تكثر الأسماء .. لكن المسمى
وطنٌ !
يغمره الظل الذي ضخَّم أبعاد الجسد
وأساطير الجريده !
ها أنا أختمُ أيام الإجازه
بعد آلام رحيلي الخارجيّ
ورحيلي الداخليّ ..
رقدتْ خلفي المفازه ،
نازلتني ، وتغلبتُ عليها
عارياً .. إلا من الميراث والدمِّ .. تغلبتُ عليها

فاشهدوني صاعداً .. منها اليها !

لم أمُت ..
أنباؤهم كاذبةٌ ،
كنتُ جريحاً ،
وشراييني إلى الأشجار والطين انتمتْ
لم أمُت .. كنت جريحاً
وجراحي التأمتْ !

يا أحبائي ،
أنا سيف الخفاره
وأنا صوتُ الخفاره
فاسمعوني .. وافهموني ..
نظرة للخلف .. يا أهلي ،
ولا شيء سوى أعمدة الملح ،
وقنديل الحضاره ،
وابن نايوبي الذي استعصى على الموتِ

أنا الناذر والمنذور والنذرُ ،
لترضى الآلهه
ولترضى زُرقة الموتِ على افواه اهلي الوالهه
ويكف الدمع عن اهداب امي الملكه
بعد ان أسقطَ عنها ،
قشرة الصخر وليل الكارثه !

تذكرة سفر
الى الالزاس ولواء اسكندرون

أيها الموكب المنتمي للدروب الخفيضه
ظالعاً .. ظالعاً .. في زوايا السماء العريضه
قف قليلا
تحت شباك أُم القتيل المريضه
واحمل السرَّ من بيتها .. والقتيلا

أيها الموكب المنتمي للصليب
صارت الجلجله
قلعتي في بلاد الحبيب
فاحمل الميِّتَ المنتظَر
للذَّرى المنتظَر

وانطلقْ خلف دمعي وخلف اللظى والرماد
واخترق نكبتي العابره
نحو بيّارةٍ علّقتها الرياح
بين بين
نحو دربٍ قديمٍ وبابٍ قديم
نحو صفصافةٍ صابره
عند عين ..

أيها الموكب المنتمي دائماً دائما
لحظةً .. وانطلِقْ
لحظةً .. واخترقْ
ولتكن جثتي رايتك
والكفن ،
حفنةً من تراب الوطن
ولتكن مهنةُ الموت في اللحظة الحاسمه
قوس نصر القتيل
ولتكن .. روحه القادمه !

مــارش

ضائعاً كنتَ يا أبي
مُهْمَلًا .. أنت والرمال
قيل : « من أهل يعربِ »
فاختفى حولك الرجال

....

انهض اليوم يا ابي
تنهض البيد بالغلال
ها همو أهل يعربِ
ألفُ مدّ من الرجال .

إلقاء القبض

داهموا المنزل ،
في منتصف الليل
وماتوا
بعد وضع القيد في زنديّ
ماتوا ..
للأبد .

سكتش

وعندما تُصيبُني سخريتي بالقُرحه
سيمنحون زوجتي الطبّاخة الذكيّه
جائزةً مسيلة اللعاب
« نوبل .. للآداب »
....
وعند حفّار القبور أترك البقيّه !

حلم عبد الناصر

ما طرحتْ زيتونة الذاكره
ثمارها ، إلا وراء الرحيل
يا موت !
فافتح شرفة الآخره
وماشياً ،
أخترقُ المستحيل !

القلب المشطور

نصف قلبي
مع الذين
منحوا الضوء سيفَهُ
واعذروه على الأنين
مزّق الوحش نصفهُ ..

حين بكت طفلة سمراء

الأعمدة تميل

والثمار تحترق

والنظر الثاقب

تثقبه الأناشيد الحماسيه

من البؤبؤ - إلى الشبكه -

إلى الجواد الأول - والمئذنة الأولى !

....

سألتْ طفلةٌ سمراء

أباها الذي نسي لونه

وأذن لنفسه شاعر حكيم وغير متواضع بأن يجيبها :

« نحن يا ابنتي ،

في فصل ألف وتسعمئة ونكسةٍ وستين »

وحين بكت ،

تنفّس الصعداء

وهدرتْ صرخته

هدرت ..

نهراً من الحجارة

السوداء

والحمراء

والخضراء

والبيضاء :

من منك يعرفني ؟

من منكم يرى ويسمع ويحبّ ؟

ليعطيني يده الأخرى

لنصنع جسراً آخر ؟!

الهدوء الذي لا يسبق العاصفة

(١)

كانت الطعنةُ الضحكةُ الساخره
أولاً ،
ثم كان السفر
من بروج العشيقات والخبز والملح والامهات
ثم كان البكاء
في ضباب المحطات والذكريات

(٢)

كان لا بدّ أن أفحص الخارطة
قبل أن أستقلّ القطار الجديد

من رصيف ١٤

(يا أبي كيف أقبلت . كيف؟
فجأة ميجنا
فجأة منجل
فجأة سكة في عظامي ولحم التراب
آخ . لا تفرد الصرة الخارطة
يا أبي . آخ . لا .
برتقال وخبز ودمع وصيف)

وصفير القطار الجديد

من رصيف ١٤ ..

(٣)

لعنة الله يا برد هذا الشمال البعيد
لعنة الله . لا بد أن أشتري معطفاً
- سيدي . أعطني معطفاً
- أيها السائح الأجنبي
هل قرأت الجريدة ؟..
إن حرباً جديدة ..

(كان لا بد أن أنزوي
في المراحيض حتى أناديك يا فاطمة
إنهضي والبسي معطفي
قبل أن تختفي
عن عيون الجنود الغزاة)

(٤)

رحب السيد السكرتير
بقدومي .. وقال :
إذهبي يا ابنتي
قدِّمي باقة الورد للشاعر الطيبِ
إذهبي !

(صفقوا واشربوا يا رفاق
واعذروني اعذروني لأني أخاف الزهور
بعد نخبي الأخير
أبعدوا يا رفاقي الزهور
ما أنا شاهدة
فوق بعض القبور ..)

(٥)

هيئي وجبتي يا مضيفة
من حنيني الى الأرض ، من عبء شوقي تكاد

تسقط الطائرة
هيئي وجبتي . وافتحي الباب ، من بعد إذنك
انني نازلٌ في سماء القطيفة
نازلٌ . فأسلمي . واسلموا أيها السادة الطيبون
ـ هل ترى نلتقي أيها الثائر الاسيويّ ؟
ـ نلتقي ؟ ربّما
خلف دور الحكومات والمصنع العسكريّ

(٦)

مرّةً .. لا مكان
في جميع الفنادق
ومراراً أكون الغريب الوحيد
في جميع الفنادق ....

(موسكو ٧١)

حتى إشعار آخر

واشتقت يا أمي إليك ، اشتقت يا أمي كثيرا
لا غير صندوق البريد
يهب اليتامى التائهين وراء آلاف الحدود
تهليلة أو حبل سرّه
وعليك يا أمي السلام
وفي الحضارات التي قتلت أبي كل المسره !
لا غير صندوق البريد
علقت منديلي عليه (شراع ملاح عنيد)
علقت منديلي المبلل بالدموع عليه . صارت لي سفينة

لكنني قرصان حبي - آخ . أرتكب الحنين الى ملاذك

كالجريمه

وجنودهم وجنودنا وجنود *U.N*

جاهزون لقتل قبّرة يتيمه ..

في آخر الأيام ، صندوق البريد

بابي اليك ،

وبيننا

في آخر الدنيا

الأساطير الدساتير الأساطيل الوزارات الاذاعات السجون

وتقول آلاف الملفات الحزينه

كالمومياء اللغز، في الهرم الجديد، مقر: *U.N*

هللي وتهللي يا أيها الأمم الحزينة

وتقول :

يصبح كل شيء جائزاً في الشرق

إلا أن تكوني أو أكون .

(العابرون يقهقهون لأن منديلي الشراع

نامت عليه الريح كالقط السعيد

ويظل صندوق البريد سفينتي
لكنها لا تستعيد ولا تعيد ..)

غريب كصقر قريش
كنخلة صقر قريش

واشتقت يا أمي اليك . اشتقت يا أمي كثيرا
لكنني ، والحمد لله الرحيم
في صحة لا يستهان بها ، لأن الذاكره
٦ على ٦ ،
وزرقاء اليمامة ،
في الأنف .. لا في القلب .. لا ، في الاذن ،
أو ، في معطف أرسلته للمغسله
لا تقلقي ، بصري حديد (تلك تلك المعضله)
نبضي دبابيس ونمل . كيف بلعام العجوز ؟
هل عاد ؟
أم نطقت حمارته الذكية بالنبوءه
واستغنت السلطات عنه ، وأودعته السجن ؟

(بلعام التعيس
يخشى وجوه محققي البوليس
يخشى المحكمة
ومراسلي الصحف اللميظة
والفضوليين
واللغة الفصيحة
ويظن وقع خطاه في الدنيا فضيحة !)

أمس انتقلت لفندق قرب المحطه
لكن افعى الحلم لم تيأس ، وعادت رافقتْني
حملت حقائبها ، وعادت رافقتني

(تحت الوساده ، دائماً أفعى الرؤى تحت الوسادة
وصرير أسناني، وسمّ الحلم ، عاده)

ورأيتهم !
يتوقفون أمام باب الموت .
يبتسمون
تنطلق الاشاره
من منزل هدمته أيدي الله والأمم الحديثة والحضاره

يتنفسون هنيهة ،
يتقدمون .... ويسقطون ،
وتدف في ذعر عصافير المغاره
ويوزع الضباط للقتلى الشتائم
ويوزعون على الجنود الصيد
.... أوسمة الجداره !
ورأيتهم في ظل قنطرة غريقه
في ليلة أخرى . وكانوا يحملون على الأكف قلوبهم
(كانت مصابيح الطريق الى الحقيقه)
ولعلهم طرحوا السلام
أخذوا معاطفهم
بكوا وتبسموا وتعانقوا بالباب
وانغرزوا خناجر في الظلام
ولعلهم أوصوا بزوجات وأطفال نيام
قبل ارتعاش شجيرة العنب المريضة في الحديقه
قبل السقوط مضرجين بحزنهم
لكنهم

لم يسمعوا رد السلام
قبل السقوط بلا وثيقه
وبلا كلام ..
والضابط المغرور
يقلب بالحذاء العسكري
جثثي ،
وتطلب طفلته
مني الطوابع (لم اجرب يا ابنتي هذي الهواية
عفواً ، ولكني ، إذا يوماً ....)
وتبسم ،
وهي طيبة وساذجة ، كأختي .

أمي الحبيبه
سيكون شيئاً جيداً
أن تفتحي الشباك من حين لحين
أخشى على كتبي القديمه
سطوة العث اللعين ..

في آخر الأسبوع شاهدنا مباراة التزلج فوق سطح الماء ،
في البحر القريب
ورأيت مار بطرس ،
وسألته : ماذا ستفعل ؟
قال أمشي فوق هذا الماء ، أمشي كالمسيح !
وصفق المتفرجون ..
لكنه أهوى بجثته الثقيلة في رماد البحر
وانفجر الجميع مقهقهين .
وذكرت منديلي وصندوق البريد
ذكرت يا أمي سفينتيَ التي لا تستعيد ولا تعيد
وبكيت من شوقي اليك ..

غريب كصقر قريش
كنخلة صقر قريش
ولكنني لست صقراً
وأهلي ليسوا قريش !

بالله ، كيف الحال يا يمه على عمي أمين ؟
ما زلت أذكر حين صادرت « الوكاله »
بستانه الشرقي ،

أذكر كيف دار على البيوت
يبكي ويضحك ، وهو يقرأ في الرسالة :
« السيد الـ ...
بستانك الشرقي ملك الدولة ،
الأوراق جاهزة ، تفضل كي توقعها ،
نقودك أصبحت في البنك ، فرع الـ...
أنت تعلم أن سعر الأرض لا ...
والحرب باهظة ... وإلا ! .. »
لومتَّ يا عمي امين !
لو مت يا عمي ولم تجرع قرار الكأس قطراناً وزقوماً وطين .
بستانك الشرقي أعتق خمرة (والله يشهد)
لكنها ملأت كؤوس الآخرين
لو مت يا عمي الحزين !

قلبي دليلي
وأخاف يا أمي مكائدهم ، وآفات الفصولِ
وأخاف ثوار المقاعد والجرائد والمقاهي

وأخاف سور الدار ـ بواباته خشبية منخوبة الارتاج
والأقفال شمع أحمر ـ والحارس المشبوه منقطع بعيد
« أبيقور » نصَّبه وزيرَ دفاعنا والقائد العام الوحيد
ووكالة الأنباء تصرخ (ثم تنعب من جديد) .
قلبي دليلي
وأخاف يا أمي البيان المشترك
وأخاف أولاد الحرام
أخاف محترفي النظام
أقراص منع الحب والتفكير ، لا أقراص منع الحمل
غايتهم ... هنا وضعوا الشرك
وهنا يجابهني دمي ،
وهنا أجابه مستحيلي
وأخاف يا أمي ، فعفوك أرسلي لي
حبات زيتون قبيل سقوط زيتون الجليل
وأرسلي لي
تفاحتين وبرتقاله
وأريد ـ للذكرى ـ كلبشتيَ الجميله

تلك التي صنعت تناسب معصميَّ من الطفوله
ونمتْ معي عشرين عام
ونمت معي حتى الكهوله
(من مادة التوراة : في البدء الظلام) ..

يمه الحبيبه
سأبيع بعد غد قليلا من ثيابي
وأبيع بعض دمي (بنوك الدم أقرب من شبابي)
وسأرسل المال القليل اليك ، من ثمن اغترابي
ولأنني جوعان ، بيعي
بر واز صورة والدي
وصوانك الأثري
بيعي فرشتي وقصائدي
ولترسلي بعض النقود .. مع البريد العائدِ
جوعان . يا أمي . أنا . والجوع يعرف سر جوعي
بيعي عظام أبيك .. بيعي !

الطقس أجمل ما يكون .
لو أن تانيوشكا معي
والبنت تانيوشكا تحب سفينة حمراء
في بحر صغير ، فوقه قوس القزح
وأنا سأهديها قبيل الموت في منفاي ، سلة فاكهه
وتكون فيها صورتي (كسفينة حمراء
في بحر صغير ، فوقه قوس القزح)
والبنت تانيوشكا ستهديني الفرح
يوماً قبيل الموت في منفاي
أو يوماً قبيل عناقنا (نحن الثلاثه) .
الطقس أجمل ما يكون
خريف هذي القارة الذهبي حلم أشتهي ألا يزول
لكن أوراق الشجر
تهوي (الحكومات العميلة) آه تهوي في الثلوج وفي الوحول
وأطل من شباك غرفتي الجديده
وتلوح لي عبر الزجاج
هذي المدينة آه يا أمي . تلوح غريقة قفراء طاهرة بعيده

وتلوح لي مدني البعيده
عبر الدموع
قريبة . خلف الزجاج . قريبة . لصق الزجاج ..
الطقس أجمل ما يكون
ومسلَّم بحنين زهر النار للوادي المبلل بالندى
لكن هذا الطائر العالي المحلق في المدى
يبدو قتاماً ساكناً . يبدو جماداً للعيون !
والأرض أجمل ما تكون
لكن أشجاري وأطفالي وأعشابي تموت
ويظل بيت العنكبوت
بيني وبين الله والدنيا وأبواب السجون
ويظل بيت العنكبوت
بيني وبين البندقيه
ويظل بيت العنكبوت
بيني وبينك يا أميمتيَ الشقيه !

غريب كصقر قريش
كنخلة صقر قريش
ولكنني لست صقراً
وأهلي ليسوا قريش
غريب .. كنخله !

كصبية خجلى ، تلم الريح أطراف الرداء
وتجوب أرصفة المدينه
ركضاً ، لتسبق غيمة حبلى وشارات المرور
ركضاً ، وتضرب معطفي ريح لعينه
فأطير كالباراشوت .. كالبالون ..
ترحل جثتي تحت السماء
وأرى الجسور
أرى الجسور
أرى الجسور ..
ويكون لي يوماً من الأيام جسر ، ثم أعبر
ثم يعبر ، ثم نعبر ..
لا تقلقي ، سيكون يمه
وسأعبر الجسر الجديد إليك

كلفني عذابي بالمهمه !)
والعفو يمه
من تمر نخلتك الحزينه
كونتُ أصنامي ،
وجعت اليوم ،
عفوك لو أكلت اليوم أصنامي اللعينه
وسأعبر الجسر الجديد إليك يا أمي سأعبر
وليكن موتي وراء الجسر تذكرتي إليكِ ..

(موسكو ـ ٧١)

القطار

تساءل القطار في المحطه :
لستَ إذن مسافراً ؟
قلتُ : بلى
مسافر يا سيدي
لكنني أنتظر القطار .

وقهقه المسافرون
كأن حزني نكتة جيدة ..
لا ذوق عند الناس !

(نيرنبرغ ـ ٦٩)

الحج الى بريست ليتوفسك (*)

(الى تانيوشكا وسريوجا ويوكيكو)

يسقط جسدي المفلوج بالسفر والحزن
قطرة دم أخيرة
على رصيف بريست ليتوفسك ..
القطار يرتعش مثل ندبة قديمه
على جسد المدينة المتشابكة كأصابع اليدين
بين الواقع والاسطورة ..

---

* بريست ليتوفسك مدينة سوفييتية على حدود الاتحاد السوفييتي الغربية، تنهض فيها قلعة تاريخية. في الحرب العالمية الأخيرة سجلت حامية القلعة صموداً يشبه الأساطير، في وجه قوات الغزو الهتلرية، وأصبحت بريست ليتوفسك علماً خالداً في تاريخ بطولات الشعوب.

(الجديد ـ ١٩٧٣/٢)

ههنا سقط التوقع
تحطمت الارقام القياسية
ههنا اندغمت الطفولة بالرجوله
والرجولة بالموت
والموت بالحياة ..
ههنا تعطل الانسان فجأة
عن الاصغاء لاحزان تشايكوفسكي
وراح يقضم طعام الخيول المجفف ..
هنا مزقت النساء ثياب اعراسهن
لاخماد حرائق الجراح
ههنا انسحق الانسان على اعقاب البنادق
هنا اورقت وأزهرت وأثمرت
أعقاب البنادق
هنا الختام وهنا البدء
هذه الاعجوبة الوادعة
مزهرية الدم ، ومزهرية الزهور !

بريست ليتوفسك
يا حديقة الخبز المسيجة بقامات الشهداء
أيتها القلعة الرثه
كراية ارهقتها الزوابع ،
بريست ليتوفسك
ما زلت قميص الشعوب
ومدفأة الشعوب ورغيف الشعوب وكتاب الشعوب !

يتلجلج صوتي القادم من اغوار معتمة
حشرجة جندي مرابط
في خندق رطب تحت الانقاض الملتهبة
ويجتهد صوتي كتلميذ ، لتسمعه يوكيكو

« يوكيكو ساتومي
مواطنة يابانية ، ولدت يوم موت هيروشيما
يوكيكو تعني ابنة الثلوج
وهي لن تراني بعد اليوم
لأنها سافرت من طوكيو الى لندن
لتتقن اللغة الانكليزية ! »

يوكيكو يا عزيزتي لثلاثة ايام والى الأبد

أشهد ان اسمك جميل وأشهد انك جميله
ضعي يدك الشاحبة الصغيره
في يدي التي لا لون لها
وتعالي نسلم على أبطال بريست ليتوفسك
واحداً واحداً نسلم عليهم
بينما تصطف دموعنا كحرس الشرف

الحرب ؟
تتساءل يوكيكو
كيف وصلت الى هنا ؟
هل سافرت مثلي في القطار السريع ؟
هل جاءت من هيروشيما لتتعلم اللغة الروسية ؟

بين وجهينا انفاس مشتعله
وستارة من الندى والضباب ..
الوجوه السوفييتية الوادعة
تحدق فينا بالدهشة والانوف المتوردة

ـ من انت ايها الشاب
يا من تلف عنقك بكوفية حمراء ؟
ومن تكونين
يا صاحبة الشعر الأسود اللامع
والعينين المنحرفتين
كعصفورين حالمين تحت سماء منخفضة ؟
ـ نحن ذاكرة العالم المفقوده
نحن ميدالياته المعروضة في سوق الأثريات
نحن حزن العالم وفرحه
نحن ذاكرة العالم !

يد يوكيكو في يدي
آثار أقدامنا
تلهث على الثلج الهش
وتترك وشمها السري
على زند «اطلس» ـ ذلك العربيد الضال منذ القدم !
ستكونين صديقة طفولتي وحكمة الشيخوخه

يا ابنة الثلوج العالية المجهولة
حيث تترك العصافير ووعول الجبل
أشعارها المسماريه
ولوحات سليقتها المذهلة ..

يو ... كي .... كو !
ياله من اسم قاس
في حضرة الطائرات والمدافع المضادة للطائرات
بقي سؤال واحد
نرفعه معاً الى مدير المتحف العجوز الطيب :
أيها الرفيق الناضج مثل تفاحة
المثابر مثل قلب ،
هذه الممرات المرصوفة بحب وعنايه ،
من يغطيها بمعطفه في أيام الصقيع الكثيرة ؟

يوكيكو توبخ شعرها الصاخب
فأحميه منها بضمة ساعد

أدثره بكوفيتي الحمراء
ورأسها جميل
كرأس يابانية مسافرة في القطار السريع ..
يوكيكو تخدش باطن كفي اليمنى
بأظافرها الناعمة كاسمها البيضاء كاسمها
ـ الاسم « نتاشا » ،
هل يعني بالنسبة لك شيئاً
ـ نعم
نتاشا هي يوكيكو الروسيه
تماماً كما نقول :
يوكيكو هي نتاشا اليابانيه !
ونضحك بلا تهذيب
نضحك مهملين دموعنا المرتجفة في الصقيع
لأن طفلا أزرق العينين
يمسك بتلابيب جدته
ويقفز على الثلج
تحت السماء الزرقاء ..

اعتراف لصبية البتولى

(إلى تانيوشكا)

لن تريني
قطعت درباً طويلا
بين موتي ويقظتي خارج الأرض وموتي ويقظتي وحلولي
في المنافي
حقيبة وهيولى

لن تريني
دفنت في الطين جسمي من ليال بعيدة
صار جسمي ثمرات سرية نالت الطير قليلا ونال أهلي قليلا
وتشظيت أنجماً ووحولا

يا عروس الثلوج

هذا المغني ليس إلا ظلي المسافر يطويه سبيل تال ويطوي سبيلا

المحطات أوجه في ضبابي

واللقاءات أوجه في المحطات انبهار بين السموات والأرضين ، ثان ،

والرحلة الدهر أولى

واغفري لي

هذي التذاكر من جلدي وسفر التذاكر السود سفري ، أودعتني فيه الفصول الفصولا

نشرب الشاي ريثما تنهض الشمس ونمضي قبل انتهاء الحديث الحلم ، نمضي تلويحة ، منديلا ،

ثم تمحي من دفتر الثلج أسمائي وأبقى مسافراً مجهولا

وستبقين . دمعة .. وبتولى ..

(موسكو ١٩٧٢)

جسر المحبة على نهر اللوار

(إلى عابد عازريه ، ذكرى رحلة في فرنسا)

يوم تكبرين سآخذك معي
يا ابنتي يا حبيبتي
يوم تكبرين
أكون قد أتممتُ خامس الأناجيل
وقدمته إلى الضابط الأنيق الصارم
في كتيبة مراقبة الورد والمطبوعات ..

آخذك معي .
تكتبين اسمك على منتصف الجسر

على مرتطم الليل والنهار
على الندبة التي تدرز الحياة بالموت
وحلبة الرقص بأقدام الديكة المذبوحة
تكتبين اسمك
بالحروف العربية الرائعة
المكتنزة بالأسرار والعشق والشموس
تتحسسين بأطراف أصابعك الشفافة
عشبة ساذجة على الجدار العتيق ..
ورغم ضجيج المقاتلات النفاثة
يهبط في مواقع الانزال ملائكة ثلاثة
الأول لك
والثاني لي
ولك الثالث
أما المحبة . يا ابنتي يا حبيبتي
فقد صرفت ملائكتها الى أشغالهم اليومية ..
تتوقف فلاحة فرنسية عجوز
كدمعة كبيرة، على الاسفلت اللامع

ـ من أين أنت يا طفلتي الجميلة ؟

ـ أنا من جسر دامية

تعطيك تفاحة وقرنفلة وأيقونة

تعترف بجهلها ثم تمضي ،

لتزور العزيز جان في المقبرة العسكرية ..

لوار لوار

هذه النوتة الموسيقية الرشيقة

هذه القافية المشبعة بالندى والحنين والألفة

هذا الفالس الحالم المتهدج على السهوب والسواقي

هذه الزهرة هذه الطفلة

هل تستحق كل هذه القذائف

وكل هذه الدموع ؟

تنامين من التعب

في غرفة الظل والسكينة

تحت شرفة الأجاص والقرميد والعنب

وتستيقظين لتقصي عليّ حلم بروكولا

لكن بيلاطس التعيس

محجوز في مقر الأمم المتحدة
٢٥ ساعة في اليوم الواحد ..
قالوا « علينا دمه »
قالوا « علينا وعلى أبنائنا دمه »
وتراجع العشاق المساكين
عن جسر اللوار المرتجف
كشيخ يخفي بكاءه النادر ..
انهم قبور مطلية بالكلس والحسرات
هؤلاء الكهنة ذوو البزز الزيتيه
الصاخبون في عيد زحل
هؤلاء القادمون بسيف الموت
بأكليل الفولاذ والشوك والأسلاك الشائكة
يا حبيبتي يا وحيدتي يا ابنتي
ستكبرين.. وآخذك معي
سترمقك الشعوب بشغف كبير
سيسألني سائحان عجوزان من لوس أنجلس
وطالب من ساحل العاج

وبائع الفطائر الفرنسي
وسيسألني مهرب المخدرات
وشرطي المرور :
ـ أهي ابنتك ؟
وسيكون حزني وقورا متحفظاً ،
ولكن مليئاً بالحب
وأنا أرد على جميع الشعوب
ـ ها أنذا قد أتممت خامس الأناجيل
ها أنذا قد أخذتها إلى جسر المحبه
على نهر اللوار..

(الاتحاد ـ ت ١ ـ ٧٢)

التفاحة المسمومة وجوازا السفر

(الى الأخت الفلسطينية.. إبنة رامتي التي اكتشفتها في موسكو !)

مائدة فسيحة منخفضة
تفاحة حمراء
مسمومة جداً
وكوز ماء
(العازفون يدخلون واحداً فواحداً ..)
حديثنا لم يبتدىء لكنه لم ينته
ووردة حمراء
مسمومة جداً

وتحتها جداً
جوازا سفر ممتقعان
نجمة داوود وختم الأمم المتحده
(أصابع العازف جست عصب الكمان)
ويدك البيضاء
تبكي على المائدة العتيقة
تبكي على المكان والزمان
زنبقة منْ وطن قديم
باعوه (أو بعناه) بالمجان .
وكان ياما كان
عيناك ليل غامض من وطن قديم
تسحقه الأسماء
يا نصفيَ الضائع بين الأرض والسماء
تسحقه الأسماء

(موسكو ـ مساء ماطر ـ وأغنية
تسيغانكا تلتقي به
بالرجل الذي تحبه وتجهله
وبعد شهر خمسة ثمانية
تعرفه وتجهله)

لنترك الكلام
عني ، قليلا ،
آخ يا حبيبتي المفقودة الموجودة المفقودة
لنترك الكلام
عشرين عاماً سألت عنك شراييني
وكان الموت والظلام
إذاعتي وكتبي
وكنت لا أصحو ولا أنام .
(موسكو ،
تسيغانكا تلتقي به)
وآخ . آخ
زهرة حمراء
مسمومة جداً
وتحتها جداً جوازا سفر ممتقعان
لكننا ذقنا إلى الأبد
حلاوة التفاحة المسمومة الحمراء
وفي ضباب موتنا الموقت اللذيذ

عدنا معاً ..

عدنا إلى البلد !

عود ثقاب

وعندما أشعلتُ في المدينة البحرية
عود ثقاب
لم أجد سيجاره
لكن بعض السفن الحربية
أبصرت النور ، وظنت قامتي مناره
فركزت نيرانها الكثيفة
على البيوت الغبر والاشجار والفنادق
وقامت الحرائق
بنزهة وحشية
بين خليج الموت والحدائق .
(عود ثقاب ساذج
وتسقط الحضاره !)

(لندن)

الطفل المجهول

قدمت باسبورتي إلى موظف الحدود
حاورته في أدب جم
وكانت بنته جميلة جداً
وكنت قلقاً مكدود
لكنني بادلتها البسمة باثنتين
بادلتها القبلة باثنتين
ونمت ليلتين ..
ها أنذا أعود
إليك يا أمي

ولكن
ظلت المدينة المنهاره
وامرأة حبلى تغني وحدها وتبكي
مائسة في الليل
بين الريح والأشجار والستاره ..

(لندن)

اعترافات المهرب

لأني امتلكت خديجة
توقف طابور عسكر
وراحوا ينزون من ثقب بابي
لقتل خديجة
ونهب حلي القتيلة
ولكنهم تركوا لي كتابي
ومحبرتي ورماد الجديلة
وشمس عذابي
غداً يعرفون القتيلا
... فشكراً ، وشكراً جزيلا ..

إذن لستُ ميتاً
ولست إذن سائحاً أو مهاجر
ولست شقياً مغامر
أموت كثيراً
واحيا كثيراً
ولكن أظل اسافر
لأن جميع المحطات ترفض ترفض ترفض
هذي التذاكر ..
ولست إذن ،
ملكتني البحار زماناً
وبعد ،
ملكت المقابر
تنحنح شيخ ضئيل ليسأل عن مهنتي
قلت : عفواً ،
بعيد .. وحاضر ..
ونامت على كتفيَّ صبايا عذارى
ونامت عواهر

وعاديت سائق تكسي لأن ..

وصادقت وغداً مقامر

لأن ..

عدوني إذن وانكثوا

صار صوتي دخاناً

ولحمي رماداً

وظلي محابر

.... (رماداً)

وجمجمتي وضلوعي

... (رماداً)

وسلسلة الظهر صارت رماداً

فلن تصنعوا من عظام الفتى مسبحة

... (رماداً)

نثرت رمادي على الاضرحة

وعدت اسافر عدت اسافر

اسافر

اسا ...

على قمم الموت
حياً وميتاً
وقفت
انتحيت بأمي ركنا قصيا
كتمت كثيراً
وبحت قليلا وقلت لأمي :
على لحمك النيء عاش الجراد
واصبحت صابونة ، كالبلاد
تطير الفقاقيع حولك منك
وتسقط عنك
ويبقى المزاد
وتبقى الاذاعة
وتبقى الاكف النقية
ويبقى الجراد ...
ولم تبك ،
قالت بكل حنان الامومة « يا ابني » !
انتبهت الى شرطة الله والدول الباهظة

همست : أراك غداً
وافترقنا
غداً .. واحترقنا
غداً .. ثم هاج الرماد وماج الرماد
وصار غمامة صيف
تقشعت

افتتح الجلسة الطارئة
عدو قديم
واجمعت الصحف العالمية
على انها جلسة هادئة
وكل الوفود اشارت الى أن ..
ـ ماذا ؟
ـ نسيت ، لأني شربت كثيراً ،
لان ، اعذروني إذن ،
نلتقي ذات يوم هناك
وراء الوفود التي صرحت ووراء الجريدة !

مباركة هذه الصاعقة
مباركة هذه الاغنية
لأن المغنين لم يتقنوها كما ينبغي
وظلت مزلزلة حارقة
وجمهورها غط في النوم دهراً
أفاق ليشرب قهوته .. ثم نام
وظلت مزلزلة حارقة
لماذا إذن كل هذا الصراخ ؟

على أي بعد من النار كنا ، على أي بعد ؟
لتعبر هذي الرياح وهذي الصخور وهذا الذباب
الى كل باب ، ومن كل باب ؟
نهار الكلام نهضنا جبالا
وبعد الكلام سقطنا ظلالا
علي اي بعد من النار والنور كنا ،
ويا وطني الجلجلة
بنوك الصغار الصغار

يخونون آباءهم مرتين
ففي زهرة مهملة
وفي دمعة تدعي ملحها الف عين وعين
على اي بعد تقيمون ؟
نادى المنادي
وماذا تريدون .. ماذا ؟
خذوه !
فلم يبق لي غير هذا !
تبادر للذهن اكثر من مرة
ان هذي البلاد
تصير جراده
وان الجراده
تصير شعوب جراد ،
تبادر للذهن ،
والذكريات المعاده
حياة معاده
وموت معاد ..

إذا أنصف البحر القاك يوماً

على قشة او رصيف

وإن أنصف البر يسمعني اخوتي الضائعون :

فلسطين حانوت والدنا

ايها الاخوة الطيبون

ووالدنا شاب شعره

وشابت عيونه

ووالدنا ايها الاخوة الطيبون

يجن جنونه

لأنكمو تسرقون

على قدر هذا الفراش امدد رجليَّ

Third class?

O.K Sir!

تفح السفينة تنسل افعى البحار الكبيرة

يصغر جسم الموانيء

بنيان *U.N* كعلبة كبريت

تكبر عينا حبيبي
وامي معي دائماً ،
إن امي خلاياي . لا تنظروا في جواز السفر
ومن كان يعلم .. يعلم
ومن ليس يعلم سوف يخمن (كف عدس) !
« مدينة رودس محطتنا القادمه »
سمعنا وشكراً ،
اضاجع سائحة ما على زورق للنجاة
ندخن آخر ما عندنا من سجائر
واقذف للبحر مطاطتي الواقيه
مع اسم التي ضاجعتني لأني الجسد
« همومك يا سيدي لا احد
وهمي . لحمي ولحمك »

وتزحف افعى البحار كحبلى
وتكبر في الشط بعض المنائر ..
اها .. اذكر الاسم « رودس »

اها

ورأيت الطحالب تغمر جسمي المريض

رأيت هنا الاخطبوط بأذرعة سرها مضمر فوق ما اعلنت

ولما رأيت فزعت

ولما فزعت صرخت

ولم يسمعوا (لا يجوز النقاش على الصفقة الواعدة)

اها اذكر .. الامم الراقده

واذكر رودس (لكن رودس ليست جزيره !)

.

يسجلني رجل الجمرك الشاحب المز

والمخبرون ،

يخافون ان اختفي فجأة (لا تخافوا !

دمي مخبر مثلكم يقتفي اثري

في رؤوس الجبال وفي ردهات السجون)

.

اراود بعض المدائن عن نفسها

فتقهقه : اين مدينتك ؟

ـ احترقت

ـ كيف ؟

ـ نمتُ .

وتسخر مني المدائن لكنها تتعرى

وتجذب كفي ، فأحجم ..

عيناك يافا على كل بيت

وعيناك يافا على كل غاب

وعيناك يافا على كل سفح ونهر ووجه

وعيناك يافا جحيمي

وعيناك يافا نعيمي

وعيناك قفل على كل باب

اراود كل المدائن ـ لكن يافا ـ وبعد ،

يصادف هذا المساء انتقال الفقيد

إلى رحمة الله .. هذا المساء

تجمّع من حوله الاقرباء

وراحت تنوح على قدميه امرأة

وكركر بالضحك طفل
يرى كيف تأكل اسنان جدته المدفأه
وحدق اهل الفقيد على كل قفل
لعل الخزانة (ماءت على الرف قطة)
لعل الوصية . أين الوصية . اين وصية قيصر
ومن سينال كثيراً
ومن سوف يحظى بأكثر ؟

واغمض شيخ كفيف جفون الفقيد
(لك العمر من بعده . هذه هي حال الحياه
لك العمر ، لا حول الا ،
نفض الوصية)
فضوا الوصية
وكانت وصيته كلمات قليله :
(تسدد كل ديوني الى الله والناس
هذي القبيلة ...)
يصادف هذا المساء انتقال الفقيد

الى رحمة الله ، هذا المساء ،
تدحرج عيسى إلى الجلجلة
يصادف هذا المساء مساء جديداً
على النكبة المهزلة

وكم موجة في المحيطات كم موجة في البحار البحيرات كم
موجة في الصحاري القلوب وكم موجة في الاذاعات . يا
حاديَ العيس لي موجة في البحار
ولي موجة ١٠٠٠ كيلو ـ واط
فأين السفينة ؟ تذكرتي في يدي ،
والحقيبة نبَّشها الضابط الجهم (إسمي من اللغة الرافضة)

ويا سيدي اليوم مهلا فما انا جيمس بوند
ولم اتعاط المخدر إلا قليلا
لأن الحياة كما تشتهيها قليلا
ولست مهرب نقد ،
ولكنني اعترف !

اجل . أعـ.. ـتـ .. ر..ف ف ! !
بأني مهرب ماوية وانتظار
حملت معي جبلي وكرومي ومنزل أهلي
وبيارة صودرت من زمان
ويا سيدي أعترف
بأني احب النساء ، اذن تفهمون
لماذا حملتُ نسائي معي
وبين نسائي ، جندية هددوها كثيراً
بحبسي وضربي إذا هي لم تقتل الحب في مهده ،
وهي لم ...
وبي أنا حول وبي أنا قوة
وها أنذا أعترف
بأني أهرب شيئاً يسمى الوطن
وشيئاً يسمى العذاب
وشيئاً يسمى الزمن !!

(اسطنبول ـ رودس ـ حيفا
نيسان ١٩٧٢)

كفر قاسم الى دهر الداهرين

لي وشاح الدم ، يا شمس الملاحم
وهلاك البرج شوقاً للحمائم
فاسمعي الموال في شرفتها
غارقاً في غبش المغرب عائم
لمن الموال ؟
من تلك الصبية
بين شرياني ونصل الهمجية ؟
« أحصدوهم(*)

(*) «أحصدوهم» ـ الأمر العسكري الاسرائيلي باطلاق النار على شهداء كفر قاسم ،

(الجديد ١٠ ـ ١٩٧٣/١١)

أحصدوهم

حَصدوا ! »

وتلوَّت كفر قاسم !

« أحصدوهم ! »

ونهض القتلى لتوِّهم

وبدأت مهمتهم الشاقة :

من أين نأتي ولو بزهرة واحدة لكفر قاسم ؟

القتلى يتمتعون بذكاء حاد وبصيرة نافذه

فراحوا يتصاعدون

واحداً على عنق الآخر

ويومها ،

شاهد عابرو السبيل المبكرون الى اشغالهم

برجاً عظيماً يتبدد فيه البصر

ومرت سبع بقرات عجاف

وسبع عجاف

ثم كان ـ ذات فجر غامض بين اللون والندى

ان هبط من اعلى البرج
فارس أسمر عارٍ كما ولدته أمه
على صهوة جواد ابيض عار كما ولدته امه
في يد الفارس الاسمر
زهرة حمراء صغيرة
يسح عصيرها الحيّ على اصابعه الرشيقه
وتقدم الفارس بزهرته الحمراء
الى جوقة من الأولاد
يتهدج نشيدها في زي أبيض حتى الزرقة :
كفر قاسم !
يا شجرتي المحتقنة بالبارود والدم
جذَّرت ركبتاي من طول ما جثوت عليهما
فليأت العالم
وليرَ كيف يتفجر رأسي الجميل ، كثمرة الرمان
تحت جنازير الدبابات وخرافة العصر
كفر قاسم !
لم أعد أحصي جراحي فقد تعبت

كفر قاسم
أعطيتني فماً .. فلأتكلم
ولأصرخ من شدة حبي وحسرتي
واغفري لي .. لتغفر لي أماسيك الباهظة
ان لم أوسد عنقك المذبوح ، بذراعي
(ذراعي طارت مع قذيفة في سيناء)

وحين اسند ظهري الى جدار السجن
حيث تفوح رائحة الاسمنت الطازج
يباركني النشيد المتدفق من زنازين وطني :
ايها الجواد الأبيض حتى التلاشي
اصهل على جبالنا العالية
فها هي ايدينا تلوح في الزوابع
بمحرمة الدم والياسمين
وها هي جباهنا المشجوجة
تتلألأ شاهقاً
فوق الكوارث الطبيعية والكوارث اللامعقولة

وفوق رقاب المحكومين
بالسجن المؤبد او الاعدام حتى النصر ..

صعد الفارس من ملكوت الردم
جمع صدأ الأسلحة القديمة في خندق عديم الفائدة
تعج أعشابه بالحشرات المتوحشه .
ذوَّب الصدأ القاني
في الدموع الكثيرة المغلوبة على أمرها
انه يملك الآن حبره الأحمر
ويملك الآن صفحة جديدة بيضاء
(صنعت من كل شيء عدا الجلود الادمية)
كتب في صميمها : « كفر قاسم »
رسم وردة حمراء تكاد تهتف « انا وردة حمراء »
وعندليباً يوشك ان ينفض جناحيه
ثم كتب أغنية حب صغيرة
لصبية الزيتون
للجديلتين اللامعتين ، غصني دالية في فجر وجهها الابدي

للصدر النافر كغزالة مروعة على هضبة جليلية .
تنبه القادم من ملكوت الردم
على هدير الملايين الزاحفة بالاهازيج والبيارق
فشمر عن ساعديه النحيلين
وانطلق يغني على الوهاد والتلال الواطئة
عندليباً حقيقياً وصاعقة حقيقية ..
لي وشاح الدم .. يا شمس الملاحم
واخضرار البرج شوقاً للحمائم
فاسمعي الموال في ساحتها
غارقاً في غبش المغرب عائم
لمن الموال ؟
من تلك الصبية ،
بين شرياني ونصل الهمجية ؟
« أحصدوهم
أحصدوهم ! »
حصدوا
وأفاقت كفر قاسم !!

في غرفة التحقيق

- إسمك ؟

- أيهم تريد ،

الأول ، الثالث ، أم هذا الذي يحملهُ

باسبورتيَ الجديد ؟

- عمرك ؟

- موتان ربيعيان

وليلة تضمر لي أخرى ،

أو النهار .

- مهنتك الأولى ؟

ـ مغن يافع . وملح
يسقط فوق جرح
ـ مهنتك اليوم ؟
ـ قتيلٌ ساخط منجِّم قتيل
نارٌ مغن مرهق
وقاتلٌ جميل
ـ هوايتك ؟
ـ الموت بين الضحك والبكاء
ـ رغبتك الأخيرة ؟
ـ أن تعرفوا اسمي كاملاً
وواحداً . وواضحاً .
وربما يكون من رغبتي الأخيرة
أن تطلقوا سراحي !

كم جندياً يقفون على رأس الابرة؟

من ساعات أيام أشهر
سنوات . أعصر
لا أنسى بالضبط ولا أذكر
لكني كنت الشاهد وحدي . أبصرت الغادر أطلس والمغدور
صلاح الدين
جلجل صوتي (لم يسمعني غيري) : أطلس يغدر !
يا عالم ! ياهو ! أطلس يغدر .. (لم يسمعني غيري)
ولماذا (سألتني بنت الجيران ،
وأنا أرسمها عارية ، أبصر كل جبال الوطن القاتم كالكدمة ،
أبصر كل الوديان)

ولماذا الالوان الزائغة المقرورة ؟

هل فقدت أبويها الشمس ؟

ـ عفوا ، حتى تكتمل الصوره .

أكملت الصورة . جلجل صوتي . من يسمعني غيري ؟

أبصرت الغادر والمغدور

أبصرت القمر العين العمياء على مرمى أنياب التمساح المتحضر جداً ، في فك التمساح المتخرج من أكبر جامعة اوروبية .

والاستاذ المتخصص في أحدث جامعة أمريكية ،

الضالع في علم الأرخيولوجيا واستحضار الأرواح .

وسمعت المغدور صلاح الدين

يتساءل في « حطين » ،

في حلقة ذِكرٍ

متواضعة بين تلاميذ الحكمة والفقه :

ـ كم جندياً يقفون على رأس الابره ؟

كم جندياً يقفون على رأس الجندي ؟

أقسم بالله وأقسم بالشيطان

هذا كان

من ساعات . أيام . أشهر

سنوات أو أعصر

لا أنسى بالضبط . ولا أذكر

أيتها الحيوانات الأزهار الاجناس الكلمات المنقرضة

أيتها الدبابات الأرقام الغواصات الرتب الفرق المنقولة جوا

(أو بحراً أو براً ـ لا فرق)

يا فُقهاء الالحاد ويا علماء الدين

يا جلساء الموتى الأحياء المأخوذين

أيامي تقطع هذا العالم ، تقطعني عدواً ،

من لي بدقائق مقترضة

فلرب ورب وزيتٌ رُبْ ..

سأموت إذن يا أولاد الشرموطه

لا في معركة ضاريةٍ

لكن سأموت ..

بسكتة قلبْ !

طقس تقليدي لنسف المنازل التقليدية

يصفق الجمهور بعد قهوة الصباح
رجال أعمال
فضوليون
ضباط
دمى
سياح
(قيل أتوا لاخر الحضاره
من اول الحضاره ..)
يصفق الجمهور

رف عصافير يرف فزعاً
نحو الأراضي البور
مكبر الصوت يعد :
خمسة .. أربعة .. ثلاثة ..
اثنان .. واحد ..
يفح فجأةً
تنطلق الاشاره
يصفق الجمهور
تلمع في ثانية شراره
يصفق الجمهور
ترتفع العماره
تفرقع الشمبانيا
وتسقط العماره
ويصمت الجمهور
هنيهة
(وتصرخ الجسور)
تحت الخطى الداميه المغلوبه

ويسقط الجمهور

وتسقط الأكذوبه

ملاحظة :

عمارتي جمهورهم

ومن يلومني ابن كلب !

(الاتحاد ـ كانون الأول ٧٢)

وكانت قرية اسمها سيرين

« هي قرية فلسطينية باعها أحد الاقطاعيين بقبلة عبر الزجاج ... »

لم يبقَ في المزاد من سيرين
سواك يا سجادة الصلاة
لأن أماً سرقتك خفية
ولفعت صغيرها المحكوم بالبرد وبالفطام
والحزن فيها بعد والحنين

يقال كانت قرية صغيرة صغيرة
على الحدود بين باب الشمس والمعموره
يقال بيعت مرتين ،

مرة برطل زيت
ومرة بقبلة عبر الزجاج

واحتفل البائع والزبون
ببيعها ، في سنة الغواصة
من قرننا العشرين

وكان في سيرين (يراجع السادة عقد البيع)
منازل بيض . وأشجار . وعشاق . وفلاحون
وكان اطفال . وزجالون
(ولم تكن مدرسة فيها
ولا دبابة فيها
ولا سجون)
وكانت البيادر الصهباء ، والجبَّانه
خزانة للموت والحياه
وبيعت الخزانه !

يقال كانت قرية . وأصبحت سيرين
زلزلة تحبسها تميمه
وأصبحت وليمه
تطبخ أطفال العذارى في حليب امهاتهم
ليأكل الجنود والوزارة
وتأكل الحضارة ..

« ها هي ذي الفأس على الجذوع ! »
(إنجيل متى)

مرة أخرى على الجذوع
وينكر الاخ العزيز مرة أخرى أخاه
والكون . شرطي المدارات .. انتبه
يا فارسَ الموت ولا الخنوع
الموت من ورائنا والموت من امامنا
يا فارس الموت ، انتبه
لا وقت للرجوع
العتمة اكتظت وصارت زبدة فاسدةً

والغابة الوحشية اكتظت ،
ثعابين الدم انسلت ،
وإبريق الوضوء
باعوه للسياح من كاليفورنيا . لا وقت للوضوء !

وقيل كانت قرية . وأصبحت سيرين
زلزلة تحبسها تميمة
واصبحت وليمة
تطبخ أطفال العذارى في حليب امهاتهم
ليأكل الجنود والوزاره
وتأكل الحضاره !

(الاتحاد - حزيران ٧٢)

العودة إلى جبل الله

(اقرث وكفر برعم وصلبان أخرى)

على جبل الله عمرت لي منزلا في رحاب الزمان
ولم اكتب اليوم والشهر والعام
كانت فصول تجيء وتمضي
وكان الامان

على جبل الله أحببت راعية (نخلة . زهرة) من بلادي
ولم أكتب اليوم والشهر والعام
كانت تجفف وجهي وتسعفني في اكتظاظ الظهيره
وفي شهقة الناي ،

نسقط .. كفين . صدرين . وجهين ،
نسقط بين نسيم المساء وعري الحصيره
وتحمل مني .. وتثمر زاد المعاد
وغرس البلاد

نبضنا على جبل الله
جيلا يجيء ويمضي وجيلا يجيء
نبضنا عَتابا وزيتونة طيبه
وليمونة في صباح الحواكير تلمع
ومسكب خس ونعنع
ولو أطفأ الله مصباحه في اماسيِّه المتربة
نبضنا عناقيد كرم تضيء
لجيل يجيء .
على جبل الله جاءت كتائب قيصر
وراحت كتائب قيصر
وكان الجباة الغلاظ يقصُّون من لحمنا .. ما لقيصر
وما للاله ـ وأكثر .

وفي عربات الاله حملنا عن الجبل الاخضر ،
استوعبتنا السفوح الغريقة في الحزن والذكريات ،
وما استوعبتنا
لأن الحنين الى جبل الله ، أقوى وأكبر .
(نحسد أوراق الأشجار
تسقط اوراق الاشجار ، ولكن لتعود
نحسد رف سنونو
هاجر يوماً ، ليعود
نحسد قطعان الغيم ورعيان الريح
ترحل أياماً .. وتعود
نحسد شعب الرمل وشعب الحجرِ
ونحسد شعب الماء وشعب النار
نحسدها - لا تطرد ، لا تعقد مؤتمراً شعبيا لتعود)
لتسمع ندائي الجنود ورب الجنود .
لماذا يصير حراماً علي التراب المبارك بآسمي وجسمي ؟
لماذا تصير حقيقة هذي الذراع شظية حلمٍ ؟
لماذا ؟

لتسمع ندائي الجنود ورب الجنود :
اذا عاد رف السنونو .. فاني أعود
مع الفجر . لا بعد ٢٠٠٠ سنة
مع الفجر . لا فوق اجنحة النسر(*)
في الفجر . في رحب مدرجة الضوء والامم المؤمنة
أعود لبيت تصدع
أعود لزيتونة جذرها يتوقع
أعود لاصنع
سواراً وخاتم عرس وأنبوب ري
... بفوهة مدفع !
أعود الى منزلي
على جبل الله . ولتمضغوا بعد ، كيف اشتهيتم ،
سجلات (يو . ان) والأمن والاستراتيجيا ..
أعود !

(*) على أجنحة النسور اعيدكم الى صهيون - وعد توراتي

رسائل ملغومة الى جميع عناوين العالم !

الرسالة الأولى

قدمت اوراق اعتمادي مرة اخرى ، ولكن القضاة
الطيبين
رفضوا جهودي . قلت : هل أستأنف ؟ ابتسموا ،
فهمت وعدت معتذراً . مشيت على رؤوس أصابعي (يرجى
الحفاظ على النظافة والهدوء) .
في آخر الدرج التقينا صدفة (كم صدفة خير لنا من الف
ميعاد) دعوت الله للمقهى القريب .
وشربت قهوة سيدي جلت جلالته ، ولم الحف عليه لان
مولاي اعتذر

ـ العفو يا ابني ، ان داء السكر الملعون لا يعفو وكانت علبة السخرين في جيبي ،
ولكني خلعت المعطف الشتوي ، ان الطقس ..
ـ أفهم ، غير اني صرت يا مولاي جالية لدى كل الشعوب فما تقول ؟
ـ ونسيت يا ابني دفتر الشيكات ، تدفع انت ، ثم غداً ...
وودعني على أمل اللقاء

الرسالة الثانية

لا أفتدي بقصائدي قمرا ، لان الرعب لم ينضج ، وفاكهة الجريمة اصبحت في السوق ، في متناول الايدي ، فيا أبنائيَ الضباط والشعراء والمتسولين
هل تعرفون الرعشة العادية اجتمعوا قليلا عند سنبلة مثقفة ، دعوها تسرد الماضي قليلاً ، أو تنجِّم للغد الآتي ولا تتلامظوا بالقول واحتاطوا من الورد الصناعي البليد
وتجنبوا زوجاتكم والناطق الرسمي والديناميت في طرد البريد .

لا أفتدي قمرا ولا حجرا ، ولكن اخضرار العشب أصبح غير محتمل ، وأكداس الجرائد أغلقت يا ناس نافذتي . رأيت الحبر ينزف ثم يدفق ، صار طوفاناً صرخت بكل رعبي مستغيثا : « ههنا يا ايها الغلمان يا حراس هذا الليل » لم يسمع صراخي عابر في الدرب . كان هناك تابوت ، صعدت اليه ، صار سفينتي ، وغدوت نوحاً .. فاضحكوا كيف اشتهيتم ها أنا حي ، ونوح .

الرسالة الثالثة

من جلد أمي شد أعدائي طبول النصر ، واقتحموا على ايقاعها الوحشي أبوابي القديمة . كان فيهم حاذق ، جمع العظام من القبور وصاغ أبواقا ، أتوا بي صاغراً في ربقة الاغلال شدوني الى أنقاض مئذنة وجزوا لمتي ، واستل قائدهم من الغمد المذهب والمرصع بالجواهر واليواقيت الكريمة ، سيفه ، ارتفعت يداه ومقلتاه الى السماء سمعته يتلو الصلاة بلوعة وتبتل (لله يا ناس الشهادة)

ثم سال على الرماد دمي بكل تواضع ، ورأيت منهم حاذقا

يلقي الى النافورة البيضاء رأسي ثم يخرجها ويصنع كأس خمر رائعة

(ما كنت أعلم أن جمجمتي تليق بكأس خمر !)

ورأيتهم في ساحة بيضاء (أو زرقاء) يحتشدون في عز الظهيرة ، يرقصون ويشربون ويصخبون ..

الرسالة الرابعة

ـ هل كنتَ مدعواً الى الكوكتيل ليلة أمس ؟

ـ لم أحضر ، رفضت الدعوة السادية الشوهاء ، ان مدينتي نقضت على ظهري ، وجرحي باهظ وفمي أسير .

وعرفت للرقص الحديث مهمة أخرى ، ولكن الغزاة قطعوا الطريق على مؤامراتي ، وها هي ذي كتائبهم تعسكر في حدائق حاجبيّ

وعلى المحاضر أن يعد دراسة مثلى ممحصة ومسندة ، لأن ضحالة الجمهور تثقل منكبيّ

وضحالة الجمهور تثقل منكبي

وضحالة الجمهور ..

لا !

أحتج !

هذا المعدن الوحشي يسحق قامتي وسنابلي

حاولت ان أرقى وان امتد في الآتي وأكسر عزلتي ، حاولت أن أتقمص النار الملحة أن أحيل مؤذنا ضجرا الى رجل على برج المراقبة اكتفيت بصورة الرادار ، لكني تعبت

تعبت يا أهلي ، فهذا المعدن الوحشي يسحق قامتي وسنابلي .

ناديت أم الجدي : إن الجدي يطبخ في حليبك فامنحي القصاب عنقك نذلة أو قاتلي !

لكنها هلعت وساخت في شقوق القيظ ، بين بخور أجيال وبين مناسك وفسيفساء .

ووقفت تحت يقين هذي الغارة الليلية الحمقاء مشدوها وقفت ، وبين نابالم اليقين وباطلي !

الرسالة الخامسة

لن يجديَ الكتمان ،
ذاكرتي معافاة وسخطي واضح متماسك كحديد هذا القيد
(هذا القيد تربة وردتي)
يا طائر الرعد اقترح زنداً أصد به المناخ السيء الاخلاق
والموت البطيء
يا طائر الرعد انتفض يوما لأوقظ أسرتي فمتى تجيء ؟
متى تجيء ؟
يا طائر الرعد البطيء
وضعوا تفاصيل الجريمة كلها ، رسموا الجنازة ، هيأوا
الجوقة ..

(ويجيء يوماً طائر الرعد الجميل ، يجيء يوماً ،
ثم تبرق ثم ترعد ثم تمطر
والوردة الحمراء ترفع وجهها في رقصة شرقية ، وأنا ألم
شتات أشلائي ، وأشرب قهوة الصبح اللذيذة ، مسنداً
ذقني الى كفي الى افريز نافذتي الى وطني الى العالم !)

الرسالة السادسة

نبأ جديد :

ما زالت السلطات تبحث ثم تبحث ثم تبحث

اضراب عمال البريد ..

(الجديد ـ ١ ـ ٧٣)

في منتصف الطريق
بين سحنة السجان الهمجي . وحرس الشرف الساذج
غطى الغبار ذاكرتك الغادرة
لكن كأسك لم تزل على مائدتي .

كأسي فارغة
وأتشبث كالعلقة
مالئاً سماء وطني عصافير نار ونور
مندغماً بسخطي ومرارتي وثورتي
منهمكاً بمحبتي مأخوذاً بفصولي
موتاي بلا عدد وأحزاني مجموعتي الشمسية .

كأسك لم تزل على مائدتي
فلا ترجمني بجثتك !

العشاء الأخير

في ساعة الوليمة
يحوِّم البزاة فوق جثتي
ويستضيف السيد الرئيس
ضباطه الكبار والمطربة القديمة
(تفضلوا يا سادتي
فجثتي مسمومة !)
الجنرال غاضبٌ
لأنه لم يسمع الأغنية التي يحبها
أكثر من رئاسة الأركان
ينظر في ساعته ، ثانية فثانية :
لم تأت بنت الكلب

والمارشال الوغد لم يجيء
(وكنت قد ضبطته بالأمس
مداعباً ركبتها في مكتب القيادة !)
(يا سادتي سيبرد الطعام
تفضلوا .. فجثتي مسمومة !)

وقال للناس وكان شاهداً من أهلهم :
كل الذي جرى
أن محركات طائراتنا تعطلت في الجو
وبعد ألف سنة تحقق الهبوط في المطار
وكانت الشرطة بانتظارنا
فصاح بي مسافر : لو أننا في الجو !!
ولو - زرعنا اللو
طلع
يا ريت ..
(لم يأكلوا ، لكنهم ماتوا على المقاعد الوثيرة
وتمت الأسطورة !)

مارش لقوات الطوارىء الدولية

تتساءل المدن القديمة عن وجوه القادمين
ويمارس الغلمان عادتهم على سطح ضئيل الظل
من خشب وطين
لا تيأسوا
لا تيأسوا
يا أيها الموتى اختلجت هناك من دهرٍ
تركت لدهشتي البقشيش
في ود وحسن طويةٍ
وجمعت اطرافي الى بدني وعدت لمنزلي

من آمنوا بالله ، قد سلموا
ومن كفروا به سلموا
وعادوا يوم عدت لمنزلي
وسمعت ضباطاً كباراً
بين قوات الطوارىء ينشدون :
« ما الحب الا للحبيب الأولِ ! »

الموت قبل موعد المبارزة

كل الذي أملكه

قربة مائي هذه . وهذه الربابة

وكسرتا خبز (دمي الأدام)

وقبضة من حشف البيد قبيلَ الغارة الأخيرة

خذها إذن وبشِّر

يا أيها المدثر

قل : جربوا حرابهم في رئتيْ خديجتي الصغيرة

قل : نسجوا شالا من الضفيرة

قل : ضربوا جدران اسلاكهم المكهربة

بين أسير البحر والجزيرة

وقل : رقصت « ما يفيت »(*)

في حضرة السمسار والبضائع المهربة

وقل : دعوت الله للمبارزة

لكن جبرائيل كان جاهزاً في البزة الحربية

وحوله رهط من الملائكة

(كل ملاك بجناحين من الذهب

مقاتل وقاذف اللهب !)

وقل لهم : قُتلت قبل موعد المبارزة

لكنني ما زلت جوّاباً

أغني ماشياً

اغسل جسمي ماشياً

وماشياً آكل أو انام

ولم أزل أنتظر المعاد

وطائر الرعد وخبز الحب والسلام !

(*) بعض الأسر العنصرية في اوروبا كانت تحتفظ في منازلها بيهودي يغني ويرقص « ما يفيت » (ما أجملك) ويقوم بذلك مقام المهرج .

سأحيا كثيراً !

أعانق في السر والجهر قامتك المتعبه
وأعبد في السر والجهر وجهك
هذا الاله المقيم على جبهتي
وفي رئتي المتربه
وبين السموات والأرض أنشد تغريبتي
وتغريبتي مسهبه
لأجلك يصبح بيرق بعثي الجديد
حصيرة موتي القديم على مصطبه

تكاثرتُ في الحزن والعار
صار دمي لعنتي
وصارت يدي لعنتي
وصار فمي لعنتي
وعيني كنافذة السجن صارت
كنافذة السجن مظلمة مرعبه
شقيت كثيراً
ومت كثيراً
لأني سأحيا وأحيا كثيراً ..

لحظة حب

قل ما تشاء الآن
الآن صرنا وحدنا
مرتجة من حولنا مسام هذا الدهر
مفتوحة كل مسام الدهر
وأنت لا تزال يا جبان
منكمشاً في الشرنقه
فراشة محترقه
ولا تزال ضارباً ما بين حاجبيك
سرادق البخور والكوثر والغلمان

قل ما تشاء الآن
يا منشباً مخالبك
في كتب الفقه وفي المدائح
ولا أزال عارياً مشققاً
بين سيوف الغزو والمسابح
ولا أزال عارياً أغوص في الكثبان
ولا أزال محصياً واحدة واحدة مثالبك
يا ايها الجاحد والشحيح
يا أيها القاتل والمقتول
يا وطني الذبيح !

كيف لا ؟

كيف لا ؟
تقدم العالم كثيراً
من حزام العفة إلى حبوب منع الحمل
من بوخنفالد ودير ياسين
حتى هذا الشريان الصاخب العنيد
كيف لا ؟
تقدم العالم كثيراً
وها نحن نحل ضيوفاً

على صاحبة الجلالة نورما ليفي(*) ومجلس وزراء لندن
ثم نسترخي على شواطىء الريفييرا المشمسه
ندهن بشراتنا بزيت جوز الهند
(وجاز يجوز
وزوج ملكة بريطانيا العظمى
وزوج احذية
وزوج حمام)
ونستلقي تحت اقمار اصطناعية
والى جانبنا
تندلق زجاجة كوكاكولا
على خارطة العالم !

(*) نورما ليفي ـ عاهرة بريطانية كانت محوراً لفضيحة كبرى في بريطانيا بعد اكتشاف نفوذها الكبير في مجلس وزراء الأسد العجوز .

اعتقال

في درجات حرارة ما تحت الصفر
تتقلص عين الله الفوسفوريه
تأتي ايام البرد القارس والوحدة والذعر
العالم .. تحت الصفر
بعض الجيران يوشوش بوليس الدورية
ويشير الى نافذتي
تضطرب الأوراق على طاولتي
(لا بد لنا من اذن السامع او عين القارىء
رغم البوليس الطارىء !)

في درجات حرارة ما تحت الصفر
عادت تقرع درجات المنزل
عادت تلك الأحذية الوحشيه
تقرع درجات المنزل
تقرع ،
تصمت لحظات فوق العتبه
فانبض يا عرق الرقبه !

خبز

أشعلي نارك في جسمي وروحي
واغسليني بدمي يا مغفرة
صاحت النكبة بالنكبة : « بوحي » !
وأنا اقضم خبز المجزرة ..

كيف لا ؟

كيف لا ، يا جميلة
والذي بيننا
رددته الأناشيد من الف عام
كيف لا ؟
يا عليك السلام
والذي لم يكن قبل هذا النهار
غير طحلبة في جدار
جز كل نواصي القبيله
كيف لا ، يا جميلة
والذي بيننا صار موتاً وبعثاً
ونسلا ونوراً ونار
كيف لا ؟

سيبصر بي المبصرون

على الرحب ، نحن انتظرنا طويلا
قتيلا يشد اليه قتيلا
على الرحب . هل أكل العائدون
وهل شربوا واستراحوا قليلا ؟
دمي يا دمي . يا تراثي العزيز
يعز على شغفي أن تسيلا
ولكن تشجع وسل يا دمي
لتبعث فيَّ دماً مستحيلا
ولا بأس عدتَ فماً صاخباً

ومدرسة ، أو غديراً كسولا
تعود ، ويبصر بي المبصرون
وجوهاً . شوارع . شمساً . حقولا
على الرحب ،
نحن انتظرنا طويلا !!

.. ولكن !

ـ أتراهم نجحوا في قتلك الليلة يا ابني ؟
ـ نجحوا جداً .. ولكن ،
لم تزل بيني وبين الموت ، بعض الذكريات
والاغاني والمواعيد وبعض الريح والشمس
وبعض الكتب الصادرة اليوم
وبعض الحفلات
لم تزل بيني وبين الموت
دنيا وحياة !

مشاريع صغيرة ، لمستقبل ما ..

هذه القنطرة الباقية منك يا منازل اجدادي
سأجعلها قوس هزيمتي وحائط قهقهاتي
هذه القنطرة الرجيمة
هذه التفسح ما بين ساقيها
ليتدفق نهر الأحزان الخارقه
هذه القنطرة التي يصيح عليها الديك
وتبني طائرات الفانتوم اعشاشها
هذه القنطرة الاسوارة الذهبية
تبرعت بها جدتي للثوار ليشتروا بندقيه

خاتم عرسي ، فك كلبشتي هذه القنطرة
سأطليها بماء الذهب والكتابة الكوفيه
سأترك الياسمينة تتسلقها والحشرات السامة

ومرشوشة بالعطر يا دار لفراحِ
ومشكلي بالورد ، والمسك فواحِ
يا دار يلي تلملم شملنا فيكِ
وان عشنا يا دار ، بالحنّا لَحنيكِ
واجيب بنا يبنيلك علاليكِ)

في مغرب الشمس الوقور وشروقها الطازج
احمل خمرتي المحرمة وأشرطة الشيخ امام المهربه
افترش التراب اللزج لأقرأ برقيات التعزية
تحتها .. هذه القنطرة
بيد أنني أمتلك الجرأة أيهذا العالم
أمتلك الجرأة على الثورة الدائمة وولوج الموت
وسأمتلك الجرأة ذات يوم
على رفض زهور البلاستيك والشعر المستعار
هم .. ضربوا مثالا للبطولة . كانت جرأتهم اسطوريه

حين مزقوا عندليبي بمدافعهم الثقيله
هم .. فازوا بالجرأة فأوقفوا الساعات
اعادوا عقاربها الى الوراء
دفعوا عقاربها الى الأمام
أوقفوا الساعات انتزعوا عقاربها
ووزعوها مع اكياس الحلوى في صباحات اعيادهم
وزعوها بين ملفات البوليس والحقائب الدبلوماسيه
وذات نهار مشمس (أو غائم)
سيكون علي ان أذكّرهم بالوقت
مضبوطاً .. على الثانيه
وسيكون علي ان اضع كل شيء في محله
دو ري مي فا صول لا سي دو
دو سي لا صول فا مي ري دو

(ولا تحسبوا كثرتكم تغلب شجاعتنا
بالسيف من بينكم تنفد جماعتنا
ويا فارس يللي حول الدار بتنادي
يا سيدي جوز الاصايل قوطرن غادي
ويا فارس يللي حول الدار بتغني
يا سيدي جوز الأصايل قوطرن عني !)

لا أحد يعرف الانتظار مثلي
أنا العبهرة العارية في البور
أنا ريشة النسر المندوفة على الشماريخ وأبراج
اللاسلكي
طلع الحب انا ، المتبدد على المواقع العسكرية
المتقدمة !
وعلى اية حال ايها العالم
تبقى هناك فروق واضحه
بين بؤبؤ عيني وجهاز التلسكوب
وتبقى الى اجل غير مسمى
مشاريعي الصغيره
لاستعادة تهاليل أمي .. تحت هذه القنطرة !

لقاء غير مفاجىء مع جحا المفاجىء

في ليلة قمراء
كان جحا مسافراً
صادفته في الدرب بين القدس والفيحاء
لم أطرح السلام
لأنني خشيت أن يرد

وكنت أمشي عارياً وخائفا
فكركرت ضحكته المعروفه
وصاح بي ، وهو يشد جحشه الخبيث للوراء :

يا صاحب العطوفه
نمشي معاً . ان شئت او ما شئت
لأننا من سنة او خمس
سرنا معاً من الجليل
وكنت أنت عارياً وخائفاً
من سنة او خمس
سرنا معاً . من شاطىء الكرمل . من يافا . الى الخليل
وكنت انت عارياً وخائفاً
وأمس ودعنا معاً كل ليالي الأنس
تحت قباب القدس .
كان جحا الطيب والخبيث
محمّلا على حمارهِ
مئذنة وقمراً

وبعد ان صلى وصليت ، تصافحنا
ولم نسر معاً ..

الحكاية

يا سادتي الكرام
صلوا على النبي
ومرة أخرى ، على النبي
صلوا ثلاثاً
واذكروا احبابهْ
يا سادتي الكرام
صلوا على الصحابه
ومرة أخرى على سيدنا الامام

وخادم الامام
لأنه خادمه
يا سادتي الكرام
....
وكان يا ما كان
شيخ ، وكان فاضلاً
وطالما صلى على النبي
وهذه حكايتي حكيتها
في عبكم خبأتها
وجثة القتيل عند بابكم رميتها

طبعاً !

أوقَفوا الساعات
وارتاحوا على الرمل قليلا
ثم ناموا
اصبح الرمل رجالا ونخيلا
ثم ـ طبعاً أيها السادة ـ
ماتوا ..

تذاكر سفر

وعندما أُقتل في يوم من الأيام
سيعثر القاتل في جيبي
على تذاكر السفر
واحدة الى السلام
واحدة الى الحقول والمطر
واحدة
الى ضمائر البشر
(أرجوك ألا تهمل التذاكر
يا قاتلي العزيز
أرجوك أن تسافر ..)

غراب السلام

حين اعود من الجنازة
يحط على كتفي غراب أسود
يجهر بأحزانه الطويلة
ويجثم هناك لترهقني وداعته
اسأله في مودة أكيدة :
يا هالغراب الجميل يا غرابي الطيب
هل قطعت الزمان مثلي ، بلا يد أخرى ؟
هل استهلكت العالم مثلي ، بلا صديق ؟
يجهر غرابي الجميل بأحزانه الطويله

ويجثم على قلبي بقلب مختنق
بينما تغمغم الحمامة الشرسة
بضغينتها المبتلة بالدم !

(الجديد ١٩٧٣/٧)

قتلتني زهور البلاستيك.
قتلني الشعر المستعار!

أستوي اليوم في محور بالغ الدقة
وبحرية يشبهها عدم الاكتراث
أحسم اموري ، مغلقا بالأرض ومعزولا عنها
اليوم أعلن بثقة تامة
أنني على يقين من كوامن حزني ومشاغل البشر
لذا تروني عارياً حتى العظام
وأنا أتدحرج من القمة الى الهاوية الى القمة
متكوراً على الجرح الناغر في « سيف الله المسلول* »

أمارس في صمت طقوسي الواضحة
طقس للحب
طقس للموت
وطقس للنشور والتناسخ
ثم أخرج على العالم شاهراً صوتي
صارخا في الفضاءات معلناً صبابتي الحارقة
(صبابتي صودا كاوية ..
هذا هو التعبير الدقيق !)
ـ فتلنشخسد ـ
هكذا ، وبكل بساطة
أيها المتأكلة قلوبكم بالسوس والحرب
تغسلون أيديكم وتهجرونني مع ضحاياي
هكذا ، وبكل بساطة
تنفضون عن ثيابكم غبار دفني
وتنصرفون عن دمي الساخن في الساحة
قبل أن يبدأ دفاعي عن النفس :

(قتلتني زهور البلاستيك
قتلني الشعر المستعار !)
- تكبيبيتلفشلز -
في أدغالي القاتمة الخانقة
أتوحد مع رأسي اليابس
وأحاوره دون جدوى
آنذاك ،
أستنهض جذور قدمي المتعفنة في التراب الرطب تحت الأرض
(ليس البحر الميت أعمق غور تحت سطح البحر
إنني أقف على رأسي لضبط صورة العالم
وهكذا ، يصبح البحر الميت أعلى قمم الدنيا)
أستنهض جذور قدمي المتعفنة تحت سطح الأرض
أبثها شغفي الجنوني بالهواء الطلق
دون أن أتوقع الكثير من مواسمي القريبة
أعترف بذلك
غير أنني أنفخ دخان سجائري الرخيصة في وجه اليأس
وأواصل مسيرتي مع أشعة الشمس وعطر الياسمين

ثمة خيول عربية جامحة بيضاء
تخب الي من الحقول المستحالة
وتصهل في دمي
دمي هذا المز الساخن حتى الغليان !
- ر ر ر حتلر ز ر -
انني أتكلم
ها أنذا أتكلم :
قتلتني زهور البلاستيك
قتلني الشعر المستعار !
أتكلم !
فأية قوة في الوجود تقوى على كتم صيحتي !
مع هذا أعدكم ،
بأن أرحل عن وطني
بعد أن أفرغ من ممارسة هوايتي المفضلة
وللمعلومية ،
تتلخص هوايتي في أن أنتظر مواسم الزيتون

في كل موسم أحصي الثمار السوداء اللامعة
هاتيك الصبايا الزنجيات
المثيرات باكتنازهن المعافى
احصي الثمار وأتقمصها ثمرة ثمرة
أعيش تجربتها مع النضج وشهوة العطاء حتى الموت
واستوعب أفكارها
كما ينبغي لطالب مجتهد في مدارس العالم الثالث
وفي بهرة فجر طازج كتفاحة طازجة
أخرج من قميصي
وأعود لأمارس هوايتي من جديد !

ـ أ ب ت ث ج ح خ ـ

قتلتني زهور البلاستيك
قتلني الشعر المستعار
لكني وعدت صبية أحبها كثيراً
بأنني لن أصبح قطعة أثرية
في متحف جنرال
من مجرمي الحرب المتقاعدين !!

(الاتحاد ـ حزيران ٧٣)

رمضان كريم

مال ميزان الدم الباهظ .. مال
واستردت روحها امي ،
ولم يجبن أبي
عن ولوج الحزن والداء العضال
ومن الغربة في اغوارهم عاد الرجال ..

ياجياد الموت ، مدي الاجنحة
ياجياد الموت ،
مدي عنق الآتي ،
وطيري
من غمار المذبحة

عبر قطبين ترابيين ، من نار ونورِ

مال ميزان الدم الباهظ .. مال
وأنا في شرك الموت ،
قصياً لا ازال
مجهداً في بطن هذا الحوت مطواتي وظفري
فتمهل يا بلال
دع أذان الفجر
حتى يسجد الليل على موطىء فجري
ويشج الحقد والفولاذ
عن وجهي
وعن جبل الشيخ
وظهري
والقنال ..

لا تؤذن يا بلال
لا تؤذن ، بعد فالحرب سجال !

لجبيني ضفروا شوك الخطيئة
وصموا جرحي بحمى الذل
وامتدوا مع الاسطورة المستورده
قتلوني .. وتمردت على الموت
تمردت على عجز الخلايا المقعده
لا تلوميني اذن
لو تقمصت الصلاف المرده
لا تلوميني
إذا صارت شراييني أراغيلي

وموتي مستحيلي
أنا أعلنت المشيئة
وستأتين على سرة مولود وأهداب قتيلِ
وستأتين ، لاني شئت ان تأتي
وأعلنت المشيئة
أيتها الشمس البطيئة !

(٧٣/١٠/١٧)

كيف أعطي ثمار موتي

« الى فدوى طوقان »

في ثوان ضئيلة .. في ثوانِ
شق حوريس عتمة الماء والريح
وشج الثلوج بالنيرانِ
رمضان الكريم ..
يا رمضاني !

في ثوانِ
وزعزعت سعفات النخل

ايد تضرجت بدمائي

من زمان تقدست بدمائي

من زمان مبدد في الزمانِ !

هيه ياطلع حسرتي وهواني

كيف اعطي ثمار موتي لأهلي

كيف أعطي

ولم أعمِّد جبيني وذراعي ،

في لفحة الغفرانِ !

(٧٣/١٠/١٨)

تعتيم

في صخرة الجرانيت الليلية الهائلة
حفروا مدينة .. واسموها « حيفا »
في جوف صخرتها
ترتعد حيفا كيوناتان
وتمارس رعبها كالعادة السريه
الضوء الوحيد السانح
هو البرق الذي تشعله في كهوف الروح
صفارة الانذار الوحشية

غير أن حيفا لا ترى حقيقتها تحت سيف الضوء
لانها مشغولة البال
على أبنائها (غير الواضحين)
في مكان ما
من أرض لا تطيق أحذية المحتلين
(جهاز التلفزيون القلق
يتوهج بضوء حاد
من شريط الدعاية لبيبسى كولا)
تصرخ دورية الدفاع المدني :
ـ أنتم . فوق . في الدور الثالث
أطفئوا النور .. والا !

تصرخ في الغرفة المكتظة بالانفاس
طفلة أعرف والديها
وتنتحب أمها في ضوء سجائري المتوتر
بينما صديقي سلومو يطلق على النار
في سيناء والجولان

وأنا أختفي في منزله الآمن
لأن الشرطة تحفظ عنواني
عن ظهر قلب !
ـ أنتم . هناك . عودوا الى بيوتكم !

(٧٣/١٠/١٩)

قليلاً !

لانها أمّارة بالسوء

تستقطب القاتل والسارق والزانيَ والشائه والموبوء

تشهد بالزور على المغبون والموجوء

وتنهر السائل

وتقهر اليتيم

وتشتري بذهب العجل

صكوك الصفح والغفران

وتفسد الوضوء

وتهزم الانسان في الانسان

لانها أمارة بالسوء
لانها ..
في غفلة الزمان !

يا عاشق العشاق
يا ملك الملوك
وفارس الفرسان
يا واهب الصناعة الثقيلة
والبورصة
والعلم والسلاح والبنوك
هبني قليلا من غدٍ أمان !

(٧٣/١٠/١٩)

القاتلة

وعلى رسلها جهَّت الحزن والخوف والمعصية
وعلى رسلها احتلبت أدمع الكون
واحتقنت بالجزى
عندها أهمل الكون أطفاله كلهم
عندها شحبت وانحنت جبهات الحواس
جميع الحواس ..

يذكر الكون ان التي سحقت قلبهُ
قُتلت مرة

قتلت مرة (في دمي وفمي حزنها)
وعلى رسلها قتلتني مرارا
ضج نحري على سيفها
غرغرات الدم انتفضت في زنازينها
صار صوتي على النار نارا
وعلى رسلها قتلت من أحب
قتلت من أحب
قتلتها مرارا ..
أيها العالم اختلج اليوم رعباً على شوك اسلاكها
أيها العالم انزف دماً بعد ناردينتي
آخ ناردينتي
من يعيد مداري الى بعض افلاكها
آخ . ناردينة الميِّت ، الميته !

(٧٣/١٠/٢٠)

شهوة اليقين

« الى مصطفى الكرد »

على صهوات الجياد يعودون من صيدهم مرهقين
تلوذ الصقور بأكتافهم
ويعيس الحداة بأهزوجة نز ايقاعها من ركام السنين
وبينا تغير القواذف ، بينا تشج المدافع مئذنة
- فيثور اليتامى على يتمهم -
يستريح الرسول الامين
وفي كبرياء النبوة يحصي خطايا الخطاة
ويأسى على منكر المنكرين ..
هو الزمن احتقنت بالعذاب شرايينه
احتقنت بالعذاب
فماذا عليه اذا ملكت روحه
شهوة لليقين ؟

(«الاتحاد» ٧٣/١٠/٢٢)

الى أين يا منتهى تذهبين ؟

في هجوم شنته قوات الاحتلال على شعبنا في الضفة الغربية، استشهدت في جنين الطالبة البطلة منتهى عوض الحوراني، واذاعت وكالات الأنباء انها سقطت تحت جنازير دبابات المحتلين.. عمر الشهيدة، منتهى ١٧ سنة.. وأنتم مدعوون للاشتراك قريباً في الاحتفال بافتتاح مدرسة جديدة في جنين تحمل اسم «منتهى».

وكتبت « منتهى » على بوابة الموت :

قاب قوسين ؟ لا !
قاب قوس ، وأدنى
يا حبيبي وعدنا

حبقٌ لحمنا المستباح وليلك
وجنازير دبابة الفاتحين
صدأ في ركام الزمان الهجين

يا حبيبي ، وقبلي وقبلك
نوَّر الدم في مسكب الياسمين .
يا حبيبي انتظرني اذن
ولتكن في انتظاري « رجاء »* الحبيبه
وتراتيل ميلادنا وطقوس العجيبه

يا حبيبي انتظرني اذن
سوف آتيك ـ لا جثّةً في كفن
سوف آتيك في ثوبيَ المدرسيّ
وعلى منكبيّ
طرحة من دمائي وورد الوطن

قاب قوسين ؟ لا !
قاب قوس ، وأدنى
يا حبيبي وعدنا !

---

* الشهيدة الفلسطينية رجاء عماشه

وكتبت فلسطين بدم « منتهى » :

علَّمتْني جنازير دبابة الفاتحين
علمتني اسمها
واسمها « منتهى » .

« منتهى » صيحة الغاضبين
في روابي جنين
وأذان على قمة الموت
يستنهض المؤمنين .
قاب قوسين ؟ لا !
قاب قوس ، وأدنى
يا أذان النهار وعدنا
فالى اين يا « منتهى » تذهبين ؟
والى أين يا « منتهى » تذهبين ؟

أنت لن تذهبي
يا عروس الدم المز والياسمين
ستكونين صفصافة لطيور الاغاني القريبه
وتكونين جسر الشموس وجسر العروبه
وغداً ، معنا تعبرين .

أنت لن تذهبي
ستكونين مدرسة في جنين
ويكون اسمها :

« منتهى » !

عصافير «الغابة السوداء»

(لذكرى الرفيق فالتر اولبرشت)

الجنود الرومان يحرقون حلمتيْ القديسة « أجات »
وهي تبتسم خارج حدود الجسد
وجه حبيبها النوراني يتدفق بشراً
وأصابعه تمسد شعرها المطيب بالدم

الجنود الرومان يحترقون
في بسمة القديسة أجات !
لا ، ايها الحمقى المساكين

لن تطال حرابكم المحماة موضع السر
حيث زهرة المحبة وزهرة الادراك !

الجنود النازيون
يحرقون حلمتي القديسة برلين . وهي تبتسم
لأن الذين نهشت مسدساتهم الساخنة
رأس ارنست تالمان[1] (من الخلف طبعاً)
لم يسمعوا عصافير « الغابة السوداء »[2]
وهي تزف الى العالم شمسه الجديدة
لم يشهدوا في بقع الدم الحار
صورة فالتر اولبرشت ورفاقه الغاضبين

قطارات كثيرة تفجرت في الفضاء السام
تشيئتْ شظاياها المتطايرة كالصرخات
بحجارة الجدران المتداعية
تحت دوي الطائرات والخطب الحربية
غير ان قطاراً سرياً يواصل مسيرته

من فايمر[٣] الى برلين
ليلتقي بقطار علني يواصل مسيرته
من موسكو الى برلين .
في المحطة الأخيرة
يرتفع صوت فالتر أولبرشت
بلهجته الالمانية الريفية ..

عصافير الغابة السوداء تواصل زقزقاتها
(وتبشر بنهوض الشمس الجديدة)
أما حبيبتي فمريضة .. وهي لا تنام
لأن البساطير الثقيلة تسحق وردة السكينه
وأشعار برتولد برشت تقاوم بالأظافر
بينما يدور الصليب المعقوف كحجر الرحى
مذريا في المطاوي المختنقة بالغازات السامة
لحم اوروبا المكسورة كبيضه
تحت الهدير الهستيري :
« دويتش لاند إيبر ألس ! »[٤]

حبيبتي مريضة . وهي لا تنام
لأن « جيته » مضرب عن الطعام تحت « شجرة الحكمة »(٥)
و « بيتهوفن » الذي استعاد حاسة السمع
يبلل اصابعه بدموع « هاينه »
ثم يجلس الى البيانو ليعلن غضبه !

عصافير الغابة السوداء
تؤكد مرحها اللاذع
مهللة لدم ارنست تالمان
دمه المتشعب كخطوط التلغراف
بين حجر الواقع وتفاحة الحلم !

مؤشرات الزمن تقاوي ذبذباتها المرهقة
فوق النار الهلع الاوجاع الغضب
لكنها تدور ثابتة في دغل الارجوان
باتجاه الايدي القوية المشمرة حتى الشرايين
فلتسمع البشرية كلمتنا الموجهة اليها

من إذاعة برلين المبتسمة وهي تحترق :
نعلن ميلاد الجمهورية الشعبية الدمقراطية
بلهجة فالتر أولبرشت الريفية !

على الأسيجة القائمة المتداعية
وفي شقوق المداخن والوجوه المتصدعة
تواصل عصافير ألمانيا طقوسها الناضجه
مع نشيد الأممية !

---

١ ـ ارنست تالمان : قائد الشيوعيين الالمان الذي اغتاله النازيون في معسكر الاعتقال بوخنفالد .
٢ ـ الغابة السوداء : غابة ضخمة في جنوب المانيا ، تحيط بمعسكر بوخنفالد .
٣ ـ فايمر : مدينة المانية تمردت على العسف القيصري وأعلنت الجمهورية ـ بين قادة الحركة كان فالتر اولبرشت .
٤ ـ دويتش لاند ايبر ألس : «المانيا فوق الجميع» ـ شعار النازية ونشيدها .
٥ ـ شجرة الحكمة : شجرة في الغابة السوداء يقال أن جيته كتب في ظلالها قصيدة يقول فيها ان الحكمة ستنتصر، وعلى سبيل السخرية شملها النازيون في اطار بوخنفالد .

الكرنفال الدموي

« لو كان علي أن أموت ألف مرة
لشئت دائماً أن أموت هناك
لو كان علي أن أولد ألف مرة
لشئت دائماً أن اولد هناك »
بابلو نيرودا
« كانتو خنرال »

مطوقاً باقمار التجسس الاميركية
ومدججاً بعيون الفقراء الغاضبة
أواصل مسيرتي الاحتجاجية حول العالم
من كل خندق مهجور أقطف زهرة
ومن كل فضاء غائم بالغازات السامة اتنشق أغنية .
هناك على شاطىء التشيلي المثير كحزام صبية

أسجي باقتي وأنشد أغانيّ
ثم ، واحداً واحداً ،
أصافح رفاقي القتلى ..
لن تكون هناك يا بابلو نيرودا
لأنك مشغول بالكانتو خنرال
في حضرة أكواخ فقراء الانديوس .
على كل حال يبلغني دمك
دمك يعرف طريقه الي
صرخة مدوية عبر مناجم النحاس .
على كل حال يحضنني صوتك
أغماراً من القمح الجبلي
ولآلىء من الذرة المتواضعة .

يا التي اسمك تشيلي !
عرفتك جيداً
عرفتك كما ينبغي لرجل لا تخجله المرايا
نبشت جبالك القمرية

عن رغيف نحاسيّ
وأغنية لليل الطويل
استيقظت مع حطابيك أنت
يوم لم يستيقظ ذلك الحطاب
هتفت بأسم سان مارتين وإميليو زاباتا
ثم أهويت بفأسي
على جمجمة غونزاليس فيديلا .
عند كل منعطف من منعطفاتك الوعرة
تربصت بالخونة السفاحين
وحين عبقت سماء بلادي برائحة الدم والبارود
زلزلتني صرخات الفزع في شوارع سنتياغو المغتصبة !

يا التي اسمك تشيلي ..
حطابك انت استيقظ ولن ينام
نحاسك لن يكون ذخيرة للقراصنة
وسيعلم جزاروك الخزفيون
الذين تسللوا الى قلبك بقنابل اليانكي المتقنة

الذين تسللوا عبر براءة كرنفال الحرية
سيعلم جزاروك الخزفيون
أن تشيلي ليست قصر الرئاسة !

(الجديد ٤ ـ ٧٤/٥)

جناز في ثلاثاء الرماد

« إلى شهداء بيسان الثلاثة »

جيادهم وحدها عادت
صهلت قليلا على ضفة الاردن
حمحمت بالسخط المقهور وعادت
خفية عارية
الى تلال الشمس المدججة بالحب .

جيادهم عادت وأريج المحرقة
أما هم فواصلوا المسيرة
منحنين اليوم لينتصبوا غداً

وعلى خطواتهم الراسخة
هسهس قصب الاغوار أرغول فلسطين
وتنفضت العصافير في قلق مكتوم ،
خوفاً عليهم .
أما هم فواصلوا المسيرة
خطوة خطوة
الى أمام والى أعلى .
انهم اقانيم ثورتك يا ايكاروس(*)
انهم اقانيمك الثلاثة

انهم اجنحة أبيك المهين الصابر ..
فاشملهم بروحك وانطلق

(*) .. وصنع ذيدالوس جناحين من الريش والشمع ليطير بهما هارباً من سجنه، ولكنه آثر ابنه ايكاروس على نفسه فأعطاه الجناحين وأوصاه بأن ينطلق بهما للحرية على ألا يقترب كثيراً من الشمس فيذوب شمع الجناحين ويهوي إلى الردى، وأوصاه كذلك بألا يقترب كثيراً من البحر فيبتل الجناحان ويعجزان عن حمله. غير أن ايكاروس المتعطش للحرية انطلق في شهوة عارمة للالتحام بالشمس، وذاب شمع الجناحين وأهوى ايكاروس جثة ممزقة على صخور البحر (قرب بيسان)، فخرجت حوريات الماء ورحن يبكينه ويرثينه رثاء مؤبداً..

ميثولوجيا يونانية ـ [فلسطينية]

الى الاعالي يا ايكاروس
ولا بأس عليك من التنفس والحيطة .
في مياه الاردن نصب الاعداء كمينهم
وكمين الاعداء يتربص بك في وهج الشمس
سدوا عليك المخارج
(مخارجي في ذاتي !)
هيّأوا المحرقة والطِقوس
(ينفذون أوامري !)
ولا بأس عليك ايها المتمترس بالعذاب
بين الجريمة المدروسة والجريمة التلقائية !

ليخفض العالم جبينه ولينظر معي
الى الجثث الثلاث اللاهبة بالنبوة
الجثث المشاعل . الجثث .
لن يجرؤ العالم على التحديق طويلا
فلتكن تلك نظرة اجلال ومهابة
لأن ايكاروس تهاوى نيزكاً على الاسفلت المستورد

على المحرقة المعدة باحكام
بين الجريمة المدروسة والجريمة التلقائية !

تماسك يا ايكاروس
يا عريس الحرية يا سند الدوالي الناشئة
تماسك يا سندي ورفيقي
تماسك
فان حوريات الاردن يندبن في السبي
وعذارى فلسطين شاخصات اليك
عبر قضبان السجون ومواسير البنادق
ولا بأس عليك يا نيزك الدم والحرية
في الفجر تتجدذ العاصفة الذكية
وتنثر رمادك على الوطن
بارودا وكحلا ، مسكا وبارودا
ومن رمادك أنت تمد جناحيها عنقاء الرماد
تشرق شمس اليفة
يهطل المطر بالعدل والقسطاس

وتتماوج السنابل والبرقوق والاجنحة .

لن أنتظر ساعي البريد .
كالنملة تماماً
أواصل عملي القديم قدم الجريمة .
من عظام قتلاي أصنع أرغناً الكترونيا
على قمة جبل الجرمق
أركز أرغني العملاق
أرتدي بزة المايسترو
وأشهر أصابعي المتشنجة ..
ها هي صالة العالم مكتظة على رحبها
فانقضي أيتها الصواعق
واعزفي على أرغن الردى الفتي
جناز النيازك المتهاوية
فوق ضفة الاردن الدنس !

يا أبي المتشكل في الرماد والحلم

لا بأس علي .
لأكن مايسترو الموت
ولتعزف صواعقك المدخرة
جنازاً مؤقتاً ،
في ثلاثاء الرماد

(الجديد ١١/٧٤)

الجلسة الأخيرة

(الى اطفال سلوى حجازي الأربعة)

لحظةَ صفر الحَكم

أهوت شفرة المقصلة

أهوت على عنقي اللذيذ كبوظة الصيف

وصاح رأسي

وهو يركض ليلحق بالباص :

لا تنس ان تكتب الي !

تم ذلك قبل إقلاع الطائرة بقليل

تم ذلك في الميدان الرئيسي

تم ذلك في عز الظهيرة
تم ذلك
قبل أقل من قرن واحد وأكثر من يوم واحد
(لم يكونوا آنذاك قد اخترعوا الرزنامة)
في عز الظهيرة ، وبلا بوظة الصيف ؟
مسألة مشينة حقاً
لذلك فأنا أدعوكم الى نزهة قصيرة
في طائرة مدنية فوق سيناء
واذا كان موشيه عليه السلام
لم يفرغ بعد من حواره مع الله
نكتفي بالبكاء قليلا على ضفة السويس
(يرى شعراء الفسيولوجيا أن البكاء حانوت
الطمأنينة !)
ثم كان في اليوم الخامس
ان تسلمت ـ يداً بيد ـ
ايصالاً بموتي
كان مختوماً وموقعاً عليه كما ينبغي

وكان في اليوم الخامس
أن حفنت قليلاً من ماء الاردن
لياسمينتي المطروحة في المزاد العلني
وكان في اليوم الخامس
أن عثرت على طفولتي المنهوبة
في خوذة جندي مثقوبة على الرمل
كان ذلك مدهشاً حقاً
فرسمت على طابة الطفولة
جميع خطوط العرض والطول
ورحت ابحث على كرتي الارضية الصغيرة
عن موطىء قدم واحدة
.. قدم على الارض
وقدم على صلعة سيادة المدير .
لم تعجبهم الفكرة
فهددوني بقطع يدي
وقطع البريد بيني وبين رأسي

(كان علي أن أعرف ذلك سلفاً لاحتاط للأمر ..)

تعجبهم الفكرة او لا تعجبهم ،
تلك قضيتهم .. هم ..
ولن اسمح لهم بعد اليوم
باختيار قمصاني وربطات عنقي ومشانقي
ولن اسمح لهم بعد اليوم
بتحديد موعد الجنازة الكبرى !

أتأمل قليلا
ثم اتابع النزيف
وهكذا أيها الاخوة المواطنون
تعقد جلسة أخرى ويحضرون بالشهود
في قاعة المحكمة ،
وعلى مرأى من جميع السادة المدراء
على مرأى من شرطة المرور
أعض على طابة الطفولة (كرتي الأرضية)

بكل ما في أسناني من لوعة وغضب
وأرى
الدم
يسيل . ينغر . يشخب . يتفجر
من فمي . من طابتي . من قاعة المحكمة .
من السادة المدراء . من الشهود .
من شرطة المرور . ومن ياسمينتي
ياسمينتي المطروحة في المزاد العلني

وها انذا اعترف أمامكم
بأنه سيغمى علي .. من شدة الألم !

الخبر الأخير عن عبد الخالق محجوب

شهقت غابة « مانجا » ناضجه
يا حبيبي
خضّ أسراب العصافير حجر
شهقت افريقيا الاخرى وصاحت :
يا حبيبي
ونعاك الضوء للضوء
نداء .. لا خبر !

هكذا نبدأ من حيث انتهينا

صخرة أخرى على النهر
ولكن المنابع
تلهم التيار مجرى جيداً نحو مصبه

هكذا نبدأ
لكن المنابع
أبداً تهدر في كل عروق الأرض
تمتد
وترتد
وتمتد
وتعلو
وتدافع !
« أول الغيث دم .. ثم الربيع »
قالها يوماً مغن
اتقن الحكمة والانشاد في كل اللغات
والذي كان على النيل ،
سبات عابر

شبه سبات
نشقة اخرى من الكوكايين
فالنهر الحزين
هادىء ..
لكن تاريخ الخَدَر
لحظة تسقط في ثقب الرصاصة
لحظة تغرق في نبع دمك
عندما يجرع وادي النيل
أنخاب الخلاصة !

أول الغيث دمٌ
والصحفي الاجنبي
سجل الموقف والطلقة والحشرجة المغتصبه
باكياً .. أو ضاحكاً ..
سجلها في تيب ريكوردر
بعد أن سجل منفاي وعاري
في ملف العالم المنهار

عن شمس الدم المقتربه !

يا رفيقي الميت الحي ، كموتي وحياتي
أرضعتني أمك السوداء يوما
وكست عظميَ لحما
أمك السوداء والبيضاء والخضراء والحمراء
آوتني يتيماً
أرضعتني ..
وبكتني
يوم فوجئت بقطاع الطريق القتله
فلتمارس أمنا الثكلى
بكائي وبكاءك
مرة أخرى .. بكائي وبكاءك
ريثما يولد أبناء القرون المقبله ..
لا لجرحك
يزهر القطن على السودان
لكن

لجراح الكادحين النازفين
دون صبحك !
لا لجرحك ..
كل قطرة
نزفت منه
وشاحٌ ارجوانيٌّ
على صدر الشيوعيين والشمس القريبه
كل قطرة
راية حمراء
تنغز على أرض العروبه !

أيها المارد في محكمة الموتى القضاة
موتك الشاهق
في الاغلال ،
لن يجعل منهم
غير قتلى في الحياة !

يا رفيق الخصب والبذرة
يا همهمة الاجيال بالفجر القريب
موتك الآنيّ
لا يعطي حزام الجنرال
شكل خط الاستواء
وسيور السادة الضباط
لا تغدو خطوط العرض والطول
فلا مجد يدوم
غير مجد السنبلة
فوق انقاض العصاة القتلة !!
يا رفيقي الميت الحي ، كموتي وحياتي
لست ابكيك .. وأبكي ..
رافعاً وجهي الى كل الجهاتِ
وأنا اسمع من كل الجهاتِ
صوتك الهادر :
آتٍ :   يا رفاقي ..
أنا آتٍ !!

(موسكو ١٩٧٠

حفلة البرق والرعد في أوجها !

(أسماؤهم : كمال ناصر ، غسان كنفاني ، كمال عدوان)

لا تغادر اذن هذه الدائره
أنت محورها اللولبيّ
صاعداً من رماد التقاويم والاغنيات
ومن طلل الذاكره
جائساً ليلها الربع قرن ولكنها وحدها الأصره
لا تغادر اذن
أنت محورها
والافاعي هنا في مسام البلاد
هنا أو هناك الافاعي الردى

اخوة أو عدى ..
واللغات اللغات اللغات
اخذتنا على غرةٍ
قتلت بعضنا
وعلى من نجوا فرضت فديةً
شجراً أو ينابيع أو ..
واللغات اللغات
أهدرت دمنا لا لشيء سوى أننا ..
ودفعنا الزكاة
قبل ميعادها
قبل احصاء زيتوننا قبل ايذان بيارة بالقطاف
لم يكن معنا الله أو سيفهُ
صاح والدنا الشيخ :
يا ناس لا لوم لا لوم يا ناس .. اني أخاف !
ودفعنا الزكاة
ثم كان السرى بين ليل وليل
ناوشتنا كثيرا كلاب الرعاة

وأعدنا السرى بين ليل وليل
حولنا يكبر الفطر محتقن السم في سرعة مرعبة
وتموت زهور الحياة ..

- (دخنوا « كنت » الفاخرة .
كنغ سايز !
- وفي هذا العدد : احدث دراسة عن
الجريمة المنظمة في الولايات المتحدة
الأمريكية وفي العالم
- كوكا كولا المنعشة تستقبلكم في اسرائيل !)

لا تغادر اذن يا رفيق
حفلة البرق والرعد في اوجها لم تزل
والرصاص الذي خاط للارض جسمك
قلم يكتب اسمك
كل يوم من الساعة الثامنة
كل يوم الى الساعة الثامنة
قلم يكتب اسمك
في كراريس أطفالنا

يكتب اسمك
فوق أبوابنا
يكتب اسمك
بين أسمائنا !

من رأى قبل هذا المناخ الفظيع
من رأى ..
سائحا يشتري وطناً أو يبيع ؟
من رأى ..
● (العرب البائدة
● العرب العاربة
● العرب المستعربة
● العرب البائدة !)
ها هي القاعة النعش سابحة في النيون
ها هو القاتل الشهم يعلو المنصة
ها هي الكاميرات
ها هم السادة القاحلون

شحذوا الآن أقلامهم

تصدر الصحف مزهوةً

موتك اليوم مجد لكتابها :

أيها القاريء الحلو لم تعدم اليوم قصة !

● (مشاهدي الكرام !
يسعد القنال رقم كذا
من تلفزيون دولة كذا
أن يعرض عليكم اروع الصور
للدم الذي يسح من تحت الأبواب
الموصدة برفق شديد)

يشعل القاتل الشهم سيجارة الكنت - فاخرة كنغ سايز

ينفث الحقد في وجه محكمة العدل

(لاهاي مشغولة بزهور الربيع الجديد)

● (هنا - يفرقع القاتل بالضحك
تتناثر قهقهته كقشور البزر
على وجوه الصحفيين المرحين
وبلاط القاعة الحديثة
الحافلة برائحة الأسمنت الطازج والدم !)

لم تغادر إذن

لم يزل دمنا يا رفيق

مشعلا في الطريق

لم يزل دمنا المز ماوية للوطن !

لن تبصر الأرض الا خلال شرايينك !

« عن الفلسطيني التائه الذي
ما زال اسمه غسان كنفاني .. »

تطاردني في الليل أوجه اخوتي
وتسقط في وجهي ، من الريح ، جثتي
فـأصرخ مـرعوبـاً ويهلع قاتـلي
وتحرق أشجارَ المقـابر صـرختي
هنا الموت ، يا تفاحة الموت أمطري
ثمارك في أرضٍ جحيمٍ وجنةِ
يـطاردني القتلى . فـأيـة عيشـةٍ
أعيد الى القتلى . بأية ميتـةِ ؟

وبين نساء الدوالي وبين كنوز الرمال وبين الهجير وريح
الشمال
تعاطيتُ حبكِ وحدك أنت
وأذكر حتى أدق التفاصيل ، رائحة المطبخ ،
الساحة ، النبعة ، الكتب المدرسيه
واذكر (لا أتصور) صرخة رعبك والطعنة البربريه
ويا مشجباً لجلود القرابين والخوذ الأجنبيه
سلاماً على وجهك الطيب الحلو ،
لا تحرميني يديك وترياق تدييك ، لا تحرميني لاني أذكر
أذكر يوم صحوت على الانهيار
وبددني الموت ، بددني في جميع الأمم
جريحا ، يدثرني في زوايا المحطات ثوبي المميز ، ثوبي الكفن
وأبكي وأقرع باب الشعوب وباب الزمن .
لانك أمي حملت العذاب قرنفلةً ،
صادروا معطفي فغرزت قرنفلتي في مسامي ،
وبعد فصول بلا مطر ، أبرقتْ ، أرعدت أمطرت
(لم يكن فجأة)

وانتشى جسدي باريج التراب المبلل ، والدم ،
صرتُ قرنفلة للعذاب !
ويوم قتلت اكتشفت حدودي ومستقبلي وصراطي
ويوم قتلت عرفت إلى أي حد احبك
لا بأس يا امرأة الدم والياسمين
سينبجس النبع رغم ركام الاكاذيب ،
رغم هواة التواقيع ،
رغم ازدحام الحكومات حول ضريحي لتوقيع أسمائها في
وداعة ،
(كما يقتضي الاتيكيت)
إذن ، جثتي دفتر لهواة التواقيع ؟!
هذا ضميرك يا عالم الموت ، تعترف الآن أو تنكر الآن ،
موتي سحابة صيف تقشّعُ عما قريب
وتفشي الطحالب اسرار نبعي الذي ردمته
الاساطير والتكنولوجيا ..
ولا بأس يا امرأة الدم والياسمين
يميناً (وأنت اليمين) ،

لأنك امي التي هي من نسل صلبي
سأكرز بآسمك ، في كل بيت وفي كل مقهى ، وفي كل ساحه
لانك وجهي وتفاحتي وكتابي وشعبي
سأحفر جسمك في الشمس ،
لن تبصر الارض الا خلال شرايينك النازفه
ووجهي عبادة الشمس . يا شمس عيني
ويا شمس روحي وعقلي وقلبي
وأمي التي هي من نسل صلبي
ووجهي . وتفاحتي . وكتابي . وشعبي !
أبشِّر قــاتــلي بــالمــوت قتــلا
وأنقض جسمـــه ليــلا فــليــلا
انــا الحكم الذي لا بــد منــه
أجوب رحاب وادي الموت عدلا
اذا نهب اللصـوص حــليّ أمي
فقـد نهبـوا البـريق المضمحـلا
سـأجـدل جثتي حبـل المنـايــا
لأمــلأ ســلــتــي عــنــبــاً ودفــلــى

(الجديد تموز/ ١٩٧٢)

الطريق إلى جبل النار

(عن جذى الثورة ، السجناء الأحرار من نابلس ومن كل بيت فلسطيني ، والى جميع مقاومي الاحتلال)

حفظتُ المسافة عن ظهر قلب ، حفظت المسافة
تذكرت كل الصخور وكل الشجيرات ، والاعين السود
والعسليات ، والزرق والخضر والاغنيات ،
تذكرت ، كل المفارق ، راجعتها مفرقاً مفرقاً ، واستعدت
القرى قرية قريةً
تغير شيء هنا وهناك تغير باب ومقهى وساحة
لعل المخاتير ماتوا
لعل المضافات صارت دكاكين بنٍّ وزيت وأقلام حبر

تغير شيء

أرى لافتات جديدة :

كراج فولكسفاغن وفورد

محلات موبيليا النصر

مغسلة الشرق

اوتيل فلسطين

شيء تغير

وأكثر

أرى قرية دمروها

بآخر ما صاحت التكنولوجيا

ومقبرة شيدوها

بآخر ما صاح فن القتال

أنابيب ري

شوارع اسفلت

ملاه

ملاجىء

سياج مكهرب

جهاز اتصال ومركز شرطة

أغان مريضة

مناهج علم ، عن الحقد والقتل والذكريات البغيضة

الخ .... الخ

تغير شيء ، تغير

وأكثر

أرى معمل (الشايش) . السجن . والعَلَم الاجنبي

أرى اللغة الاجنبية

أرى سحنة الفاتح البربرية

ورعب يديه على مقبض البندقية

تغير شيء ، تغير

والله أكبر

الله .. أكبر

حفظت المسافة عن ظهر قلب ، حفظت المسافه

هنا يسلس الدرب

نأخذ صورة شمس الغروب وصورة طفل يسوق خرافه

وعما قريب تهل منازلها البيض ... اكداس صابونها
تهل المدينة ـ سدر الكنافه ....
حفظت . أجل يا حبيبي . حفظت المسافه

وصلت المدينة بعد غروب شموس كثيرة
وصلت وفي رئتيَّ رسالة حب
وبعض أغاني الوقوف من الارض حتى السماء
وبعض المراثي الكسيرة .
وصلت المدينة ليلا ، طرحت التحية ، ردوا
بأحسن منها ، توسمت خيرا ، وصحت :
انا أيها الاخوة الطيبون
رسول جبال الجليل الى جبل النار
أحمل من ربع قرن ، رسالة حب مريرة
قطعت جبالا كثيره
قطعت وهاداً كثيرة
وبين حصى الطرقات نزفت نزفت دماء شبابي الغزيرة
ولم استرح ، بعد ، كيف ترى يستريح رسول

على ظهره ، بعدُ عبء الرسالة
كيف ترى يستريح ،
وقد وشحته دماء المسيح .
واني رسول جبال الجليل الى جبل النار
من مرشدي ؟
يقولون أنت اهتديت الى جبل النار
اصرخ يا ناس لم اهتدِ
الى جبل النار . هل تسمعون وهل تفهمون ؟
الى جبل النار لم اهتدِ
فمنْ مرشدي ؟
الى جبل النار من مرشدي ؟
تغير يا ناس ، شيء تغير
ترمد ، يا ناس شيء وأكثر
ترمد . لكن تحت الرماد جذى
هل تموت الجذى ؟ هل تموت ؟
وتلك البيوت ؟
تفجَّرْ اذن جبل النار

وانفض رماد الاسى والسبات
تفجر بنار الحياة ونور الحياة
تفجر
والله أكبر ، الله أكبر ،
الله ..... أكبر !

(الاتحاد ١٩٧٤/١٠/٢٥)

الوصول الى جبل النار

(في ١٠/٢٥ نشرت «الاتحاد» قصيدة الطريق الى جبل النار لسميح القاسم وكان قد كتبها في غمرة الاعتقالات الواسعة التي شنتها سلطات الاحتلال في نابلس والضفة الغربية . اما هذه القصيدة « الوصول الى جبل النار » فهي تحية لطلاب المدارس والعمال والمثقفين الفلسطينيين . الذين هبوا ضد الاحتلال ورجموا آلياته بالحجارة ، والذين يعانون الآن في السجون وفي حصار حظر التجول والارهاب .. وقد قرأ الشاعر القصيدتين في نابلس..)

وبعد الرحيل الطويل على شفرات العذابْ
تراءى لي السفح عبر الظلام المكدس وانشق باب
تلفتُّ خلفي ولم أتحجر . ولم أشحد الصفح والمغفره
وكان هنالك خيط من الدم
(خيط من الدم ـ أو هو صدع الكره !)
وكان دمي النصل منغرزاً في ضمير الشعوب
ولم أشحد الصفح والمغفره

وبعد الرحيل الطويل بلغت المدينة ليلا
طرحت السلام وصحت :
أنا أيها الأخوة الطيبون
رسول جبال الجليل الى جبل النار ،
من مرشدي ؟
الى جبل النار ـ هل تسمعون وهل تفهمونْ ؟
الى جبل النار ـ من مرشدي ؟
ودبت علينا مجنزرة . سحقت بعض أقدامنا ،
اختلط الدم بالدم . ما عدت أعرف جرحيَ من جرحهم ،
دوّت الصرخة القانية :

« وقوفاً ! »

وزلزلت الارض زلزالها

« وقوفاً ! »

وأيقظت الأم أطفالها
وجلجلت الصرخة القانية :

نموت على ساعديكِ

لنحيا على ساعديكِ

نموت ـ ولن تعبر الذئبة الدامية !

واعطى النهار الاشاره

وفي شرفات البيوت ومنعطفات الشوارع ،

بين المدارس والساحة المركزيه

تكمشت القبضات الصغيرة حول القنابل

(لا بأس ـ حول الحجاره !)

وجلجلت الصرخات الفتيه

تحركْ اذن أيها الديناصور الغبي تحرك

وسمِّمْ سنابل أحلامنا

ودس بجنازيرك السود أطراف أقدامنا

تحرك

بظلفك أنت ، سنحفر نحن ، سنحفر قبرك

ونبعث آباء أيتامنا !

هنا جبل النار ،

ها نحن في السفح من جبل النار ،
بعد الرحيل الطويل على شفرات العذاب
تراءى لنا السفح عبر الظلام المكدس ،
وانشق باب

وصلنا !

الى جبل النار يا ايها الثائرون
الى جبل النار ـ هل تسمعون وهل تفهمون
الى جبل النار ـ نحن وصلنا
وصلنا بكل العذاب . بكل الدم المز والذكريات
وصلنا بأطفالنا البالغين
وصلنا بحقد العذارى على الغاصبين
وصلنا بسنبلة سمموها
بأغنية يتموها
بأنقاض بيتٍ
بقلب عريس مجندل
بدعوة عرس تأجل

وصلنا على جسر أمواتنا الناهضين
سكاكين ،
تقطع جذر الغزاة الهجين

وصلنا !

هنا جبل النار والحب والأغنيات
وبنك الدم المز والياسمين

وصلنا !

بنار الحياة ـ ونور الحياة !

(الجديد عدد ١١/١٩٧٤)

القتلى يعلنون العصيان

على رقاب سادة القبيلة .

يا إخوتي القتلى

اكتب اسماءكم الجميلة

وأجدل الحبلا !

يدير من فراش محظيتهِ

مؤتمراً يبحث فقر آسيا

يدير من فراش محظيته

مؤتمراً للسلم في اوروبا

ومصنعاً للكعك والنابالم

رأيت رأي العين جيمس بوند
لتوِّه يخرج من حمّام
معتمراً عمامة هندية
ونصفه الاسفلُ
ملفوف بكوفية جدي الناصعة !
سمعت في الوادي صراخ امرأة مذعورة
بحثت عن مسدسي
فارتجفت أمي
وهزت يدها المبتوره :
« يا كبدي
يا ولدي »
ولعلع المؤذن العجوز من مئذنة قريبه :
« الله أكبر
اللا ... ه أكـ كـ .. ـبر » ..

كل صباح أنحني تحيةً
لعلبة البريدِ
(أوامر الشرطة والضريبه
وصورة من مكتب السياحة
لدولة غريبه ..
تنصهر الارض على وريدي !

على مرامي بصر الأعمى ،
على مداخل البيوت
مدينة يدعونها بيروت .
....
أيديكم يا إخوتي
أيديكم !
لأنني أموت
أيديكم
أيديـ ..

تبرق أعواماً .. ولا تجلجل الرعود
ترعد أعواماً .. ولا ينهمر المطر
تمطر يوماً
ساعةً
دقيقة
تعشوشب الحقيقة !

ـ أيتها الصبيه
من الذي أهداك هذي الوردة السحرية ؟
ـ قافلة عادت من الحجِّ
الى رحاب الموت في الاوجِ
وأعلنتْ نضجي
ـ أيتها الصبيه
من الذي زاد على مَهرك مهر أمي
ـ الفارس الآتي
على جواده الابيض ملء حلمي !
ـ هذا دمي الصارخ في البريّه

هذا جواد الموت يا غاليتي
وفارس الحرية ..
هاتي يديك ، وانهضي ،
أيتها الصبيه

علَمني القاتل
أن أنبش الجرائد اليومية
أن أحصيَ القتلى على جدرانها السود ،
وأن أنتظر البقية
علمني القاتل .
أن ارفض النوم على مقاعد الحديقه
تحت ظلال الحزن والمنيه
علمني القاتل
أن أجعل القتلى
جسور الكرة الارضيه !

أعود اليكم

مع العشب بين خلايا المطر

وفي عندليب تنفض

ونجم من الوحل أومض

أعود اليكم

بتفاحتي والحجر

أعود اليكم

وأطلق موتي عليكم

(الاتحاد ٧٣/٥/١١)

أنا محتاج لنقاء ضميرك !

كيف توغلتَ ـ تعديت حدودك ـ كيف استثنيت دمي ـ كيف تجاهلت التفاحة والحجر الساخر من شللي ـ لا تمهلني ـ لا تُنظرني سبع سنين أخرى ـ دعني أنطلق الآن كصاروخ ـ أبحث عن آبار النفط الأخرى ـ أبحث عن شجرات السلف الصالح ـ أستنطق رعيان البرية في غرف التحقيق ـ وأخرج بالحكمة والقول الفصل ..

أنت تباطأت كثيراً ـ شاهدتك ترشف فنجانك في مقهى الساحل ـ تطلب كأساً ثالثة في بار الميناء تراود سيدة أخرى ـ تدلك ساقيها بالصابون العاطر في حمام المنزل (بالأجرة ؟ لا بأس !)

عبأتُ الإضبارة يا ابن الكلب فماذا بعد ؟ ـ نتفاً من تاريخ حياتي ؟ ـ حسناً أصغ إلي قليلاً : لم أولد بعد ـ وهذا لا يكفي طبعاً ـ فأنا لم أُقتل بعد !

بقراتي سبع ـ وبناتي سبع ـ وعيوني سبعْ ـ بيتي في وادي الجنية ـ مستور بالقصب العالي ـ ويحيط به سور عال ـ ويقرقر في ساحته نبعْ ـ بيتي من طين ـ مسقوف بجذوع الأشجار ـ وفيه اصطبل ومضافة .

من عاداتي أن أخرج للقنص بعيداً في برية هذا الشرق المدهش ـ من عاداتي أن أقتل قطاع الطرق وبوليس الدولة .

من عاداتي ايضاً ان ادفع للسلطة أعشار المحصول وارباع المحصول ـ لذا أصبحت احب الثورة .

أأجيد الثورة ؟ ـ من يدري ؟ ـ لم أكسب بعد ولم أخسر بعد .

قل لي بحياة ابيك ـ

أحرام اني غافلت المختار الخائن ـ ودبكت بنسوته ؟

قل لي بحياة ابيك ـ

من اولى بالقرش : المتسول ؟ ام أغنية السيدة الحبلى ؟

(لا تنس جنون الاسعار العاصف في هذي الأيام !
لا تنس جنون الشاعر والألغام الموقوتة !)

أأواصل يا ابن الكلب رواية سيرتيَ الذاتية ؟ حسناً - أصغ قليلا - لم أُقتل بعد - ولم أولد بعد -

طوفت كثيراً في اقطار الدنيا - وكما أذكر - في القرن الماضي - جرفتني أمواج البحر الى مملكة تدعى « زيونار »

وهناك (تفضل دخن !) - قلت هناك تصدى لي أحد الصحفيين بأسئلة محرجة جداً - قال : « أجبني من فضلك يا ابن الموتى - ما رأيك في دولتنا « زيوناز » ؟

ما رأيك في قوتنا الضاربة - وما رأيك في خارطة بلادي ؟ اين ترى حد الأمن الأفضل ؟ »

فاجأني ابن الشرموطة - لكن لم يفحمني - كنت شديد الحذر - تنحنحت وقلت بكل وقار : « دولتكم شيء يدهشني حتى الدمعْ . دولتكم أحسن من قنينة كوكا كولا - في فريزر براد أمريكي الصنعْ » ..

كنت شديد الحذر - تنحنحت - أضفت بكل وقار : « دولتكم

آخر نمره ـ في سيرك الفاشست . قفزة موت ساخنة ـ من قاع الدست . أما قوتكم فهي أشد مضاء من سكين الجزار . وحدودكم الأمنية امر هام . ولذا يستحسن أن تبقى مدأ جزراً ـ طالعة نازلة ـ في خفة أنشوطة ـ أو في خفة تكة كلسون القحبة ! »

كنت شديد الحذر ـ تلفت يميناً وشمالا ـ وحثثت خطاي إلى أقرب ملجأ ..

كانت أسراب الطيارات تداهم منزليَ الطينيَّ المتهدم في وادي الجنيّة . عبأت الإضبارة ـ هل تقطع راسي الآن ؟ السيف النطع الجلّادون الكهان . رأسي رمل نجديّ ـ عنقي عامود ضباب من لبنان .. هل تقطع رأسي الآن ؟

أعرف طيبة قلبك ـ أعرف حسناتك ـ أعرف رفعة محتدك ـ دماثة أخلاقك ـ رقة روحك . أعرف أنك لن تقطع رأسي ! لن تقطع رأسي ـ باركني ـ خذ بيدي ـ أرشدني في وعر سبيلي ـ خذ بيدي ـ فانا محتاج لنقاء ضميرك يا موت ..

دبكة الموت

لُفَّ لي سيجارة يا طانيوس شاهين
انا قادم لأشمت معك
نشمت ؟ ولكن بمن ؟
بحجل صنين الهارب من الموت
الى متاريس صهيون على جبل الشيخ ؟
بالظل المتكسر ؟ بالضوء المتكسر ؟ بالقلب المتكسر ؟
نشمت ؟ ولكن بمن ؟
بأوردتنا المفرقعة ،

زجاجات شمبانيا في كوكتيل بنتاغوني ؟
صُب لي فنجاناً من قهوتك المره
من دموعك المره
من دمك المر
يا طانيوس شاهين، انني عائد الى الموت
على إيقاعات الدبكة الدموية ..
تهبط دموعي في مطار بيروت الدولي
لتقدم أوراق اعتمادها
سفيرا للعذاب العربي ، للصودا الكاوية العربية ..
لا ثلة من حرس الشرف
لا بساط أحمر
لا باقة زهر عند سلم الطائرة ..
(غود مورننغ مستر سايكس)
(بون جور مسيوبيكو)
يدفع غضبي بقوات إنزاله الصاعقة
على خليج جونية المنفرج
كفخذي قحبة

تنتظر رجال البحرية الامريكية

مِن هناك
من كومة الصفيح ، البريزنت والطوب العاري
من مخيم تل الزعتر
تخرج أمي بملاءتها الفلسطينية
لتبحث عن جثتي في حي الفنادق الفخمة
تتمشى قليلا على كورنيش بيروت
مستنشقة الهواء المطلي بدم إخوتي
تشتد حرارة القصف المركز
تهرع أمي الى الظل
وما من ظل هناك سوى ظل صليبك
ما من ظل هناك ، يا طانيوس شاهين
سوى ظل صليبك ..
نسور لبنان تحدجنا باحتقار
من قمم شاربيك
أما وجهك النبوي فقد مال قليلا

على صدرك الكث
باشجار الأرز العتيقة ..
تضرع أمي من بين دموعها :
أما آن لهذا الفارس ان يترجل ؟ !
غير أن رجال الفلانج لا يسمعونها
في غمرة نيرانهم المنصبة على اللغة العربية
إنهم يحلمون باللغة الفرنسية
ويطلقون النار بالفرنسية ..
(بون جور ايها العار !)
لم أقلها من قبل لكنني اقولها اليوم :
الجهة التي تشرق منها الشمس هي جهة الشرق !
لم أقلها من قبل لكنني أقولها اليوم :
الليل ليل والنهار نهار !
لم أقلها من قبل لكنني أقولها اليوم :
لبنان .. ارض عربية !
أما هؤلاء الحمقى
فيواصلون إطلاق نيرانهم

بالفرنسية .. طبعاً
لن أقول :
اللبناني أخو الفلسطيني
لن أقول :
المسلم أخو المسيحي
لن أقول
بآخينا هلالا وصليباً
لكنني أقول :
الثائر أخو الثائر :

بذقن غير حليقة
بلا حقائب ولا نقود
يستقل جبران خليل جبران اول طائرة
ويغادر موته عائداً الى لبنان
لان الفلانج
يسحبون سلماه الغالية من شعرها
ليبيعوها في نوادي نيويورك الليلية .

قبل أن تهبط الطائرة
على مدرج النار في مطار بيروت الدولي
يصرخ جبران من قمة العالم !
أيها الخونة !
لن تكون سلماي راقصة بطن في بيغال
يرسمون شارة الصليب
ويصرخ جبران من قمة العالم !
أيها الخونة !
لا ترسموا شارة الصليب ، فأنا ابصركم
تصوبون رشاشات يوضاس
الى صدر المسيح

يظهر ويختفي
يتهيأ ويتلاشى
يشتعل ويخبو
لكنه، على أية حال يظل هناك
ممتطياً جواده العربي الابيض

صائلا على فلول الجراجمة وقلاع الروم .
يظل هناكَ ، أبداً في الأبد ..
يظهر ويختفي
لكنه .. هناك !

يقرع بابي الأحمر في منتصف الليل
اصرخ من تابوتي (سجّوا جثماني /سجوا جثمان
الحب قديماً)
أصرخ : منذا ؟ منذا يقرع بابي الأحمر في منتصف الليل
أُدخل
أو فارحل
(سجوا جثماني/سجوا جثمان الحب قديماً !)
لا تقرع بابي في منتصف الليل ..
ينفرج المصراعان/تحدق فيَّ من الليل القاحل عينان
يهتز زجاج شبابيكي المعتمة/عور ضريحي الفاخر
تصدى بالصرخة شمعات التابوت البيض/
تدوي الجدران

ـ أغريق يخشى من بللٍ ؟
يا هذا ادخل أو فارحل
لكن لا تقرع بابي الأحمر في منتصف الليل .
لا يدخل ، لا يرحل ..
يهجرني النوم الوادع/يسكنني الصحو القاطع
كشفار سيوف الاجداد
وأظل هناك/جوادي الموت العالي
ممتطياً صهوته/وعلى خاصرتي يهتز غضوباً
سيف من بين سيوف الاجداد
في كفي مقبض سيفي/في كفي قائمة سجلت عليها أسماء
الاوغاد

يصهل جواد الياسمين يحمحم بالقهر
من فارسه التفاتة نحو ميناء بيروت

الجراجمة يحتطبون ارز لبنان الدهري
يحمّلونه مراكب صهيون

وينقلونه على البحر أرماثا الى تل أبيب
حيث يشيدون هيكلا جديداً لسليمان
أما أعمدة الهيكل فأرز لبنان الدهري
أعمدة الهيكل أعمدة الحكمة المنهاره
أعمدة اللهيب والدخان ..

امرأة محلولة الشعر
تهرع من «ساحة الشهداء»
تلطم صدرها العاري المدمى
وتمد ذراعيها كحربتين نحو ميناء بيروت
حيث يحملون شهداء الارز
وينقلونهم ارماثا على البحر الى صهيون ..
وعلى صخرة « الروشة »
يقف قدموس بكل محنته
يدبك دبكة الموت
يرتجف قليلا ويقذف بنفسه الى البحر ..
لا بأس يا سمك القرش

نحن اليوم من عائلة واحدة
لا بأس عليك !

(« الاتحاد » ـ٢٣ـ١ـ٧٦)

٣٠ آذار

(أعلناه يوماً للأرض. وأعلنته دماء شهدائنا عيداً فلسطينياً من أعياد الصمود والفداء..)

١ ـ مع الشهداء ..

« كلُّ عام وأنتم بخير »
صاحها دمكم وانكفأ
ساخناً نابضاً في وحام الجذور
نيزك الحب والحقد صاح : انهضوا !
أج في الليل ناراً ونور
أشعل الحب والحقد في دمنا
زلزل الطمي في غورنا وانكفأ

دمكم ـ دمنا
سال لكنه ما انطفأ ..

(يا ام الشهيد زغردي
كل الشباب اولادكِ)

الاذاعات والصحف المترفه
تجهلُ الفرق يا اخوتي
بين معرفة الدم والمعرفه
فاكرزوا في الشعوب اكرزوا بآسمنا
دمكم صوتنا !

أين سخنين . عرابة . كفر كنه ؟
أين بحر البقر ؟
أين يا إخوتي دير ياسين أو كفر قاسم ؟
أين يا إخوتي نور شمس ؟
أين يا إخوتي عين جالوت أو ميسلون ؟
أين ؟

لا نسألُ !

أين ؟

لا نجهلُ !

نحن لا نجهل الفرق يا إخوتي

بين معرفة الدم والمعرفة

نحن لا نسأل الخارطه

دمكم وحده الخارطه

ليس للنقب أو للجليل

دمكم شارة في الطريق الطويل !

عندما يفقد الزمن النذل أعصابهُ

عندما يفتح الموت أبوابهُ

تنتخي أختنا ، يرتخي المستحيل

ويصيح العذاب الفتي العجوز :

زيوناز

قرية الشهوة القاتلة

ينتهي أمرها نقطة في كتاب الرياح

اكتشفتُ منابعها والمصب
ينتهي أمرها نقطة في كتاب الرياح
بيننا النار والدمع والشجر اليابسُ
بيننا أبدٌ دامسٌ
فلتقل كل ما تشتهي
ولأقل بعض ما أشتهي
في الصباح
أمرها منتهِ
نقطة في كتاب الرياح .
لعناوينها شفرة (أيها الموت خذ بيدي)
لدمي شفرةٌ ..
فانهضوا !
حكمة الدم يا فتيتي ان يسيل !

(تنقذني من موتي البسمة
يا وطني تنقذني البسمة
حين أرى أطفالك في الساحات
شرراً يحرق أعصاب الدبّابات

حين أرى أطفالك
يلقون قشور الموز على الطرقات
فعسى ولعلّ
يتزحلق علجٌ من جيش المحتلّ !)

يا له منْ عماس
أن تداس الشفاه التي أقسمت
أنها لن تداس !
عارنا فادح . حقدنا فادح . والألم
هل بكينا ؟ أجل !
غير أن دموع الغضب
لهجة في بلاد العرب
فاسمعي يا جميع الأمم
(أرض الملّ لأصحابه
مش لرابين وكلابه)

موتنا جملة كامله
فلتفك الرموز معاً
ولتكن بئرنا راحة القافله

بثرنا ؟
بحة الموت في صوتنا
صوتنا ؟
يعلم الله يا صاحبي
يعلم الله يا صاحبي

بين ليلين : ليل الهلاك وليل الهلاك
تقرع الارض اقدامنا الحافية
والضباع هنا أو هناك
ترصد الخطوة الباقيه
غير أن الألم
لم يزل جاهزاً للقتال
والشجر
لم يزل جاهزاً للقتال
والمطر
جاهز للقتال
فآسمعي واشهدي يا جميع الأمم

(بالروح بالدم
نفديك يا وطن)

عندما أطلقوا النار صاح الشهيد
أطلقوا النار كيف اشتهيتم
طلقة .. طلقة .. وانتهيتم
ثم غاص الشهيد
في مطاوي جذور الجدود
واستوى في ذَرى مكة صائحاً :
وها أنا يا يوم القيامة عاظِبٌ
يـبـددني وَكْسٌ وبجمـع لازبُ
تدثر أثواب الأفاعي جـوارحي
وينهشني همٌّ من الروح ناصب
ولكنَّ لي سـراً قديمـاً ذخـرتـه
يشع فدربٌ في الدجنات لاحب
أُنـاقِبُ فيه كـل وجـه نسيتـه
وكم شام وجهي في ثناياه ناقب

مقيمٌ على ضيمٍ مقيمٍ .. وانني
مقيمٌ وطاغوت الطواغيت ذاهب
فيا قاتليَّ استكملوا كل عـدة
وصولوا وجولوا واحشدوا وتكالبوا
تقمّصت الحـوبـاء مني عــوالماً
اذا غاب منها نابض عاد غائب
ويا قاتليَّ اليوم صـدقٌ شهادتي
ومـوت المحبين المعـاميد كـاذب
أنا الحقُّ جلتْ عن نكوصٍ مشيئتي
وها أنذا قد شئت والحق غالب

ثم ضجت شرايينهُ
وعلى مسمع الخوذ البربريه
صاح في الساحة المركزيه :
جسدي غيمة . صخرة . مدرسه
جسدي ألف طفل جديد
جسدي قبلة . صاخة

جسدي أرغن الموت والبعث
فلتسمعي يا جميع الأمم :
أهديلٌ ؟ أم غرغرات دماءٍ ؟
أم لواء مصفق للواءِ ؟
أم تراها زغرودة للسرايا
أطلقتها سُكَيْنة من خباء ؟
لا تسل . والجواب في كل وجه
من وجوه العروبة السمراء
غمغمات وجلجلات تدوِّي
بين فجرٍ كاب وليلٍ مُضاء
يقتل الجزرُ مدّه . ثم يعلو
ألف مد على رقاب الفداء
انها سُنّةُ البطولات : كرٌّ
بعد فرٍّ . ومطرح للرجاء
فتقرّ القبور لا لوقوف
وبكاء .. لكن للاستيحاء !

(يسعدني أن أعلن للعالم
أنك يا وطني ترجيء موتي حتى ميعاد آخر
حتى يتضح الفرق الهائل
بين المعرفة ومعرفة الدم
فلتأت شعوب الأرض إليَّ اليوم
ولتسمع أرغن جسدي
يتفجر بالدم الصاخب
بين الكدف الأحمر والعشب الأخضر
ولتشهد وجهي الساطع في ليل الأعداء
شمساً تحرق ذيل العصفوره
ناراً تأكل جذر الاسطورة .
ولتدل شعوب الارض بأقوال شهادتها
في محكمة العدل الدولية
لا في لاهاي .. ولكن في سخنين !)

ـ كيف حال البقايا . بقايا الحضارات من ليلها الهتلري ؟
ـ أصبحوا اليوم في حالة جيده !
يتقنون الهجوم المفاجىء
يتقنون السجون الحصون الموانيء
يتقنون المطارات (في أرضنا) والملاجىء
يحسنون اقتحام البيوت
لاعتقال صبي يموت

أصبحوا أقوياء
يجرؤون على نسف دار وتشريد طفل
أصبحوا أقوياء
يجرؤون على غزو مدرسةٍ
يجرؤون على سحق شيخ وتسميم حقل
أصبحوا أغنياء
يشترون بأثمان أطفالهم ما اشتهوا من سلاح
أصبحوا مأتماً دائماً
في الطريق إلى مهرجان الصباح !

آن أن يزهق الباطلُ
آن أن يعلم اللص والقاتل
أنه لن يطول الحوار
بين كف الشعوب ومخرز أعدائها
لن يطول الحوار
بعد ليل قصير يطلُّ النهار
تجمع الأرض أشتات سيمائها

ينطق الأخرسُ
ينهض المقعدُ
تبرأ الشمس من كل أوبائها

عاود الفرس والروم كَرّاتهم
لحمنا نهب أنيابهم ..
فاخرجوا من شرايينكم !
آن يا إخوتي
آن أن نبعث الثائر المصطفى
آن أن نشهر الثورة الرُّمح والمصحفا
آن أن يعلم اللص والقاتلُ
أنه زائلٌ
زائلٌ
زائلُ !

٢ ـ مع الموت شخصياً !

سلّموا لي عليه
والثموا راحتيه
صار حنجرة . جرساً . مطرقة
أُنظروا !
ها هي الارض يا إخوتي
باسمهِ تفتح اليوم أبوابها المغلقة !

من قديم الزمان التقينا بهِ
من قديم الزمان انتمينا إليه
سلموا لي عليه
أيها الموت ـ قولوا له ـ أيها الموت يا خبزنا
أيها الموت يا كنزنا
من قديم الزمان انتمينا اليك
ما بخلت علينا

أياديك تلوي باعناقنا
ووهبناك كل الذي تشتهي
ما بخلنا عليك
وانتمينا إليك !

(هل يختلط الأمر علي ؟
هل يختلط الحابل بالنابل ؟
تتنافى الأقطاب
تندغم الأقطاب
توصد أم تفتح من حولي الأبواب
ويلمّي . أقضم شفتيّ
هل يختلط الأمر عليّ ؟!)

يومها .. أَوْلَمَ الموت
فاجأته قبل أن يلمس الزاد
حيَّيتهُ محرجاً
صاح في غبطة : يا هلا !
جائع أنت يا صاحبي
والطعام هنا وافر . يا هلا !

جائعاً كنت ، يا إخوتي ، مبتلى
واقتحمت الطعام . التهمت يديَّ
التهمت على عَجل عنقي . واكتفيت
جرعت نبيذ دمي وارتويت .
قلت : شكراً جزيلا
دعاني الى الوجبة القادمة .
كانت الوجبة القادمة .
يوم أن أكلت كل أولادها القرية الظالمة !

(يتخبط في الزنزانة دوريّ
يرفضِ ان يمكث في الأسرِ
ويرفضُ ان يرحل
الزنزانةُ محكمةُ الأقفال ، يحاصرها عسكر زيوناز
صاح : « أجرني ! »
رد الباب « اجيرك ! »
ردَّ العشبُ الأخضر من تحت نعال الجند
تَقتُلُ أو تُقتَلْ
لكن لا ترحلْ »
ردت أزهار البريةِ من سفح التلّ :
« أنت القول الفصلْ ! »

قال : « الموت المرُّ . إذن .. »
ردَّت أشجار الزيتون : « بل الموت العالي !
لا بأس عليك
واضرب بجناحيك
حتى لا تسقط
واضرب بجناحيك ! »)

حالة الطقس : صوانة في حساء العدو
شجر زاحفٌ
حفنة من تراب الوطن
في عيون العدو .
صيحة شعشعت في التلال :
« راية .. أو كفن » !
حالة الطقس : مستقبل عاصفٌ
يا نسيم المساء العليل
كيف حال القتيل وأم القتيل ؟
إنما الوقت يا إخوتي غامضٌ
قابل رافضٌ ..

(أنت تحديت استشريت سطوت
أنت تماديت قسوت استعديت غزوت
فاركع
وتصدع
نوك أوت
أنذا صاعقة الموت !)

فارس الدم والمسك والقمح والياسمين
عاد من غربة في أقاصي السنين
سلموا لي عليه
والثموا راحتيه ..
كان همهمةَ الناسكين
بانتظار الأعاجيب في لهفة المحرقة
صار حنجرة . جَرَساً . مطرقة
فانظروا !
ها هي الأرض يا إخوتي
باسمِهِ ،
تفتح اليوم أبوابها المغلقة !

قد نمهل لكن لن نهمل

إني أبصره في عينيك

أبصره يلمع في أنفك ويورِّد خديك

إني أبصره في شفتيك

دم أهلي

دم أهلي

ينزف من رأسك حتى قدميك

أبصره يشخب في فكيك

دم أهلي

أسمعه يصرخ

لكني أعلم أنك أوصدت بلحمي أذنيك !

تقتل في عز الظهر وترث المقتول - على عينك يا تاجر -
تقتل وتصلي . تلتمس الغفران . فأيّ إله فاجر
يقبل كفارة عارك . لن تنعم بالصفح . استرسل
كل شفاعات الارباب هراء
واسترسل
دمع تماسيح التاريخ هراء
واسترسل
كل محيطات العالم لن تغسل كفّيك
دم أهلي ينزف من رأسك حتى قدميك !
سيف لا عذل . سبق السيف . نواياك كتاب مفتوح
سبق السيف . قرأنا المكتوب من العنوان

سبق السيف . قرأنا المكتوب من العنوان
وتظل تقول وتفعل ،
لا نجهل ،
أنّا أسرى ريكاردوس قلب الذئب
رهائن شاه الفرس وأسرى ملك الرومان

لكننا لا نجهل لا نجهل لا نجهل
أنّا الارض وأنّا الانسانْ
أنّا الماضي والحاضر والمستقبل
فاقتل في عز الظهر لكي ترث المقتول
دمنا يتبرع للأرض
بكل خطوط العرض
وكل خطوط الطول ..
أقتل واسترسل واستجدِ الصفح
محيطات العالم لن تغسل كفيك
دمنا ينزف من رأسك حتى قدميك !
تنهش في وطني شبراً شبرا
تنهش في لحمي شبراً شبرا
أكثير أن يبقى من وطني مسكب بقدونس ؟
أكثير ان تبقى ساحة سحجة ؟
أكثير أن يبقى مرقد عنزة ؟
أكثير أن تبقى زيتونة ؟
بئر ؟ دالية ؟ ليمونة ؟

تنهش في وطني
تنهشني
شبراً .. شبرا
هل تترك لي موضع مهدٍ ؟
هل أملك من وطني قبرا ؟!

يا يوشع بن نون
إسمع
يا يوشع
أوقفتَ الشمس على اسوار اريحا ؟
ارضيت الرب القاتل ؟
لا نعلم
لكنا نعلم ان الشمس تسير
نعلم أن الشمس تسير على اعناق الشهداء
من بحر البقر الى حطين
نعلم ان الشمس تسير على اعناق الشهداء
من جبل الشيخ الى سخنين

الشمس تسير وتنمو تكتمل على لهب جراح الشهداء
من عربستان الى لبنان
ومن المغرب لفلسطين !

يا يوشع بن نون !
من قرن تحفر في لحمي
تحفر في لحمي سنجة ناطقك الرسمي وناطقك الشعبيّ !!
فاسمع يا يوشع
أنذا اتكلم بأسم الشعب العربيّ
من قمم الاطلس حتى قمم ظفار
حتى قمة حيدر والجرمق حتى قمة صنين
اتكلم بأسم الشعب المطعون
وبأسم الانسان المطعون
فاسمع يا يوشع
قد نتعطش يوماً لحليب الناقة في واحات البيد العربية
قد نتعطش يوماً للجرعة من زمزم
قد نتعطش يوما لزجاجة ما وَرْدٍ بغدادية

ولبطحة عرق زحلاوية

لكنا لا نتعطش للدم

ننتصر ونُهزم

لكنا ننتصر وأيدينا مشرعة للسلم

لن يطفىء نار ارادتنا

لن يطفىء نور محبتنا

طوفان الدم .

قولوا للجد الطيب نوح

هيىء فلكك من اجساد الشهداء

واصعد يا نوح على طوفان الدم

بعد الشدة يرسو فلكك في قمم الزيتون الخضراء

الدنيا .. عال

عال العال

قولوا لخواجا يوشع بن نون :

تملك احسن فانتومات الانكل سام ؟

لا ننكر . أبداً لا ننكر !

تملك آخر ما ابدعت التكنولوجيا
من غواصات وصواريخ ورادارات ؟
لا ننكر . ابداً لا ننكر !
تملك اسلحة من كل الأشكال وكل الالوان
اسلحة لم تخطر في بال الشيطان ؟
لا ننكر أبداً لا ننكر
لكن ..
من يملك كوشان الأرض وكوشان التاريخ وكوشان الانسان ؟
من يملك منا الكوشان ؟
تملك اسلحة جيشاً بوليساً وهراوات
تملك علماً صحفاً ونشيداً وطنياً وسفارات
حقاً حقاً
لكن .. في جيبي .. في عب القمباز أصون الكوشان .. !!

إسترسل . أحسنتَ . استرسل
سفاح الحب السلم الشجر العشب الانسان
للصمت أوان

للحزن أوان
للذل أوان
لكن جنين الثورة ينمو في رحم القهر
الثورة تتوالد
الثورة تتصاعد
في كل زمان ومكان
والثورة حتى النصر !

قد نمهل .. لكن لن نهمل
استرسل واسترسل
فجّر ما يثقل روحك من أورام الشهوات
هات وهات
ما زالت في الأرض حجارة
ما زالت بضع زجاجات فارغةٍ
نقذفها في وجه الدبابات !!

(«الاتحاد» ٧ ايار/ ١٩٧٦)

الموت يتمر . !

نُزِّهتَ .. سخطك لن يؤول عتابا
فـافتح لصـاعقة الـدم الأبوابـا
نزهت يا شعباً تمرس في الأسى
واجتاز من حلك الطغاة شعابا
شعبي ! على كل الجهات أصيحها
«شعبي».. فهاتي يا جهات جوابا!
دهرٌ على دهرٍ وجرحي نـازفٌ
والقيـد ينشب في دمي أنيـابـا
وأصيـح بالجـلّاد : زدني قسـوة
زدني .. فمن عرف الهوى ما تابا

ولأجل من أهوى يطيب ليَ الردى
ويطيب بعثي صحّةً وشبابا
آمنت بالقتلى استعادوا نبضهم
وشبابهم واسترجعوا الأحقابا
مَن ظنَّ اشجار العجيبة صوّحت
عجباً يطالع عندنا وعُجابا !
يا أيها الأمم انهضي وتطلعي
نجم المجوس دمي الذي ما غابا
ولتشهدي يا أيها الأمم ، اشهدي
بعث المسيح ، إرادةً وطِلابا
الموت يُثمر ثورة وسواعداً
حمراء تشهر في الظلام شهابا
شعبي يرد لقاتليه ديونهم
ويرد من ماضي الثواب ثوابا
ويرد كيد الكائدين لنحرهم
ويرد غيّ السادرين صوابا

عَبِّـد فديتـك بالضحـايا مـطلعاً
للشمس ، وليكن الغـزاة ضبابـا
هيِ ضربةٌ أخرى ، وترشد قحبَةٌ
شمـــطاء في اكفـــانها تتصـــابى
فليفهم المحتـــل أن عـــذابنـــا
نـــارٌ تحيـل فلولـــه أحـــطابـــا
هيِ ضربةٌ أُخـرى وانّي مبصرٌ
صرف الزمان : جريمةً وعقابـا !

(١٩٧٤)

وحي الشعب

غيرَ اللواءِ الحرِّ لا نترسَّمُ
وبغيرِ آلهةِ الفدى لا نُقسِمُ
ولغيرِ قُدسِ الشعبِ لَسنا ننحني
وَبغيرِ وحي الشَّعبِ لا نتكلَّمُ
فلتشربِ الراياتُ نخبَ جراحنا
كأساً يفيضُ على جوانبها الدَّمُ
ولتمطرِ الشمسُ، المؤَجَّجُ شرقُنا
ما عاد في قبو الليالي يحلمُ
ولينظر التاريخ .. في بستاننا
مجدُ العصور الخالياتِ يُبرعمُ
والريحُ إن هبَّتْ فنحنُ هبوبها
والنارُ ان شبَّتْ فنحنُ المضرمُ

وإذا العـروش تَهدَّمتْ وتنـاثرتْ

فلدى معـاولنـا القضـاءُ المبـرَمُ

وإذا الملوكُ تحـطَّمت تيجـانُها

فعـلى نعـالِ زحـوفنـا تتحـطَّمُ

وإذا المـدارجُ ضَـوَّأتْ فـأكُفُّنـا

شُعلٌ يخرُّ لها الظلامُ الأسحمُ !

يا سائلاً من نحنُ ؟ نحنُ روايةٌ

حلفتْ بغيرِ الفجرِ ليستْ تُختَمُ

في كلِّ سطرٍ ألفُ ألفِ جريمةٍ

عـزَّ القتيـلُ بهـا وذلَّ المجـرمُ

بُضـعٌ ممـزَّقـةٌ تلوكُ هـوانها

ورؤى مُـدَمَّـاة وقـيـدٌ مُحكَـمُ

ومسـوَّدون من العبيـد حكيمهم

فـدمٌ ، وقـادرُهم كسيـحٌ أَجـذَمُ

إن شاءَ مولاهم حجازاً أحجَزوا

أَو شاءَ مولاهُم شـآماً أَشـأموا

في كلِّ يومٍ للمُغير وليمةٌ
ولشعبهم في كلِّ يومٍ مأتمُ
والغاصبون ترابنا وسماءَنا
رتعوا بخير فجاجنا وتنعَّموا
النارُ والفولاذ عُدَّةُ كيدهم
طوراً وطوراً خدعةً لا تعصمُ
ان ثار ناقوس المسيح تنصَّروا
واذا تمرَّدت المآذنُ أسلموا
مستعمرون على الضحايا شيَّدوا
أركان مجدٍ بالضحايا يُهدَمُ
لَصُّوا من النيلِ الحبيب مواسماً
حتى استفاقَ فَللبطولةِ موسمُ
صَحَت الكنانةُ من سدى أفيونها
ودعتْ بنيها الراصدين فأقدموا
جيشٌ طلائعه الجراحُ وحقدُها
يحمي به الشمسَ النبيُّ المُلهَمُ

ومـدارسٌ ومصـانـعٌ ومـزارعٌ
ومـلاعـبٌ ومـواكبٌ تـتـقـدَّمُ
الإشتراكيون ! فـاهزج يـا دمي
ولتسمعِ الدنيا وتُصغِ الأنجُمُ !
وعلى ضفافِ الرافدين تكـالبتْ
زُمَرٌ ، كما شـاءَت تُبيحُ وتَحْـرِمُ
حتى إذا نـادى القتيـل بثـأره
هـزَّ الدمَ الصَّلْدَ النـداءُ المُرزمُ
واستيقظت بغدادُ وانداح اللظى
فـالويـلُ للطاغوت ممَّـا تكـظمُ
« نوري » على مهوى النعال معفَّرٌ
والعـرشُ من آل العبيـدِ مُيَتَّمُ
« الثأر ! » فالشرق القديم مشاعلٌ
والمُـدقعـون مقـادرٌ لا تَـرحَمُ
« لبَّيك ! » فلتلج المسوخُ جُحورها
لن يحبس العملاقَ ذاك القُمقُم

« لبَّيك ! » من شطِّ الجزائر أرعدتْ
فإذا صداها في الخليجِ يُدمدمُ !
يا سائلاً من نحن ؟ عفو جراحنا
إن صاحَ أفدحُها ولم يُسعفْ فمُ
من نحنُ ؟ نحن حشاشةٌ مشطورةٌ
شطرٌ يلوبُ وصنوهُ يسترحمُ
نحنُ الأبُ المحرومُ زَقَّ فراخِه
والتوأمُ المنفيُّ عنه التَّوْأمُ
نحن المروج المثقلاتُ من الجنى
وحصادُها للزارعينَ مُحرَّمُ
نحنُ القُرى الأطلال يسكُنها البلى
والبومُ والصمتُ البليغُ الأبكمُ
منَّا بآفاقِ الرحيل مضاربٌ
شتَّى ، ومنَّا عروةٌ لا تُفصَمُ
نحنُ الزحوف العائداتُ غداً ، غداً
فجراً على أُفقِ العروبةِ يبسمُ !!

(١٩٦٤)

شظايا

السيف في خابية الزيتِ
في قمرِ الصفيح والخيام
وجثتي تفاحة الموتِ
والعار في الحرب وفي السلام

داليةٌ مُشتعلهْ
رفُّ عصافير وصولجان
أعجوبة كاملة مكتملهْ
عصاي أفعوان !

من الذي يطرق باب الدارْ
في هذه الساعة ؟
رُدّي على الفؤوسَ يا أشجار
ولتسقط الطاعة .

أصابعي جاهزة للقتل
فلتهجم الذئاب
ألويل ثم الويلَ
لنْ أوصد الأبواب

لا ليس لي اليومُ
لكنني أمتدْ
أكتسح الحد وراء الحدْ
وجسدي الرياح والغيمُ .

الرجل الذي زار الموت

خلُّوا القتيــل مكفناً بثيــابــهِ
خلوه في السفح الخبير بما بهِ
لا تدفنوه وفي شفــاه جراحــه
تَــذْوي وصيَّــة حبِّــه وعــذابــهِ
هل تسمعون ؟
دعوه نسراً دامياً
بين الصخور يغيب عن أحبابهِ
خلوه تحت الشمس ، تحضن وجههُ
ريــح مــطيِّبة بــأرض شبــابــهِ

لا تغمضوا عينيه ! إنّ اشعَّةً
حمراء ، ما زالت على أهدابه
وعلى السهول الصفر رجع ندائه :
يا آبهاً بالموت .. لست بآبِهِ
خذني الى بيتي ..
أرح خدِّي على أعتابِه
و « أبوس » مقبض بابهِ
خذني الى كرم اموت ملوَّعاً
ما لم اكحِّل ناظري بترابه
خلّوا القتيل على ثراه ممددا
نزف الدماء وغزّ في الطين اليدا
حرموه اغراساً فعاد بغرسةٍ
من لحمه الدامي .. ورحَّب بالردى
من كان ؟
مرُّوا في خرائب قرية
مهجورة تجدوا له اسماً في الصدى

من كان ؟

حَوْر العَين يذكر راحةً

حفرتْ ، ووشماً في الجذوع مؤبَّدا

ولمن سُراه ؟

سلوا هنالك نصبةً

سقمتْ ، فصاح ! انا فداكِ .. أنا الفدى !

حَدَج الخيام الغُبر ، غير مُسلِّمِ

ورنـا لـطفلتـه ، ولم يتبسَّمِ

وتجهَّمت في حـاجبيـه سحـابةٌ

سـوداء ، من تـاريخـه المتجهِّمِ

وتفصـد العرق المسمَّم ، حـافراً

في وجهـه قسمات نسـرٍ مُقدِمِ

آتٍ أنا !

وتقحمت خطواتُه

درباً تَعبَّد بالجماجم والدمِ

آتٍ أنا !

فتهيَّأي للقائهِ

يا جنةً مدغومةً بجهنَّمِ !

منذا ؟

وأمطرت البنادق حقدها

وتمزَّق الصدر المعرّى للغدِ

منذا ؟

وضم السفح ساقاً تنحني

منخوبةً .. وتصيح : يا أختُ اصمدي !.

سجـد القتيـل ، ووجهـهُ متهلِّلٌ

وطني ! لغيرك أنت .. لا .. لم اسجدِ

وتلمست يمنـاه - جبهـة صخـــرةٍ

هلعت عليه ، فقال: زرتك فاشهدي!

وتـــزاحمت صـورٌ وراءَ جبينـــه

صـورٌ مغبّشـةٌ ، تضيـع وتهتـدي

رملٌ ..

خيامٌ ..

نصفُ وجه ميِّت

يابا تعال !

حفيفُ ثوبٍ أسودِ

جُثَثٌ ، وطفلٌ صارخٌ في رحمه :

قتلوا أبي ! قتلوه ساعة مولدي

الضوء يغربُ .. والملامح تنطفي

والسفح يهوي في المدى المتلبدِ

وصدى نداءٍ ، بالدماء مُبَلَّلٍ

يا من ورائي ! لا تخونوا موعدي !

هذي شراييني ..

خذوها ، وانسجوا منها

بيارق نسلنا المتمرِّدِ !

(١٩٦٧)

صيحة إزاء بوابة عكا

مَن مُنصفي مِن أربُـعٍ وديـارِ
هي جنَّتي يوماً ، ودهراً ناري ؟!
مَن مُنصفي وحلاوةُ الغد صيحةٌ
مكتـومـةٌ بمـرارةِ التـذكـارِ ؟
ألعفوَ إن حَجَّتْ إليكِ سريرةٌ
دَنِسَتْ بـإثمِ الصمتِ والأسرارِ
والعفوَ إن هزَّت رقادَكِ صرخةٌ
عصفتْ على ضيمٍ وطولِ إسارِ
لهباً اتيتُك ، ألفُ بحرٍ هائـجٍ
ذَلَّـتْ أمـامَ إرادتي وأُواري

عكّا ! اتيتُك ، لا ترينَ كلبشتي
فلتسمعي أهزوجةَ الثوارِ
ولتُبصريها رايةً خفّاقة
صُبغتْ بسيلٍ من دمٍ فوّارِ
الراية الحمراء ، نسج لحومنا
خفقتْ على شهدائنا الأبرارِ
عكّا ! أتيتُك والجراح رفيقتي
وبنوكِ كوكبةٌ من الأنصارِ
كُنتِ المنارَ لكل جرحٍ تائهٍ
لكنَّ جرحكِ تاهَ دونَ منارِ
وعلى عيونك ألف حلمٍ رائعٍ
متوهّجٍ بالحبِّ والأزهارِ
قاسٍ يقينُ العارفين وباهظٌ
عبءُ البصائر زيدَ بالإبصارِ .
أنذا أمدُّ يديَّ صحواً موقناً :
الموتُ أهلي والجريمةُ جاري

وأنـا فطيمـك شـرَّدتني ضـربـةٌ
عمياءُ .. قالوا ضربـة الأقدارِ !
قالوا ، وذلَّ القـائلونَ ، أكذبـةٌ
خـرقاءُ تنقـذُهم وتُخمد ثـاري ؟
وأنـا يهوديُّ المحـارقِ ، أوقدتْ
أوشفتس أحزاني وشمس نهاري
والأرمنيُّ أنــا ، نصبتُ جمـاجمي
عـظةً لعهـدِ المـوتِ والإصـرارِ
عكا ! فمدّي لي يديكِ وأزّري
نصري ببعضِ صلابـةِ الأسوارِ
ولكـلِّ أرضٍ مـوسمٌ ، لكنّـما
لا بدَّ من فأسٍ وبعضِ بذارِ !

(عكا ـ أيار ١٩٧٧)

زغردت بنت الأكابر ..

أبشر ! ومثلك للبشائرْ : بين السواعد والسرائرْ
وانفض رخام الموت ، وانهض من ترابك يا «ابن عامرْ»
أولم يزلزل قلبك المغدور زلزال الحناجرْ
من دَرْدَبات الصيِّد في فجر الإرادات المصائرْ
حضنتْ زغاريد الحسان النصرويّات الحرائرْ
العائدات وقد قطعنك ، آخ ، في ليل المجازر(*)
نادتكَ «ناصرة» الجليل ، وزغردتْ بنت الأكابرْ
فانفض تراب الموت وانهض من ضريحك يا «ابن عامر» !
طالت ليالي الشوق والحرمان ، يا حبي المهاجر

طالت وإنّي صابر ، يا سيدي ، في النار صابر
طالت ، ولاسمك أورقت من طول تعديدي المنابر
وعلى جبيني اطفأ السجان الاف السجائر
واذا شكوت فللطغاة ، وعدت والطغيان سادر
فليكتسح غضبي قتام سجونهم ، والنهر هادر
أنا مشترٍ عُدد التحدي .. فلتبع أُمي الأساور !

ماذا على المظلوم ، صاحَ: «اما لهذا الليل آخر؟»
ماذا على المقهور لو هزّ العصا في وجه قاهر ؟
ماذا على القتلى إذا هُم زلزلوا ليل المقابر ؟
ماذا عليكَ ، وقد أدرت على الطواغيت الدوائر ؟
ماذا عليك ؟ سلمتَ يا شعب المنافي والمخافر
شعبي ! سلمت مصدِّعاً أنيابَ تنّينٍ مُغامر

حَيَّتك ناصرةُ الجليل ، وزغردتْ بِنتُ الأكابر
فارفعْ على الليل المنائر : باسم الأوائل والأواخر
وليسمع الظُلّامُ صوتك : «قادرٌ ، أنا ألفُ قادر» !

سأرد كيد الكائدين بكلٍّ ثائرةٍ وثائرْ
وأصيح بالشمس : أبشري يا شمس! هذا الليل عابر!
واصيحُها «وطني» بملءِ فمي .. وأهزأ بالظواهر

وَطَني ! ويا طفلاً تمزّقهُ الأظافر والخناجر
لترابك الدامي أناشيدي .. وللشمس القياثر
فليهرفِ الفاشست .. حسْبُك انهم هاذٍ وهاذر
أللهُ اعطاهُم ترابك ؟ فاستفيقي يا ضمائر
لو صحَّ أن الله أعطاهم .. أنا بالله كافرَ !

ألأرضُ ، يا عمِّي ، تدور .. ومِقودُ التاريخ دائر
فليلغط المتشدِّقون الغُبر ، من فدمٍ وقاصر
وليحشدوا للزور والبهتان .. حَشد الحقِّ ظافر !

فولاذُهم يدمى ، إذا أنشبت يا شعبي الأظافر
والنقع منحسرٌ .. ويُحصى كل كسَّابٍ وخاسر
فانفُض رخام الموت .. وانهض من ضريحك يا «ابن عامر!»
نادتك ناصرةُ الجليل ، وزغردت بِنتُ الأكابر

(عام ١٩٧٠ تلقّى الشّاعر دعوة من اتحاد الطلبة العراقيين في اوروبا للمشاركة مع محمد مهدي الجواهري في مؤتمرهم المنعقد في مدينة روستك الالمانية الديمقراطية ، الواقعة على شاطىء البلطيق . لبّى الشاعر الدعوة وألقى هذه القصيدة التي يعارض فيها قصيدة الجواهري الشهيرة . وقد كتب سميح القاسم هذه القصيدة في غمرة الأنباء الواردة من العراق آنذاك، عن تعذيب الوطنيين واختطافهم وقتلهم. حال المرض دون مشاركة الجواهري في المؤتمر ولكن بعد حين التقى الشاعران في مدينة براغ فقال الجواهري: حدّثوني كثيراً عن قصيدتك وأودّ لو أسمعها. قال سميح القاسم: هذا حقك وواجبي .. إذن فاسمع.

من حين لآخر كان ابو الفرات يقاطع صاحب القصيدة تحيباً :
« أعد ، أعد يا عدوّ الله! »)

شهداء الحب

صادٍ وحفنةُ ريٍّ منك تكفيني
فجد نُميتَ لأجوادٍ ميامينِ
كم آيةٍ دفقت من راحتيك على
بيدي فأورقَ تفاحي ونسريني
وكم تليدٍ على شطيك صحتُ به
انا طريفك لا تهزأ بمكنوني
فهل أجرتَ حفيداً خاب موسمُه
وعاد يرشحُ حنّاء الميادين ؟
وهل رددتَ الى البستان نُضرته
وهل هدرتَ ودوني منكَ ما دوني ؟

يا دجلة الخير ! من لي أستجيرُ به
وقد خبرتُ مراراً غدر قـايين
يا دجلة الخير ضجّت كل جارحةٍ
مني ، وأنت مُشيحٌ لا تُلبيني
وارَنْتُ وجهك من اعماق مجزرتي
فهل تراني بعينَيْ مُفشغٍ دونِ ؟
أم هجَّن الأسرُ صوتي فاغتربتُ به
أم صار دَرُّك سماً للثعابينِ ؟
ما خطبُكَ ؟ اقْترفت في الشط معصيةً
وأنتَ تُعرضُ عن دنيا وعن دينِ
عهدي برفدك ميراثاً تتيهُ بـه
على الأزانين بغدادُ الافانينِ
أعذتَ اهلي من شحٍّ وما وُهبوا
غير المفصَّد من نهر الشرايين
وليس بي ظمأٌ للدمّ .. إنَّ دمي
كما علمتَ لو استسقيتُ يُرويني

لكنَّ بي ظمأً للشمس ، تجرعُها
غُبر الجِذاء فتُحييها وتُحييني !
احللتَ جَدِّيَ من نعماء سابغةٍ
وما حللتُ سوى شوكٍ وغسلين !
فلا ضفافُك بعد العزّ وارفةٌ
ولا أطالُ جنيّاً من بساتيني
وان هتفتُ يُلبِّ الصمتُ أدعيتي
وإن صمتُّ ، سُلالاتي تُناديني !
يا دجلةَ الخيرِ صكَّ القلبَ ما سردوا
فهل ركنتَ لاشتاتِ السلاطينِ ؟
يُقال صار نخيل الشط مشنقةً
للثائرين على عار الملايين
يُقالُ شحمُك لَوْ جَسَّ العدى ورمٌ
وأنت تُلقى الى جُبٍّ وتلقيني
في عقر دارك جزَّ الروم ناصيتي
وجاوزت خيلهم أبواب حطينِ

لكنَّ ظلم ذوي القُربى اشدُّ على
روحي الجريحةِ من ظلمٍ يقاويني !
ما كربلاءُ ! وفي بغداد نازفةٌ
دماء شعبي من حينٍ الى حين ..
يا دجلةَ الخير ، فاجرف كلَّ شائبةٍ
واسقِ المحبّين ، واغسل إفكَ مأفونِ
نزَّهتُ جرحَكَ عن غدرٍ بمن ضَمَدوا
جُرح الشعوب بأعصابٍ وزيتونِ
هم الأيابس والأسياف مهزلةٌ
تُبكي وتُضحك أيام الهوى الجونِ
تفشّقوا العَلَم المخضوب واخترقوا
الى الحياة قتاماً غير مأمونِ
فما اقول اذا استُنطقتُ عن وجعي
والجُرح جُرحي وَالسكّين سِكّيني
ويوم يزحم وجه الموت ذاكرتي
أبكي عراقيَ أم أبكي فلسطيني ؟!

مجنون فلسطين

في استقبال العائد من الحياة
العائد من الموت الشاعر
عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)

ماتَ وهماً . فهل تعيشين وهما
يا التي كنتِ منه روحاً وجسما ؟
أرَّقتــه الحيــاة في رمق المنفى
وآلى لن يقـطع المـوت نـومـا
وهــو مــودٍ بنُشفــةٍ من بقــاءٍ
كي تظلي عبر الردى له نُعمى

كيفما شئتِهِ أقام وولّى

وبما تشتهين أكرى وأرمى

أنت من بايعتْه «مجنون سلمى»

يا فلسطين، واذكري، أنتِ «سلمى»

باركيه في الموت حباً وشوقاً

لرحابٍ نَمَتْه طيناً ونجما

أمحلتها طوالعٌ سيئات

فتصدى بالخصب عشباً وغيما

عاشقٌ عاشقٌ تجسَّد بالعشق

وجلّى بالعشق طيفاً فحلما

وامنحيه على الهجيرة ظلاً

وارفديه من غُنْم حبك غُنْما

يا فلسطين ! واشددي منه أزراً

وأعيني فجراً على الليل همَّا

لا تقولي حُمَّ القضاء .. فلا

غير الكفاح المسكون بالهول حُمَّا

لم يزل صوته يرف مع الرايات ...

حُمـــراً . ويلهبُ العزم عَـــزمـا

لم يـزل عاصفـاً يدك عـروشاً

فرخت ، للعدى ، ظـلاماً وظلما

يـا ملوكاً كـانوا وظلّوا عبيـداً

لـلعبيـد الـغـزاة بـــرّاً ويمّـا

تلك تيجـانكم نعـال الأعــادي

عائثات في الأرض عسفاً ولؤما

كم شَننتُم ، على المنابر ، حرباً

وقعـدتم في الحرب صماً وبكما

لعنـة الله ! هــل يتّم إمــام

بـايـعَ الجهـلَ واستـزاده علما ؟

يـوسـع النفط والبنـوك صلاة

ويرى الطب يوم يتخم صَوْمـا

أمقيــلٌ من العشــار كسيــحٌ ؟

ودليــلٌ في المــدلهمّــة أعمى ؟

فاعصفي يا رياح ناراً ونوراً
وانزفي يا جراح شهداً وسُمّاً
واخطفي يا بروق نصلاً رهيفاً
واقصفي يا رجوم هدماً وردما
جَلجِلي زلزلي وأجّي وشجّي
في عُرام يعود باسمِ المُسمّى
طَفَح الكيل ! والعروبة لغو
وصغار الحكام أكبر حُكما
يعلنون الجهاد غرباً وتُثنى، الخيلُ
شرقاً والشرق ينفض ضيما !
يا ربوع الأحواز يا بنت عمّي
كذبوك الوعود خالاً وعمّاً
من يقاوي في القلب داءً خبيثاً
أيداوى جرحاً قديماً ألمّا ؟
يا ربوع الأحواز لا هُنتِ يوماً
يشهدُ الله ، عندهم هنتِ دوما

يعــربيـــون رايــةً ولســانــاً
بــيـغــنـيـون نـيَّــةً ومــنــاّ
شيخهم مهــطع ينـادي بمصــر
في مــزاد يبيع بـالغُـرم غُـرمـا
هيـرعٌ في الصِّدام نـزّاغُ سلمٍ
دونـه الموت في الكـريهـة غـمّا
أي سلم ؟ وفي الغــزاة يمـين
غلّظوها ، أن يرفدوا الجرم جرما
أي سلم ؟ ونصلُ صهيون في الشريان
نازٍ . والقدس في السّبي كلمى ؟
طَفَـح الكيـل فلتمــد المنـايــا
كيف شـاءت رواقهـا المـدلهـمّا
يقصر الدرب بالخطا يا بلادي .
والمـغــذّون لا أَسَــدٌّ وأسـمـى
مفتدوك الآتون في وضَح التاريخ
شمســاً تضيء بــالحق غشـما

في المتاريس يولدون رجالاً
ويموتون دون حضنك يُتما
وتدوّي على السّديم قيامات
ويحلو للموت ان لن يطمّا
فاسمعيهم عبر المجازر صيحات
بطعم الزيتون : بوركتِ أُمّا
واشهديهم على المشارف .
فوجاً إثر فوجٍ ما بين رامٍ ومرمى
ويعودون ! ذاك عهدٌ ، يعودون
رشاقاً ويُرهق الشمُّ ضمّا
ومغنيك عائد .. باركيه
طاوياً خلفه المنافيَ سُحْما
ويرى الكرملَ الملوع « سلمى »
والجليل المذبوح في القيد « سلمى »
وقباب القدس الأسيرة « سلمى »
واساطير وردة الدم « سلمى »

وعناق الثّوار والنـار « سلمى »

وحجيج الفداء والحب « سلمى »

عـاشق عاشق تجسَّـد بـالمـوت

وجلى بـالموت روحـاً وجسـما

أنت من بايعتْه « مجنون سلمى »

.. يا فلسطين واذكري انت سلمى !

كانت وتبقى

يَخْبو الكلام وتغربُ الأصداءُ
ويغادر الخطباء والشعراءُ
ويظل قلبكِ نابضاً ويظل في
القلب الكبير الاخوة الشهداء
ويظل عَهدُ الدمِّ نصلاً طيباً
ويظل من دمنا عليكِ لواء
يا أُمنا الأرض ! ابشري واستبشري
ما زال يحرس عرضك الأبناء

لكِ إن عطشتِ من العروق مواردٌ
ومن الجسوم إذا عريت كساء
مهرتْ كواشين التراب بدمعنا
ودمائنا ، ويكابر السفهاء
وتندُّ عن وكر اللصوص خرافة
مهروءَة دموية هوجاء
لو صح أنكَ واهبٌ أرضي لهم
أنا منك يا رب السماء براء !
فانظُر ، ألستَ ترى جبيني بيدراً ؟
وانظُر .. أنا زيتونةٌ خضراء
وطنٌ أنا .. مرج ابن عامر قامتي
والنقب والأغوار والأرجاء
وأنا حنين اللاجئين وثورةٌ
ملءَ الوجود ، ورايةٌ حمراء
وأنا سجين الموت أرعى نُطفةً
فيها أعود ويُبعثُ السجناء

فلتقتحمْ دبابةٌ ولترتطم

طيّارةٌ ولتلسع الرقطاء

سدٌّ الصدور على العهود وحسبه

يوم الكفاح سواعد عزلاء

أقوى من الجيش القويّ إرادةً

نهضتْ وهذي الجبهة السّمراء

وَمنَ الجليل الى المثلث صرخةٌ

ومن المحيط الى الخليج نداء

عَربيةً كانت وتبقى أرضُنا

عربيةً .. وليصخب الأعداء !

(عرابة ـ ٣٠ آذار ١٩٧٧)

أم الجليل

عشٌ ورائـي صـاخبٌ وإزائـي
ولجـاجـة في آخـر الأنـبـاء
أمَّ الجليل فما لـديكِ ؟ تكلمي
أبشير سَعدٍ أم نـذير شقـاءِ ؟
في الأفق زوبعة وبين جوانحي
قلق عـلى اشتـالـك الخضـراء
أم الجليـل فـأي سـورٍ هَيّـأْتْ
أيدي بنيك ؟ وأي عهدِ ولاء ؟

أمس استثرتِ من الرجال حميَّةً

سلَّت نيوب الحية الرقطاء

وعلى مواطنك النبيلة حطَّمتْ

مَجد الخنا ومكائِد الأعداء

فتكلمي أُم الجليل تكلمي

شعب معي في هيبة الاصغاء

شعب ، خيام العار ملَّت جرحه

في وحشةِ المنفى القريب النائي

شطرين بات ، فأَفهمي حطّابه

ان الجذور على أتمّ وفاء!

عهدي بوجهك يعربياً صافياً

منه سمات وجوهنا العرباء

وأراهُ أمسى شاحباً متجهماً

فاروي مصير الطلعة السمحاءِ

ودعي الجراح تنزّ حقداً ناصعاً

ما دام ظل الحربة الدكناء

طلعوا عليك كتائباً مشحونةً
بالداءِ والبغضاء والأرزاءِ
طلعوا عليك مُدجّجين بعارهم
ووراءهم رهطٌ من العملاء
أشباه أشباه الرجال من الأولى
بعثوا يهوذا الغدرةِ النكراءِ
البائعين وجوههم وشفاههم
بقروش نخاسٍ ، وشربةِ ماءِ
المارقين الضالعين بذلهم
اللاعقين وقد طُعِنْتُ دمائي
من كل موبوء السّريرة شأنه
مَسْحُ الجبين على بريق حذاءِ
أو كلِّ سمسارٍ عريقٍ ، قلبُهُ
وَحلٌ وعيناه رمساد رياءِ
فتلفّتي أمّ الجليل لتبصري
عُهر البغايا في ثياب حياءِ

ظنوك عزلاء اليدين ، وأقدموا

فاستبشري ، ما أنتِ بالعزلاءِ

كرماً لعينيكِ ، الألوف يهزها

شوق الكفاح لوثبةٍ وفداءِ

شرف الأبوّة لا يزالْ ولم تزل

رهن الاشارةِ نخوة الأبناءِ !

(اكتوبر ١٩٦٦)

مارش للثورة
في يوم النصر على النازية

من كان مثلي ، شأنه أن يَذكُرا
أو كان مثلك شأنه أن يُذكَرا
فاشهد من الابرار زحفاً هادراً
واشهد رخام الصمت كيف تكسرا
هـذي حشـودك صَـرخـة أمميـة
جَلَّت فـــماً دوّى وجلّت منبـرا
هذي حشودك ، أيّ سدٍ صدها
عن وِرْد نهرك أدمعاً أو كوثرا

ورق التصاريح الذليلة وصمة
تمحى فما للفجر أن يتأخرا
قد يحجبون الشمس عن أحداقنا
لكنها أبداً تشع على الورى
وتظل يومَ النصر في اعماقنا
فليمنعوا الاعماق ان تتفجرا
ما أنت في الايام يوماً عابراً
فلقد غدوت لدى الضمائر أعصرا

لحم الملايين الممزق عبرة
ملء العيون .. وإنَّ عيناً لا ترى
وشواهد الانقاض تسرد اهلها
وشهودها .. لكن قَدْماً أنكرا
فلتخرج الدنيا الى ساحاتها
ولتسمع الدنيا النذير المنذرا
في آخر الايام بيت أبيض
يلد الافاعي واللهيب الممطرا

في آخـــر الايـام بيت أســـود
والموت يُقبل ، بعد موتٍ أدبرا
فلتخـرج الدنيـا الى ساحـاتهـا
في أول الأيـــام كي تتـخيـــرا
يا رفقة الميكونغ ، يرفد نهركم
أملُ الشعوب ، وقد تدفّق أنهرا
معكم ضمير الكادحـين وعزمهم
معكم .. فللمحتـل أن يتـدبـــرا
يـا رفقـة الميكـونـغ ، لينينيّـــةٌ
راياتكم ، تصل الثـريّا بـالثرى
وأرى الزمان على خطاكم صاعداً
وأرى زمـان المعتـدي متقهقـــرا

من أنجبوا بالأمس مسخاً هتلراً
يلدون هذا اليوم مسخـاً هتلرا
يتكـــرر السفـاح في أرحـــامهم
من قال يوم النصر لن يتكررا

المعتــدون ســحــابــةٌ صيـفيــة
والـريـح قــادمـةٌ يقينـاً مجمـرا
رسمتْ مـطامعُهم مصيراً منكـراً
للأرض .. فَلْيَرِدوا المصيرَ المنكرا
قسـماً بكـل حـديقـةٍ محـــروقـةٍ
قسـماً بكل مـدينـة أو قـريـةٍ
أو شارع أو ساحة أو مصنعٍ
أو منزلٍ أضحى خرابـاً مقفرا
أيــامهم معــدودة .. فليشهـــدوا
غضب الشعوب يصير جيشاً أحمرا !

(١٩٦٨)

ودم الشهيد رسالة نبوية

لا سحرَ أن نطقَ الرمادُ الأبكمُ
تحت الـرمـاد حـرائقٌ تتضـرمُ
أنموت صمتاً حين ألفُ جريمـةٍ
تنهال : « يا أهل القبور تكلموا »
فتفجـري يا صـرخـة مكتـومـةً
وتكســـري يـــا صخـــرة تتكتَّمُ
ولتحشـد الدنيـا هنا أحـداقهـا
لتـرى الدم المسفـوك يتبعه دمُ

لا مُـديـة الجـزار كُفَّ غليلُهـا
عنّـا .. ولا شبع الملوك المتخمُ
والليـل نصـلٌ والنهـار عقـاربٌ
والموت لا يطغي ولا هو يحجمُ
والجذرُ يأبى ان يقـايض غمدَه
يأبى ، ويأبى الشحَّ عرق مفعمُ
فلترتطم بالأرض صاعقة الأسى
ولتمتشق غضب الشعوب جهنَّمُ
ولـيـنهض المـدَّثـرون بشــارةً
المـوت فيهــا حكمــة ومُـعَلِّمُ
ربخت علينا العاديـات وفرخت
والليل ، طال الليل طال الاسْحمُ
ولكـل فجـرٍ شمســه ولفجـرنـا
شمسٌ من الشهداء يُشعلها الدمُ
يا كفرقاسم .. للضحايا عيدهـا
والعيـد ـ أنت وعـرقــك المتقحِّمُ

حَجَّت اليك قلوب شعبٍ نازفٍ
حَجَّت اليك .. أغير جرحك زمزمُ
ولكم وقفنا بالقبور ، وأننّا
نستلهمُ الشهداء اذ نَسْتلهمُ
ولكم نهضنا والقيودُ بواهظٌ
ولكم سجدنا والترابُ مُغمغمُ
ولكم أهبنا بالقرابين ابشري !
ولكم غرمنا .. غير أنّا الغُنَّمُ !
يا كفرقاسم .. والكفاح مسيرةٌ
لا تنتهي حتى يُطال المجرمُ
كُنتِ البشير بأن شعباً لم يَزَل
كوني النذير .. فلا يزال الأرقمُ
ما غابَ « شدمي » والزمان شهيدنا
في كل يومٍ سافلٌ يتشدَّمُ
والقاتلون شهيةٌ مفتوحةٌ
وبكل أفقٍ قاتلٌ مستحكمُ

ولطالما كـظمت مراجـل غيظنـا
ماذا ترى فوق الكظيمة نكظمُ ؟
يا كفرقاسم .. عزَّ جرحٌ ناغرٌ
في صدرك العاري ، وعز البلسَمُ
ومن الأولى تركوك صدراً عارياً
ومن الأولى سفكوا دماءك .. من همُ
أهم الغلاظ الغُبر غـل غليلُهم
أهما يدايَ .. ؟ سألت لكن أَعلمُ
قَسَت الثعالب ، والكرومُ مباحةٌ
وقسـا نـواطـير الكـروم النـوَّمُ
لكن نـابَ الغدر أيقظ هـاجعاً
شكراً لناب الغدرِ .. ضاء المعتمُ
صقلَ الدمُ المصقولُ شعباً صامداً
صــدَّ الصقــورَ ذلـيلةً تـتبــرمُ
شعبي ! وكم صَدَعت صواعق نبضه
صخراً على صــدر المشيئة يجثمُ

شعبي ! وكم دبابة صَدت على
أعقابها بحجارة تترجَّمُ
شعبي ! وكم أزرى القتيلُ بقاتلٍ
وكم انتشى يوم الفداءِ متيَّمٌ
فليسمع السفاح صوت قتيله
ولتسمع الدنيا ، وتصغِ الأنجمُ
يا جبهة السفاح لا تتشامخي
نعلُ الشهيد أعزُّ منك واكرمُ
ودم الشهيد رسالة نبوية
صلوا على روح الشهيد وسلِّموا
والرافعون الى السلام عيونهم
زحفٌ وكل عسيرة تتهدمُ
يا كفرقاسم .. فانهضي وتطلعي
ما ضاع هدراً في مشارفك الدمُ

(١٩٧٦)

القارات

أيَّ جاهل كنتُ قبل أن أحفظكِ
قبل أن أحفظكِ عن ظهر قلب

أيِّ جاهلٍ كان العالم
قبل أن يتعلّمك
أيّ جاهلٍ كان العالم

أنتِ حضارة الحب
وأنا تلميذٌ فهمَ درسه

قارات الكرة الأرضيّة ؟
أجل أعرفها يا حبيبتي :
آسيا . افريقيا . أوروبا .
أمريكا الشمالية . أمريكا الجنوبية .
استراليا . ابتسامتك المشفقة
وقلبي
قلبي هذا الذي أحمله بين يديّ
قنبلةً موقوتة !

المتمرد

كُنْ .. فكنتُ
وتمرَّدتُ على حكمة روحي
وتمرَّدتُ على بردِ ضريحي
وتمرَّدتُ على هزأةِ نوحِ
وتمرَّدتُ عليكِ
وتمرَّدتُ عليّ

كن .. فكنتُ
وجننتُ !

إضراب جلوس في جهنم

أغلِقِ الباب ورائي
واستعدْ ما شئت تعذيبي
استعدْ سفك دمائي
أنذا أُعلن إضراب جلوسٍ في جهنَّم
أنذا أُنكر من أهوى
وفي أسفل دَرْك أتألَّم

لوسيفوروس !
أغلق الباب ورائي

واستعِدْ ماشئتَ

صيحات احتراقي وانطفائي

.. واحتراقي وانطفائي

واحتراقي ..

العودة الى المدار الليلي

« وجدتُها ! وجدتُها !»

لا .. لم تجدها أيها الشقيّ
ميِّتةٌ وميِّتٌ ، كل الذي تراه
إرجع إلى مدارك الليليّ
صدقتَ ،
بين الموت والحياه
يا أيهذا الأحمق الصوفيّ
صدقتَ ،
أنت الله !

مسافر إلى الأبد

لا وطنٌ أنتَ ، ولا بيتٌ ، ولا حبيبه
أما فهمتَ بعد ؟
صليةُ نارٍ ، صرخة ، زنزانه
لا وطنٌ أنتَ
ولا بيت
ولا حبيبه
يا حارس الجبَّانه

حزنٌ وهو روسكوب
وسهرةٌ صاخبةٌ وقرْحه

وجثةٌ وَنَرْدْ

كل الذي ورثتَ من أمس لِبَعد الغَد

أما فهمتَ بعد ؟

لا وطنٌ أنت . ولا بيت . ولا حبيبه

مجزرةٌ دهريّة تمتدّ

ورحلةٌ في الوجدْ

فابكِ على الحقيبه

إبكِ مع الحقيبه !

إعتراف لكاهن الموت

أبتِ الطيِّب إنّي اعترفْ
دنَّس البهتانُ روحي
ولهذا اعترف
لم يقدْني صاحبي فرجيل في وادي الجحيم
لم تكن تلك سوى بياتريس ،
لم نَعبُرْ إلى المطهر
لم نرقَ الى الفردوس
من نحنُ لكي ننعم بالغفران ؟
أخطأناومتنا
وانتهينا
غضب الله علينا
... وانتهينا .

لم أعد أعرف

ساعات الفجر الأولى
زرقاء
العندليب الأول على شجيرة الليمون الزرقاء
أزرق
أنهار العالم تلتفّ على عنقي الأزرق
أنشوطةً زرقاء زرقاء
جفونُ عينيّ
زرقاء زرقاء
أتلاشى في الزرقة

أتلاشى
لم أعد أعرف لون عينيك !

ليتك تتبددين

أيتها الضالّة يا روحي
حتّام تتسربين
عبر شبك النوافذ الليليّة
حتّام تهيمين مع القطط والكلاب الضالّة
في شوارع العتمة القاحلة ؟

إنها نائمةٌ
لا يرعشُها نبضٌ ولا حُلم
سريرها هاديءٌ قرير

أيتها الضالّة يا روحي
ليتك تتبدَّدين
مع صدى أجراس عُرسها !

سكران

بحارٌ كثيرةٌ وملّاح واحد
ترضَي عليّ يا أُمي
رياحٌ كثيرةٌورايَة واحده
يا أُختي إبكي عليّ
حياةٌ واحدة وميتات كثيرة
إنسيني يا حبيبتي !

لماذا ؟

بين لمسة الحنان والصاعقة الخاطفة
كان اكتمال آدميّتي .. بكِ أنتِ .
لم يمضِ على تلك الرعشة سوى قرون سحيقة
وإنني لأذكُر جيداً
يدك بين يديّ
ويدي بين يديكِ ..
تزدحم الوجوه على نافذتنا
ولا نكترث

(سنسمّي طفلتنا «هاجر »)
تتشابك الأيدي القاسية بين جسدينا
ولا نكترث
(سنسمي طفلنا « وطن »)
ونسوح في العالم بلا حقائب
أنتِ وأنا وحبّنا في العالم
ترشقينني بحفنة من مياه «اللوار»
واصطاد لك سمكة من «الفولغا »
ثم نعيدها الى غرغرات الماء العابثة
لتروي لسكان الأعماق حكاية حبنا !
سنرتّل بفوضى
على منصّة الخليقة قاطبة :
باركينا أيتها الكائنات الحيّة والساكنة
هلّلي معنا لملك الحب
لك المجد .. المجد لك

أيُّها الحيّ الباقي

بارك قيامتنا ، بارك وَجْدَنا المقيم كروحك

خُذ بأيدينا المشتعلة بالحياة

لنشهر ميلادنا، من مآذن القدس وجَرَسيّاتها

وفي أعالي صبانا الزاخر بك

نستعيد الذكريات على ضفاف دجلة !

(أيتها المتبدِّدة في زحام الأرض

لماذا كنتِ بعد كل هذا العدم ؟

لماذا تشكلت بعد كلّ هذا الهُلام ؟

ولماذا أفقدك ـ بعد كل هذا الفقد ؟!)

باسمك أنت

بيديك الرحيمتين صيّرتني وجوداً
بيديك هاتين الناطقتين بكلمة السّر .

قاموس الكلمات جميعاً ، يداكِ !
وبيديكِ

جعلت الوجود طرفاً من أطرافي
أخذتني إلى حدود جسدي وروحي
ومن هناك أبصرتُ العالم .

باسمك أنتِ

قبّلتُ أعناق الأطفال جميعاً
باسمك أنتِ
صافحت أكفّ الكادحين والمقاتلين
باسمك أنتِ
أنشدتُ لدموع الأمهات المباركة ..

كأنّكِ كنت دائماً
كأنكِ لم تكوني أبداً
فليشملني الحبّ برحمته .
قبلكِ أنتِ، كنتُ في البدءِ
وبعدك، ماذا أفعل بوحدتي هذه كلها ؟!
بدونك أنتِ
تعود « الأرض خرِبَةً وخاليةً وعلى وجه الغَمْر
ظلمةٌ، وروح الله يرفُّ على وجه المياه ... »

ماذا أفعل بهذا الألم كلّه ؟
قولي « ليكن نورٌ » .. فيكون نور !

أبجدية العمر

(م)

لم يسعدني فرحي بك

فليسعدني

حُزني عليكِ !

(ي)

أيتها المتبدّدةُ المقيمة

أنذا اعتنقكِ

أنذا أصيُركِ

وعلى شفا الجنون أتأرجح

عندليباً في العاصفة
عاصفةً في الحمّى .
على شفا الجنون ،
ومن أنا لأحتمل كل هذا الوجد ؟

إنزلقي أيتها القَدَم
وليهنأ الليلك القاتم في هاوية الجنون
بشظايا هذه الذاكرة !

(لا)

بين الفجر والفجر ، نكون وحدنا
يكون معنا خَفَرُك الملائكي إزاءَ جرأتي
يكون معنا العالم
ونكون وحدنا
إذن .. هذا هو الحب ؟!
في الفجر
توقظني حرارة عنقك على ذراعي

ترتعش خصلةٌ من شعرك الرهيف
في ياسمين أنفاسك ،
أنفاسك الرتيبة كصلاة .
أغمر وجهي بحضنك وأبكي
فلتأتِ الفراشات والعصافير
لتعيش معنا ..
وليفهم زجاج النافذة ولتفهم النافذة
ولتفهم شجيرة الليمون وحديقة السماء
وليفهم العالم اننا نعيش !
يداً بيد ،
تخطينا المعجزة في المعجزة ..

(د)
حين أمرّ بهم
يهزأ الناس بهمساتي وضحكي
يشفقون على العابر الغريب
ويترحّمون على شبابي المهدور في الجنون !

لنغفر لهم يا حبيبتي البعيدة عني
لأنهم لا يبصرون بك سائرةً إلى جانبي
لنغفر لهم يا حبيبتي ..

(ي)
بين المساء والمساء ، أظلُّ وحدي
تظلّ معي حبوب « الفاليوم » المسكّنة
يظلُّ معي « ألبينوني » الفاضح
وأظلُّ وحدي ..
جسدي مسكونٌ بكِ يا بعيدةً عنّي
روحي مندغمة بك إلى دهر الداهرين
آمين .

كأنك لم تكوني أبداً، كأنكِ كنتِ دائماً
إذن ،
هذا هو الحب ..

تلاوات من آي الحب

(م)

في صيحات القتلى سمعتُ اسمي

رأيت أصابعك الخمس

مرفوعةً على موجة السبايا .

باركوكِ في المساجدِ الناصعة

على مذابح الكنائس طيَّبوا صليبي بالبخور والمسك

تآخى النسر والعندليب في روحي

واليمامة أعانت الأفعى في خلع ثوبها
لأنك تحبينني !

لأنني أُحبك ،
قال الفجر : « تصبحون على خير ! »
وقال المساء : « أسعدتم صباحاً ! »
وتزاوجتْ العناصر .

يا امرأتي يا حبيبتي
لدينا ثروةٌ دهريّةٌ من الحب
فلنتصدق على فقراء الأرض ،
صَدَق الحب العظيم ..

(ي)
أكون في الدنيا ، ولا أكون
فيها ،
فلا تفكّري

فيها ،

ولا تنتظري ،

ها أنذا مؤرجحٌ على شفا الجنون

أكون في الدنيا ولا أكون

يا زهرة الزهور

يا أميرة الزيتون ..

(ل)

يُرجِّحُ الرواةْ

أنكِ ، يا غاليتي ، حوريّةٌ والدُها الفُراتْ

وأمُّها يرجحون أنها ، الحياة !

(أ)

لن يقهر الغزاةُ شعبَنا ،

لأنني أحبك .

لن يروِّضَ الفاتحون وطننا ،
لأنك تحبينني .

(د)
هكذا .. أجل ، هكذا
يدكِ على خاصرتي ويدي على كتِفك
هكذا نزدهرُ في الجحيم
نرسم لأطفالنا جنّةً على الورق
بينما يتكامل الجنين
وتتهيّأ القابلة لزغرودة الميلاد !

(ي)
علّميني كيف أراكِ
ما دمتِ في جسدي

علّميني كيف أضُمّكِ
ما دمت في جسدك

كيف أحملكِ على الفَرَح
يا ثملةً بالحزن ، يا عليك السلام

خذي بيدي المنسابة كنهر

صدَقَ الحبّ العَظيم ..

العائد الى مملكة الحبق

أشدُّ عذاباً

ولكن أشدُّ يقيناً ،

أعودُ إليكِ

لأشهرَ حبي بين يديكِ ..

على جبهتي خاتمٌ من جليد

(هنا ضغطوا الفوهة البارده !)

وزوبعة في الوريد .

أعودُ إليكِ

وفي رئتيَّ وفي معصميَّ غبار الحديد

(هنا أفرغتْ حقد أنيابها

كلبشةُ قاتلنا الحاقده !)

أعود إليكِ ..

هنا فتحت لغتي كلّ أبوابها

وذاب الجليد

على دفء راحتك الطاهره

وصار غبار الحديد

لقاحَ الزنابقِ والصبوةِ الباهره ..

أملك النارَ والثلجَ ،

لم يُسعفِ الأمسُ ،

لم تنهض البذرة النائمة

آهِ ،

لم تهطل الغيمة القاتمة

آه يا طائر الرعد

يا واهبَ الخصبِ للأعصر القادمة

آهِ ،

مدَّ الجناحين في قارّة النار والثلجِ ،

ما بين صدغيَّ ،

وانبض على جبهتي الغائمة ..

هكذا .. هكذا ..

يا لها نعمةً عارمة

هكذا .. هكذا ..

ليتها دائمه !

تغربتُ في الوقت واللونِ

غامرتُ بين السجون وبين الرؤى والموانيءْ

جررت قيود الملوك الصغارِ

رفعتُ يدي بيرقاً للنهار المفاجيءْ

قَتَلتُ قليلاً

قُتِلتُ كثيراً
بكيتُ وغنيت
ناديتُ
ردّ الصَدى في الملاجىءْ
وعدتُ اليكِ
لعلّي ألمُّ شتات الطفوله
وأعجن أرغفتي من رماد الزهور القتيله
لعلّي أعمّر لي غرفةً في ظلال يديكِ
لعلَّ السنين القليله ..

وفي زحمة الليل والموت أنهضُ
أوقظُ قتلايَ مستأذناً ،
ثمَّ أمضي
وفي زحمة الموت والليل أرجع من مهجري
يكون معي خنجري
وأنت .. وأرضي ..

وأوقظُ قتلاي مستأذناً ،

ثم أمضي !

نزفتُ زماني

وكان دمي صاخباً

نزفت مكاني

وظلَّ دمي صاخباً

وظلَّ معي عنفواني

لأنكِ شاركتِني في المراثي

وباركتني في الأغاني ..

أُحبكِ

أهمس أني أحبك .. أصرخُ إني أُحبك

كوني ابتداءَ الزمانِ

وكوني انتهاءَ المكانِ ..

يداكِ في يديّ

عيناكَ في عينيّ

والوطنُ القطار

يغيب خلف الزمن المنهار

مخلِّفاً وراءَه دوّامة الغبار

ومزَقَ الجرائِد

مخلِّفاً عائدةً وعائد

تكدَّستْ حولها

حقائب الحزن والانتظار ..

ظهورُنا للبحر ..

أعرف يا حبيبتي

« والليل ليلٌ قرّ

والريح ريحٌ صَرّ »

أعرفُ يا حبيبتي ..

أعرفُ يا حبيبتي

أن دم الثوّار

يضجُّ في أوردة النهار
فلنوقد النيران
على جبال الموت
ولتهدرُ السكّين
ولينزف الشريان
خُبزاً وياسمين ..

أيتها الموقدة النيران
على جبال الموتْ
يا طالما ناديتْ
يا طالما ردَّتْ بروق الصمتِ والدخان
وكانَ ..
يا أجمل ما قد كان
صوتك لبّاني
صوتُك اعطاني
غبطةَ ماء الورد
والدماءَ

والإيمان ..

الخنجر الأرغول

والميِّت الجميل

والحيُّ في تجدُّد الفصول

ما كان لولاكِ

غير صدىً باكِ

تنثره الرّيح على الحقول ..

وهبتني النشوه

نشلِتني من عتمةِ الخوفِ

حملِتني من وهدةِ الضعفِ

لقمّة القوّه

يا عمريَ الجديد يا غاليتي

جعلتِ موتي

لعبةً .. نزوه ..

بعد موتي الثقيل
كيفَ أنقذتني ؟
كيف جدَّدْتِني
في ترابِ الجليل ؟

مرحباً أيها الحلم المستحيل
مرحباً أيها الواقعُ
أيها الفرح اللاذعُ ..

ضلَّ موتي في غمْرِ عينيكِ
غنًّى عندليبي على يديكِ
انتفضتُ
لم أضيّع عمري ،
لديك ابتدأتُ
كان ليلٌ في الجسم والروحِ
(ليلٌ في بلادي)
وكان غَمْرٌ كئيبٌ

وعلى الغمر كان روحكِ
يطفو حول روحي ،
وكنتِ أنتِ .. فكنتُ
ناوشتْني الكوارث ، امتحنتني
أفهميها أنّي انتصرتُ عليها !
أفهميها أني انتصرتُ انتصرتُ !

تجاوزتُ كلَّ الحدودِ ،
اخترقتُ جميع الجهاتِ ،
وحيداً غريباً
وكابدتُ كلّ الفصولِ
رحلتُ ، شقيتُ
وطالَ شقائي وطال رحيلي
سأعترفُ الآن :
نازعت حيتان بحر الظلامِ
وقاسمتُهم كلَّ كنزٍ غريقٍ
لأنّا نبشنا معاً سفناً أغرقتْها الزوابعُ

في الأعصر الغابره

وأعترف الآن :
أحببتُ من كلّ قلبي عرائس بحر الظلام
وأولدتُهنَّ ،
واعترف الآن :
نسلي يعمّر في قارّة الموت والحبٌّ مملكةً زاهره
واعترف الآن بين يديكِ
بأني رحلتُ وطال رحيلي
نبشْتُ طباق الثرى والثريّا
أزحت الستار الأخير
وها أنذا يا ملاذي الأخير
أعودُ وما في يديّا

سوى راحتيك وبعضِ ترابِ الجليلِ ..
ويا شغفي بالكثير القليلِ
ويا شغفي بالقليل الكثير ..

رحلتُ . وكنتِ ختام الرحيلِ
واعترفُ الآن بين يديك
بأني سعيدٌ وأني جديدٌ وأني جميلٌ
بمسكِ الختامِ الجميلِ !

كما نشاء

لو كنتِ شجرةً
سأكونُ عندليباً يعشِّش بين أغصانك
لو كنتُ شجرةً
ستكونين فاكهتي الوحيده

لو كنتِ كهفاً
سأكون راعياً مبللاً بالمطر يلوذ بك
لو كنتُ كهفاً

ستكونين الصدى الأبديّ بين جَنَباتي
كوني غيمةً
وأكون بستاناً متفائلاً بنعمتك
كوني فرحاً غامراً
وأكون قلباً مفعماً بالحزن ينتظر قدومك
كوني حزناً باهظاً
وأكون موسيقياً يفجِّر ينابيعك
كوني ليلاً فأنا النهار
كوني نهاراً فأنا الليل وأمتلك عناصرك
كوني جثّةً
وأكون جثة ترقد على ذراعك
لنكن كما ناء
ستكتملين بي دائماً
وبك دائماً أكتمل !

في انتظار «غودو»

وكان هناك فنارٌ يشعّ ويخبو
زماناً وراءَ زمان يشعُّ ويخبو وراء زمان
يشعُّ ويخبو
لعلّ شراعاً يلوح
لعل دخاناً يصيح
« هو الشطّ
شكراً فنار الأمان ! »
وظلَّ يشعّ ويخبو

وما من شراعٍ وما من دخان ..
وكان هنالك قلبُ
يدقّ ويخبو
زماناً وراءِ زمانٍ يدقُّ ويخبو وراء زمان
يدقُّ ويخبو
لعلَّ يدا
لعلَّ صدى
وظلَّ يدقُّ يشعُّ يدق ويخبو
ويخبو ويخبو
وما فتّحتْ وردةٌ في المدى
وظلَّ هنالك قلبُ ..

إلتباس

أهي رموشك ؟
أم خطٌّ لانهائِيّ من أشجار السرو
على شاطىء بحيرة صافيه ؟

أهو بؤبؤك ؟
أم إوزّةٌ لامعة تحلم في قلب البحيرة ؟
أهذا أنا ؟
أم شراع غريقٌ في أعماقك السحيقة
يطلب النجدة ؟ أم يرفض الخلاص ؟

أهي أنتِ ؟
أهو أنا ؟
أأنا البحيرة ؟

لست ألومك

جناحك أنتِ صغيرٌ على العاصفه
ولستُ ألومكِ
طيّبة خائفه
أنا النوءُ . كنتُ جناحاً
تَخَبّطْتُ في النوءِ دهراً
وصرتُ أنا النوءَ
لا ضوءَ
لا فيءَ
لا لغةٌ ناجعه
وأعترفُ الآن :
ها أنذا كوكبٌ في دنىً ضائعه
ولستُ ألومُكِ
لا شأنْ للنّعنع الغضّ بالفاجعه !

الملك الظالم

أنا الملك الظالم
خلعتْني الجماهير عن عرشي
وقذفتْ بي عند قدميك الحافيتين .
كنتِ فقيرةً وصغيرةً (وجميلةً أيضاً)
جرّْتِني إلى تبّان أبيك الضرير
وداويت جراحي
شكراً (وأحبك أيضاً)
بيديك الشاحبتين زلزلتِ طاغوتي
دون أن تدركي ما تفعلين

بصولجان دمي المسفوك نصّبتُكِ ملكةً
دون أن أدرك ما أفعل
وها أنذا أصبحتُ مواطناً عادلاً ،
ملكاً ، لن أكون بعد .
اشمليني بعطفك الملكيّ أيتها الفقيرة الحافيه
أُدخلي بستان جنوني
وانعمي بما تشائين من فاكهة أوجاعي !

عصفورة ميتة

تساءلتُ دهراً طويلاً
ترى هل تكونين ؟ هل تظهرين ؟
وهل تنبتين من العُشب
أم تنبعين من الغَيب
أم لستِ إلا غداً مستحيلاً ؟
تساءلت دهراً طويلاً وحين اكتنهتُ مرايا الغدير
تناثرتُ بين حطام المرايا
ولم ألقَ وجهي الشظايا

رأيتُكِ أنتِ ،
وحين مددتُ يديَّ لألمس وجهكِ
ضاعت ملامح وهمي الأخير
تشظيتِ مثل مرايا الغدير
وظلَّت على الماءِ
عصفورةٌ ميّتة ..

بلا حدّ !

الرجلُ الجَسور صار ظلَّك
يمشي نائماً ويتعثَّر بظلِّه
يراكِ في كلّ شيء
يرى كلَّ شيء فيكِ .
تلوِّحه الشمس سائحاً خلفك
ويواصل الرحيل الى موانيء خاصرتيكِ
لا يعبأ بالمطر يسحّ من أصابعه .
الرجل الجسور

ملكُ الأسماء والأناشيد
صار خواءً صامتاً
إزاء ترتيل اسمك
هوذا خواء وامتلاء
يعود من الحصار بهشائِش القشّ
في شعره وثيابه
تاركاً غلاله للشعوب ..
تُقبل عليه العصافير آمنةً مطمئنَّة
تنبحهُ الكلاب فلا يزجرها
ويواصل الرحيل إلى عينيكِ .

الرجل الجسور
جعلتِ جسارته بلا حَدّ !

أنت النساء

تجوَّل سبعين عاماً على اليابسة
وسبعين عاماً تحوَّل عبر الفضاء
وجابَ البحار جميعاً
لسبعين عاماً ، صباح مساء .
تحدَّثَ بعضُ المحبّينَ
عن كوكبٍ نسيتْه السماء
فمدَّ ذراعَه
ويوماً ، تذكَّر نهراً صغيراً
وراء جبال الحياة

وينبوع دمعٍ وراءَ وهاد الفناء
فشدَّ شراعَه
تشَرَّد ملءَ الأبَدْ
وأودَعَهُ بلدٌ في بلدْ
وخالط كلَّ الشعوب
وعاشرَ كلَّ نساء الشعوب
أقامَ ببعض القلوب
ومرَّ بكل القلوب
وعاد إمام اليقين
يُبَشِّر في العالمين
بأنكِ أنتِ النّساءُ
جميع النساءِ
جميع النساء!

لماذا ؟

شبابُكِ شيء ، وشيءٌ شبابي
أنا استوطنتني الأفاعي الرهيبه
وما زال جسمي ملاذ الطيور
ومأوى الوحوش الغريبه
وصوتي صداح البلابل حيناً
وحيناً .. عواءُ الذئابِ .
وأنتِ صباح الصحاري
نقاء وطيبه
وأنت سنونوّةٌ تحملين الربيعَ إليّ

وحولك منّي بيدٌ جديبه

كثيرٌ عليكِ عذابي

شبابك شيءٌ وشيءٌ شبابي

وإني أُسلِّم أمري إليكِ

وأعلم أنّي

أُبدِّدُ شكلي وصوتي ولوني

أُبدِّد في الريح ريحي

وفي النار ناري

وفي الماء مائي

وأُغرقُ في الحزنِ حُزني .

أُسلِّم أمري اليكِ

وأعلم أنّي

أصير ضباباً على راحتيكِ .

وإني أُسلِّم أمري إليكِ ..

لماذا ؟

لماذا ؟

أأنتِ العجيبة ؟

يداك

بين يديكِ وُلدتُ وبين يديكِ نشأتُ قُتِلتُ وعدتُ بعثتُ وعشتُ
ورحتُ وكنتُ وصرتُ وخفتُ وثرتُ وبين يديكِ قرأتُ كتبتُ
جهلتُ فهمتُ وبين يديك سألتُ وبين يديك أجبتُ وحرتُ
وطرتُ وغبتُ وقمتُ وبين يديك سكتُ وضعتُ وبين يديكِ
ربحتُ وبين خسرتُ يديك لمستُ وذقتُ يديك حلمتُ وجعتُ
وبين سقطتُ يديك وعدتُ نهضتُ وعدتُ سقطتُ ومتُ وعدتُ
بعثتُ وكنتُ وصرتُ ...
وبين يديك نبتُ نضجتُ أعدتُ وعُدتُ وكنتُ وصرتُ
بدون يديك ضبابا
وعدتُ ترابا
بدون يديك
تراني لا شيءَ .. إلا يديك ؟!

النار الدائمة

خاتمةٌ ؟

لا خاتمه !

أنا وقودٌ دائمٌ

وأنتِ ناري الدائمه !!

المتبرجة

حبّةُ عيني . وردةُ القضيّه
خطيبةُ الخناجر الفضيّه
تفاحتي الجمره
الحلوة المرّه
طافت بكل الكرة الأرضيّه
تحمل في جزدانها خارطة الوطن
وعبوة الزمن
ما استوقفتْها مرّةً أصابع الحُمره

لم تسأل العطار عن ثمن ..
الحلوة المرّه
طافتْ بكلّ الكرة الأرضيّه
راضيةً مرضيّه
حبيبتي الحُره
حبّة عيني وردة القضيّه
زينتها.. كوفيّة الثوره !

الكشف الأول

يا طالما ضلَّ من شكٍّ الى شكٍّ

وطالما آنهارَ في ضحكاته يبكي

وفي انبلاجكِ فاح النورُ في دمِهِ

طوبى لعينيهِ ؟

أمْ طوبى لعينيكِ ؟!

الكشف الثاني

وجْهُكِ طلسمْ

قلبُك طلسمْ

وأنا (الزير النزقُ المفعم)

بين يديك أصيرُ خواءً

قلعةَ كرتونٍ تتهدَّم

وأنا (ربُّ المنبر)

عجباً ،

في حضرةِ نبضكِ أتلعثم .

وطنٌ أنتِ

وزمنٌ أنتِ

وكفنٌ أنتِ

كيف وُجدتِ ؟ وأينَ فُقدتِ ؟
كنت ترى ؟ أترى أتوهّم ؟
أنتِ الجُرح وأنتِ البلسم
روحك طلسم
فيه شممتُ طيوب الجنَّةِ
جسمُكِ طلسم
فيه صليتُ لهيب جهنَّم
وأنا أجهلُ وأنا أعلم
أعلم أنكِ سرٌّ مُبهم
أعلم أنكِ
وطنٌ أنتِ وزمنُ الموتِ
وأعلمُ أنكِ.. لا.. لا أعلم
كفرٌ مني أن أتكلم
كفرٌ مني
لا أستنزل صفحك عني
فَرَجٌ للكافِرِ أن يُرجَم ..
صلّى الله عليك وسلَّم !

لم نتعارف بعد !

هل هذا المقعد خالٍ يا سيدتي ؟
(كلّ شتاء يتمنى خبزك)
هل تسمح سيدتي أن أغلق شباك الباص ؟
(للوقت تضاريس)
هل تسمح سيدتي بالتدخين ؟
هل ترغب سيدتي في سيجاره ؟
ما رأيك سيدتي في كأس نبيذ ؟
أي الأفلام تفضِّل سيدتي ؟

(كلّ بطاقات السفر ستفقد قيمتها)

(كلّ هوايات الملك المخلوع عن العرش هراء)

لا نوم الليله

لا أوّل للضمَّةِ . لا آخر للقبله

ليلتنا كانت رائعةً

لكن .. معذرةً ، ما اسمكِ ؟

لم نتعارفْ بعد !!

ومضة

خمدتْ في الموقد النارُ
ودارت
دورةَ الموتِ
على محورِ روحي
الأسطوانه
سقرٌ في اللحمِ والعظمِ
وفي الأعصاب إعصارٌ
يذرّي نارَه في ليلِ قلبي ودخانَه
نشفتْ قنّينة السمِّ
وأهوى الصحو في غيبةِ ماضيَّ
تذكّرتُكِ
شبَّتْ في دموعي أُقحوانه !

فجـأة

ومن بعد عشرين عاماً وعام
تمرّين بي فجأةً في الزحام
ترينَ انشداهي
وتقسو الملامحْ
وعما قليل ترقُّ الملامح
بدون تعابير وجه ، تنادين باسمي
ونسقُط ما بين صحوٍ ووهمٍ
يباعدنا الناسُ من غير قصدِ
يقرّبنا الناس من ألفِ بُعدِ
تمدّينَ كفّاً إليّ
ويُغمى عليكِ
ويُغمى عليّ ..

لغة جديدة

أقولُ « أحبّك » ، لا أقول شيئاً
أقولُ «أريدك » ، فأسيء التعبير
أقولُ « أشتهيكِ » ، فلا تفهمينني أبداً .

منذ أن اكتشفتُ قارتّك
طردني الله من جنّة لغاته
أخرس
أنذا أخرس
حممي تتفجّر الى الدّاخل دائماً

لا مخرج لأفاعي عذابي
لا متنفَّسٌ لبراكيني فماذا أفعل ؟
لا صيحة تُسعف لا دموع تريح
وأنتِ حاضرةٌ في كلّ شيء
ومنذ عرفتُك
طردني الله من جنة لغاته فماذا أفعل ؟
سأنثرُ على العالم رمادي الحارّ
لغةً جديدة !

سر المهنة

يا امرأةً من لحمٍ وحُلم
لن تعرفي كم أمقتك
لأنك لا تعرفين كم أُحبُّك

ها أنذا أبوح أمامك بسرّ مهنتي
كبير المهرّجين في بلاط الموت
لكنني أخبِّيء في حزامي خنجراً ذهبيّاً
ومع القفزة الأخيرة

في رقصة الخذلان الضاحك
أغمد خنجري حتى المقبض
في صدر مولاي الموت .
ولن أتركه يموت وحيداً
سيتابع بعَينَيه الليلكيتين
ولوج النصل الحار تحت حلمتي اليسرى ..
يا امرأةً من حلم وحُلم
كم أشتهي ذبحك على مكتبي
عاريةً بين قصائدي غير المكتملة
أغمس رموشي وشاربيّ في دمك المزّ
وأفسح المجال لدموعي ..

الخوف

ستخمد في الموقد النارُ
تخوي الزجاجةُ
توقف دورتها الاسطوانه
سيمضي الضيوف إلى شأنهم
سنعدّ الفراش معاً
وننام معاً
تنهضين صباحاً
تعدّين قهوتنا الرائعه
تزقزق باسمي عصافير غابتك الوادعه
تنادينني.. هل أفيق ؟

أخاف يفاجئني الموتُ في النوم
لا لن أنام
سأسهر حتى الصباح الصديقِ
وأرصد في وجهكِ النائمِ
كواكب عالمنا القادمِ.
هو الفجرُ
أُحكم دفء الغطاءِ عليك
وأنسلُّ قطّاً أليفاً
خفيفاً على قمّة العالمِ
أهيِّىءُ قهوتنا الرائعه
أخفُّ إليكِ
أُقبِّلُ راحتك الهاجعه
وأهتف : هيًّا أفيقي
نهارَ السعادةِ يا سبب العمر .. هيا أفيقي
بدونكِ ، ما من غروبٍ
بدونكِ .. ما من شروقِ ..

بريد بدون طوابع

ليَ اللهُ ..
كم حاصرتني الوجوهُ
ولا غير وجهكِ في الذاكره
لي الله ،
جسماً تطهِّرهُ المعصياتُ
وروحاً تدنِّسهُ الومضة الطاهره
تهبُّ عليّ الزوابع
فتلقي لمنعطفات الشوارع

بريداً بدون طوابع .

لِيَ اللهُ

في سرِّيَ الظالمِ

وفي سرِّك الدائمِ

عوالمَ تولدُ من عالَمِ..

أحبك كما يشتهي الموت !

أثقلَ وزناً
وأقصرَ قامةً
أعتلُ تجربتي وأمضي
ما دمتِ قمَّة العالم
ما دام ظَهْرُ الكرةِ الأرضيّة محدَّباً
فأنا أهبط وأبتعد أهبط وأبتعد
ذاتَ يومٍ تتلقَّفني الرمالُ المتحركه

أغوص رويداً رويداً في أبد حبك المُعتم
أغيبُ عن الوعي .. أختفي عن الأنظار
ستشهد الجماهير طقوس موتي
ويحسدني المغامرون والشعراء أما أنتِ ،
فتُلقين جوهرةً جديدةً في صندوق شهدائك

أُحبُّكِ
لا تندمي
لا تمدّي يداً لتنتشليني
إسمحي لي أن أُحبكِ ،
كما يشتهي الموت ..
أحبك .. كما يشتهي الموت !!

أحبك ...

يومَ وُلدتُ لأمّي العبْدةِ آخر مرّة
شدَّ على عينيّ وحزَّ منابتَ صوتي حبلُ السُّرَّة
قلتُ « أُحاوِلُ » أوّل مرّة
يومَ كبرتُ مشيتُ قليلا
وتعثَّرتُ بجثة وطني
ثمَّ نهضتُ وعشتُ جميلا
وتدثَّرتُ بخرقة كفني
ثم مشيتُ ومتُّ جميلا

ثم سقطتُ نهضتُ سقطتُ نهضتُ نهضتُ
وكنتُ طويلا
وعلى مفترقِ الثوراتِ
قطع الدرب على خطواتي
شبحٌ آتِ
من محرقةٍ : تدعى الحسرة
قلتُ « أُجادلُ » أول مرّة
ثم قُتلتُ
وعدتُ بعثتُ
وُصلتُ وجُلتُ
وعدتُ قُتلتُ
وعُدتُ بُعثتُ
وقلتُ « أُقاتلُ » أوّل مرّة.
ثُمَّ ... «أحبكِ »
ثمَّ وُلدتُ لأمّي الحرّة
أجَّتْ شمسٌ في أهدابي
ضربتْ صاعقةٌ أبوابي

وتكوَّرتُ على مجزرتي

وتصَّورتُ لدى مقبرتي

ثم انفجرتْ من شفتيّ

« آخ ... أحبكِ ! » أوّل مرّة

يا وَلَهاً يفتحُ عينيّ

على بستانٍ دمي المنسيّ

على فاكهةٍ تدعى الثورة

آخ ... أحبّكِ

أيَّ « أحبُّكِ »

كلَّ « أُحبُّكِ »

أنذا أولدُ

إنّي أولدُ ... أوّل مرَّة !

أولدُ أولدُ

أوّل مرّة !!

إمبارغو على الموت

أطلقي نارك - انتشري في الجهاتِ دماً لاذعاً
لم يزل في بنيك رجاءٌ
تآكلهم داؤكِ المزمنُ
أنتِ بكتيريا الموت
في رحمك اليابس انطفأت شهوةٌ
وانتهى موطنُ
لستِ بكتيريا الموت
في رحمك اللاهب استعَرَتْ نُطفَةٌ

واستوى الموطنُ

أطلقي نارك - استسلمي - أهجمي

لم يعد من سميع هنا

لم يعد من مجيبٍ هناكَ

أستوى اللون واللون - واختبلت أعينُ

وأستوى الصوتُ والصوت - واختلطتْ ألسنُ

آخِ من لاعجٍ عاجلٍ جاعلٍ صحوتي سَكرةً

صحّتي ركسةً

صيحتي كِسرةً

آخِ من أذرع أضَّها الثمرُ المنتنُ

هيه يا شجني

زمني كفني

كفني أرغُني

يستبيحُ الغنيُّ الفقيرَ الفقيرُ الغني

إدفعي

موقعاً ليديْ موقعِ

أطلقي مدفعي

أطلقي نارنا ـ استطلعي موتنا ـ موتُنا أهونُ
للمدارات أقمارُها ـ للمسافات أسرارُها
قمري فقأتْه الرياحُ ـ وسرٌّ الرضى مُعلنُ
مضحكٌ شجري ـ ثمري مُحزِنُ
ما الذي ظلَّ لي ؟
آهِ يا ضلّتي ـ ظَلّلي ذِلّتي
ريثما (ربّما) يؤمنُ المؤمنُ
هيه يا حسرتي
سَرحتي
حَسَرت سحرها
خرستْ صرختي
خسرتْ سُخرتي
سخرتْ من رسوخي على صخرتي
أمْ حظُّها أحسنُ

إخوتي
أوقِدوا شمعةً بين هذي التوابيت

وانتظِموا للعزاء

إخوتي

وانفخوا في الرماد

أيقظوا ناركم ملءَ هذا الثرى ملءَ تلك السماء

وافرحوا واحزنوا

وافرجوا واحزنوا

وافرحوا ...

أزهَرَ الفيجنُ !

المتخفي

يتخفّى في زيّ امرأةٍ
مشدوداً حذراً يخرج من بابٍ منفرجٍ بعض الشيء
تتقلّص عيناه قليلاً
يهدأ ميزان العتمة والضوء
وخفيفاً وبطيئاً يمشي بمحاذاة السور الداكن
يلسعه برد الفجرِ
يشدُّ الياقةَ
يلمحه رجال الشرطةِ

لكن لا يشتبه به أحد منهم
يتوجّه بالمنشور السّريّ الى منعطف الشارع
ينظر في ساعة يده، وبخفّةٍ أفعى يُخفيها
(الساعة ساعة رجلٍ لا ساعة سيّدةٍ !)
يبتسم مغيظاً
ويغذّ السير الى الرقم السابع

يصعد درجاً خشبيّاً
كالقطّ خفيفاً وخفيّاً
ينقر باب الشقّةِ
يأتي مكتوماً صوت امرأةٍ:
« منذا ؟
منذا القارع ؟ »
ينشقُّ الباب قليلاً
في صمتٍ ينغلقُ على أسرار الوطن الضائع
وترٌ مشدودٌ بين الوجهين
حمّى مُعديةٌ في الكفّين

كلماتٌ مبهمةٌ

لحظاتٌ ملهمةٌ

كلمات

لحظات

ينقطع الوتر المشدودُ

ترنُّ الهمسة

تُفلتُ كفٌّ من كفٍّ

يخرجُ ثانيةً في زيِّ غزالٍ

يركض في البريَّةِ

بحثاً عن أنثاه اللاهثةِ

أمام كلاب الصيدِ

ويلمحهُ الصيّادُ

يسدّد فوهة مدفعه الرشّاش

يشدّ زناد الحقد الهمجيِّ

تدوّي الطلقة في ردهات الأفق الشاسع

يتعثَّر يسقط ينهض مجروحاً في الكتف اليسرى

يركض مذعوراً نحو الدغل المنخفضِ

وينهار كليلاً جائع

قلقاً، ينظر في ساعتهِ
يهمسُ « حسناً ، بعد قليلٍ
يلقي الليل عباءَته السوداء ضماداً للجرحِ
سلاماً يا حبّة عيني
يا وطني السفّاح الرائع » .
لا يغفي
لا يصحو
لا يعلم
لا يجهل
لا يبكي
لا يضحك
يتخفّى ثانيةً في صورةِ حجرٍ هاجع
ما بين اليقظة والحُلمِ
يداهمه الحرسُ المدنيُّ
تفاجئه مستعمرةٌ أُخرى

أسلاكٌ شائكةٌ أُخرى
تبهر عينيه المتعبتين صفاقةُ نصلٍ لامع
وتشجّ الليلَ وجبهته المكدودةَ
شفةٌ حجريّة :
« يا طفلاً تركتْه على قارعة الدربِ
القافلةُ البدويّة
الموتى أجمل
فاحزم جرحك وآرحلْ
بيتك ؟
لا بيت سوى ركنٍ في كهفِ الريح
احزم موتك ... وآرحل ! »
يتشظّى
ينزلُ مطراً
يطلعُ عشباً
يتناسخُ
يسكنُ
يصخبُ

تنبثقُ الأعجوبةُ
يتجلّى سوء الطالع
يتجلّى السيف القاطع
ينهضُ ثانيةً
يتخفّى في طاقيّة إخفاءٍ أُخرى
ويعود فدائيّا
يُعلنه الأحياء صديقاً أبديّا
يُعلنه الأمواتُ شهيداً أعمى
يُدهشُ أشباهَ الأمواتِ
وأشباه الأحياءِ
ويملأهم خوفا
يمتدُّ على كلّ جهات الدنيا
يمتدّ ولا يتخفّى !

نخلة النص*

يكونُ أن تطرقَ بابَ الله

يطلُّ جبرائيل

يهمسُ : « بعد لحظةٍ تراه »

......

وتنتهي الحياه !

*

(*) النُّص: (النصف والمنتصف).. والبقية عند الأسطورة.

يكونُ بعد حفلة الختان
ان تحبلَ الأرضُ
ويولد الرفضُ
يكون أن ينحسر الطوفان
ويولد الانسان في الانسان .
يكون أن يكتمل النِّصابُ في الكوريدا
يندفع الثَّورُ
وتكرج الأرضُ الى بالوعةٍ
يدعونها النسيان
......
توقفُها يدان
وينتهي الأمرُ
*
من آخر المكان
من نهاية الزمان
تُقبل ذات يومْ
عينانِ سوداوان

على جواد ياسمين مُسرَجٍ بالدمْ
وتخفق الأكفان في جبّانتي
ويهتف الموتى لضوءِ رايتي
ويُعلنون مُلكَهم
على تخوم ِ الوهمْ

*

يكونُ ان ينفجر البركان
ان تُقفر الأرضُ من الأحياء
وفجأةً، يشقّ بطنَ الماء
حوتٌ بألفَ بطن
وألف يونا من بني الإنسان...

*

أرى
فهل ترَوْنْ
خلف حدود الكونْ
سنبلةً من نار ،
ومسرباً معشوشباً ،

ودار ؟
أرى
فهل ترون
خلف حدود الكون
أرى
فهل ترون
عبر كسوف الشمسْ
مائدةً عامرةً وعُرسْ
وامرأة تُنشدُ :
« إسمي القُدسْ » ؟
*
في ليلةٍ قمراءْ
يعودُ من رحلته يسوعْ
وتخْمر الدموعْ
في قُبَل العذراء .
*
ما بين « بُرج الثور »

و « الساحة الحمراء »
يهلُّ عيدُ الجَزْرْ
عن الربى الجرداء
ويستتبُّ الماء والخضراء
ومهرجانُ النَّصْر .

*

أُبصرُ في ما أُبصرْ
فرسانكَ الأبرار
على جياد النار
فانهضْ إذن وبشِّر
يا أيها المدَّثِّر !

*

و « مكَّة »
تُصبح تحت رحمة الغزاه
لكنَّ جيشاً لجباً
يُقبل من تيماء
براية حمراء

يُشهر « سيف الله »
ويُقفرُ الغزاه
وتُخصبُ الصحراء ..

*

سبحانَهُ .. يجيئني بالماء
يوم أكون غاطساً في النبعْ
سبحانَهُ .. يجيئني بالنار
يوم يكون لي لظى جهنَّم ..

......

لا بأس ، بعد الدمع
أجيئه بالماء
وبعد دهر العار
أجيئُهُ
مكلّلاً بالغار ..

*

أرى على مشارف « المدينة »
سحابةً عملاقه

أرى بقايا القاتل الهجينة

أرى حشوداً تشهد احتراقه ..

*

ستعرفون الموت بعد الموتْ

ستقتلون - أنتُم نبيَّكم

ستنثرون - أنتُم - رمادَهْ

على الجهات السِّتْ

وفي صباح الصوت

ستسمعون الصوت

ستسمعون صرخة الولاده

وتبعثون - أنتُم - نبيَّكم

وتعلنونَ - أنتُم - أعياده !

*

أُبصرهُ يُبعثُ في « حراء »

لا بيت عنكبوتَ

لا حمامه .

أُبصرهُ

يخرجُ ملءَ الأرض والفضاء
ممتطياً آلامه
في كفِّه رايتُهُ الحمراء .

*

.. وتكْنسُ الرياحْ
أعمدة الدخانْ
ويكنسُ الطوفان
أعمدة اللهبْ(**)
وفي فجاج الحزن والجراح
يكتنز الزيتون والرمّان
وينضج العنبْ

*

طلعة الشمس البهيجة
شحنتْني باليقين

(**) ... وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً. (خروج).

زمّليني يا خديجة

بعيون المؤمنين

وقلوب المؤمنين ..

حفنة نور

مهلاً

مهلاً

هي ذي مملكة الديجور

مهـ . هـ . هـ . ـلاً

وليدَّخر الأعمى

حفنةَ نور

دنيا !

أوّلُها يبكي آخرها

آخرُها يرقصُ ويغنّي في السّاحه

الحيُّ يجوسُ دوائرَها

والميِّتُ

يقضمُ تفّاحه

....

دنيا !

حصرم

من كلِّ عناقيد الكرمِ اخترتكِ أنتِ
من كلِّ عناقيدكِ ،
ظلَّ ليَ الحصرم
من كلِّ الحصرم ،
لم ينضجْ إلا موتي ٤

الحقيبة

سقفُها واطيءُ
بين جدرانها
أبدً دافيءُ
هل أقول إذن إنها منزلي ؟
حسناً ،
ليس لي منزلٌ غيرَها
ليسَ لي !

للذين أبصروا

أعددتُ للملائكه

حديقةً فسيحةً في جسدي

وللنفوس الهالكه

مقبرة في جسدي

....

أعددتُ للعميان يومي كلَّهُ

وللذين أبصروا

تركتُ أمسي

وغدي ...

حبيبتي

يدعوها الأطفال القتلى :
« مملكة الزمن الفادح »
تدعوها أزهارُ البرِّ
وأعشابُ البحرِ
وأنفاسُ الدفلى :
« عاصفة الرمل المالح »
يدعوها الرحّالةُ
والبحّارةُ
والجوّابون الغرباء

« عاهرة الغادي والرائح »
يدعوها الآباء
وأحفادُ الأبناء :
« الدمع الجارح »
أدعوها « الحبَّ »
وأدعوها « الموت »
وأسأل :
هل يخرج منها رجل صالح ؟
هلْ يخرج منها رجل صالح ؟!

سيناريو الغربة (١)

شمسٌ كابيةٌ منهاره
ونوارسُ جائعةٌ
تتسلَّى في كازينو الأمواج الثرثاره
تتسقّط أنباء المدن القادمةِ السفنِ الراحلةِ
وتحصي أنفاس الليل العائدِ
وتدوّن في خبثٍ أسراره
مقهى الميناءِ ،
ثلاثة بحّاره .

الأسود
يشعل سيجاره
الأصفرُ
يحلم بعجيزة زوجتهِ
الأبيضُ
ينظفُ تبغاً وكحولاً
ويغطّ على صدر الجيتاره ..

سبعة

بعد قليل ،
تلتحم القاطرةُ السابعةُ
بسبعة فرغونات

في الفرغون السابعِ
تبكي سيّدةٌ حبلى
(في الشهر السابع)

في برّاد المستشفى ،
جُثّةُ رجلٍ
من سبعة أيّامٍ مات .

سيناريو الغربة (٢)

كان علينا أن نُسرع
حتى نلحق بالطائرة الهولنديّه

•

كان علينا أن نسرع
حتى نلحق بالعاصفة الثلجيّه

كان علينا أن نسرع
حتى نلحق
بضحايا الأحوال الجويّه ..

موضة قديمة

أرفعُ صوتي عالياً
يمرُّ بي الناسُ
ولا يصغون

أرفع صوتي عالياً
يمرُّ بي الزمانُ
لا مُبالياً

أنا مغنيٍّ الموضة القديمة
والمقريء المأفون
في زمن الإلحاد والجنون ..

سيناريو الغربة (٣)

أُطالع الوجوه في قاعة الانتظار
أُشعلُ لي سيجارةً ثمينةً
وأمنحُ الحمّال فوق أجره دولار
أرى على المائدة المنخفضة
مجلّةً جنسيّة
وَعَقِباً مبقّعاً بالروج ،
يشكو بختهُ للمنفضة .
أُجيبُ في ترفُّع على سؤال الشرطة المشكّكَه

وأطرح التحيّه

على رفيق سفرٍ يرفلُ في ثيابه الريفيّه

آخذُ في لباقةٍ

حقيبة السيدة الزنجيّه

وضاحكاً مداعباً

أوزِّع الحلوى على أطفالها الصغار

....

هل يدركُ المطارُ

هل تدركُ يا مطار

أنّي سليلُ الألفة الشرقيّه ؟!

الظل والاستثناء

لحظاتٌ
وتُقبلُ الأسماءُ
لحظاتٌ
وترحلُ الأسماءُ
فاسمعوني
ملءَ الزمان اسمعوني
لم تلدني أُمي
ولم تُبصروني
أنا ظلٌّ
وأنتُمُ استثناءُ ..

صبراً !

ستمشي على الحبلِ
ما بين نارينِ
جيلاً وجيلا
فصبراً جميلا
إذا أنتَ لم تفتح الكوَّة المغلقه
ستقذفك الريح والذكريات
على حطب المحرقه
فحاولْ كثيراً
وحاول قليلا

وصبراً جميلا
جذورك رهن الرهان
وأُمُّك ما من مكان
وأُختُك ليلُ الهوان
ورايتُك المأتم المهرجان
فحاولْ
وصاولْ
وصبراً جميلا
إذا كنتَ من أُمَّةِ العشبِ
فاسجُد لنعلِ الغزاةِ
وَمُتْ في الحياةِ
وَمُتْ في المماتِ
وناضِلْ
وقاتِلْ
إذا كنتَ من أُمَّة السنديان
وصبراً قبيحاً
وصبرا جميلا ..

ڤامپير

في الڤيلا المشرفة على البحر
يعيش ڤامپير ممشوق القامه
طلّق زوجته السينمائية الرابعه
بعد شركتين وسبعين سهماً
ثمّ اشترى طائرةً خصوصيّه ..

منقطع عن البشر
ويدير العالم بأزرار الكمپيوتر

قالت الصحفية الشقراء
على إيقاع أهدابها الاصطناعيّة الراقصة :
« أنا سعيدة جداً يا سيدي المدير
سعيدة جداً بهذه الفرصة النادرة » .
عبر شاشة التلفزيون الملوّن
حيّاه المشاهدون وهو ينشب أنيابه
في عنق الصحفيّة البضّ ..
صفّق مجلس الإدارة بوقارٍ مُتقَن
وارتفعت قيمة الدولار ..

ماذا حدث للمتنبي حين دخل مقهى في شعب بوان ؟

ينقل خطاه متردّداً
حذراً كمهرِّب المخدّرات
عكس حركة السير
ضدَّ الواقع التاريخي
لا يَسأل أحداً عن الوقت
ولا يطرح التحيّه
حوله تهدر كلّ لغات العالم
وفي صدره القاتم ،

يتخفّى حرف الضاد ،
مثل شيفرة الجاسوس
إسمُه : أبو الطيب المتنبي
إسمُه الحركيّ : أبو الطيِّب المتنبي
إنه عضو في منظَّمة سريّة غير قائمة
يتسلّل بأحزانه إلى المقهى القريب
يتلهّف إلى المقعد النائي ويتحصَّن في الركن
بينه وبين جاره القريب
سبعة بحور وسبع سموات
حين يُقبل عليه النادل
بالبسمة الأنيقة المدروسة
يتلفّت حوله متشكّكاً :
« هل يُعقل أنه يبتسم لي ؟ »
دهرٌ من الحرمان، ويهلّ فنجان القهوة
بقوَّة جذب هائلة
ينسحبُ النادل إلى كوكب بعيد
أمّا هو ،

فيتوحَّد لقهوته ويتَّحد مع شظاياه ..
يرتعش سطح القهوة الداكن
يطقطق الفنجان على صحنه الطائر
ويشقّ عبابَ القهوة حوتٌ هائل ..
من أعماق الحوت يأتي مكتوماً صوتُ « يونس »
« إليَّ .. إليَّ ، يا صاحبي ! »
لا يتردد ولا يجري حساباً
يلج بطن الحوت
ويبقى فنجان القهوة وحيداً
معلقاً في الفضاء !

اصعد قليلًا .. لتبصر !

موصومٌ بالكارثه
وأشلاؤك محاصرة
بين الجذوع المشتعلة والمدافع الصامتة .
الدخان كثيفٌ ، وعيناك داميتان
ولا تسمحُ لأصابعك بالارتخاء .
ينبغي أن تُبصر جيداً
فاْصعد قليلاً لتُبصر ..
يتطلَّب البروتوكول جنازةً خرافيّةً لموتٍ متواضع

وظهرك مكشوف للأعداء .
إقتصد بالذخيرة وخذ حذرك
ينبغي أن تُبصر جيِّداً
فاَصعد قليلاً لتُبصر ..
ألنْ تُكرّر أغنيتك العذبة ؟
تنويمة الأطفال والياسمين
آخ لو أستطيع أن أسمع مقطعها الأخير !
أغنيتك الموقَّعة على نبضات القلب الفتيّ
تردّد الأنقاض مطلعها الوديع
والأشجار المائلة تتعزّى بلازمتها ..
كم أشتهي الآن مقطعها الأخير
غير أن الموت لا يُمهل
ولا بدَّ لك من الإنحناء حتى تصعد
ولا بدَّ لك من الصعود حتى ترى
فاَصعد قليلاً لتُبصر ..
أيُّها الطليّ الوادع
موقفك حرجٌ للغاية

والعالم منغمسٌ في ملذّاته منهمك بأمراضه المزمنة
الكرة الأرضيّة مشغولة بهمومها الكبيرة والصغيرة
لا وقت لديها لاستبدال ثيابها بين موكب المأتم ومسيرة الفرح
والأمم المتحدة تتناول طعامها على الواقف
تزدرد جداول أبحاثها على الواقف
تشرب نبيذها الفاخر على الواقف
تمارس الجنس على الواقف
وعلى الواقف
توزّع المسكّنات والضمادات والأغطية
للشعوب المنكوبة والأقطار التي ضربها الزلزال ..
أيها الوادع الطلي
يا قلبي يا صديقي
لا تسأل ما لن تُجاب
شدَّ حزامك بوعي وهدوء
قُل شكراً جزيلاً، ولا تُطل الكلام
ثم اصعد قليلاً لتُبصر ..
في معاهد الموسيقى لا يدرّسون صريف الأسنان

وللأكاديميات مصنفات عديدة في الواجب الإنساني
أمّا حرمانك، فقارّة مجهولة
أيها الملوّع ..
الملوّع !
الملوّع !!
إصعد قليلاً .. لتُبصر ..
أنا الفارس الذي لا يشقّ له غبار
سيّد البيداء، والخيل والليل
أُصدِّق التكنولوجيا وهي لا تصدّقني
أصدِّق التكنولوجيا
كيف لا، وقد ذبحتني برشاقة مذهلة
لا إله إلا الله
لا إله إلا التكنولوجيا !
إفهمني جيداً يا ابن الكلب يا حبيبي
وآصعد قليلاً .. لتُبصر !
لمن النفاثات الأسرع من الصوت ؟
لمن جدران الصوت المهدّمة ؟

لمن أسماك القرش النوويّة ؟
لمن ناقلاتُ الجنود، المظلّات، المدرَّعات ؟
لمن أكواخ الصفيح المشتعلة بالناپالم ؟
لمن الخيام المنقولة سرّاً كالفضيحة ؟
لمن الحزن المتحجِّر في الأعماق ؟ لمن الخوف والجوع ؟
لمن الموت ؟ لمن شهوة الحياة ؟
أيها الوادع الطِّليّ
يا قلبي يا صديقي يا حبيبي
إصعد قليلاً .. لتُبصر ..
إصعد قليلاً ،
إصعد !

من أنت ؟

لم يظهرْ وجهكَ في مرآة البهو الملكيّ
وجهك لا يظهرْ
إلا في ومضة نَصل الخنجر
وجهك لا يظهرْ
إلا في وهج القصف الجويّ !
لم تُحفَظ أشياؤك في مُتحف
أشياؤك تتشظّى

في بيت فدائيٍّ يُنسَف

لم يعلق بحذائك صوف السجّاد العجميّ

قدماك الطين

وخُطاك فلسطين

ورحيلك موتٌ نبويّ

من أنتْ ؟

تتناسخ من صوتٍ في صوتٍ في صوتْ

قُلها للصمّ البُكمْ

أرعدْ في لغة الدمّ

من أنتْ ؟

زَلزِلْ أبراج الصَّمتْ

جلجلْ باسمك .. في لغة الموتْ !!

الهولة الثالثة

مَاتَ في بيته .. فَانتقَمْ

لم يهُن للألم

لم يكُن للندم

كان من أصدقائي المجانين ،

والحقّ ،

كان الصديق الأثير

كان مستهتراً بالطوالع ،

لا يشتري صحفاً تنشر الحظَّ

في صدر أبوابها الثابته
ولذا ماتَ في بيتهِ !
هل أسفتُ ؟
أجل ، وارتبكتُ لدى صمتهِ
إنَّما صاحَ بي صاحِبي
صاح من مُنتهى موتِه :
خلف مملكة الموتِ مملكةٌ لم تطأها قدم
وعلى بابها حارسٌ منذ صحو الردى لم ينم
خلف مملكة الموتِ مملكةٌ ،
يوم عفتُ الممالك يمَّمْتُ أسرارها
في الطريق انتبهتُ إلى هولةٍ أوقدتْ نارها
خفتُ يا صاحبي ،
قلتُ أَبدَؤها بالسلام
قهقهتْ ثم ردَّتْ وما من كلام :
« لولا سلامك
سبقْ كلامك
لفصفصت عظامك

قبلَ لحامك !»

لم ينلني أذىً فٱبتهجتُ

وأوغلتُ في رحلتي

فجأةً قصمتْ بهجتي الهولة الثانية

وطرحتُ السلام

قبل بدء الكلام ..

لم ينلني أذىً فابتهجتُ

وأوغلتُ في رحلتي ..

فجأةً أَعلنتْ طقسها الهولة الثالثه .

وطرحتُ السلام

قبل بدء الكلام

غير أنّ دمي كان في بالها

ونكصتُ إلى منزلي

وعلى منكبي كلُّ أثقالها

رافقتْني إلى منزلي القاحلِ

رافقتْني إلى بابلي

....

شمعدانُ السواحل منطفيءُ
دمُ يافا ،
يجفُّ على سنجةِ القاتلِ !
....
لم يهنْ للألم
لم يكن للندم
ماتَ في بيتهِ ،
فأنتقَمْ !!

مملكة للموت

مملكةٌ في القاعْ
يحكُمها « القرشُ »
ويبني شعبُها القلاع
على فجاج الرعبِ والضياع ..
مملكةٌ في الريح
أبوابُها المخلَّعه
على الردى مشرَّعه
ووجهُها القبيح

تبشره صحافةُ العالمِ
ملءَ صدرها الفسيح
مملكةٌ للعار
كلَّلها الإرهابُ ، يوم وُلدتْ ، بالغار
مملكةٌ هرّه
تأكلُ إذ تجوع
أبناءَها .. من دَقَّة القلبِ إلى السُّرَّه
تجرفها الدموع
أبكي
وتمحو دمعتي أسماءَها
مملكةٌ للموت !

قرية كافرة

أستميح المكائدَ عذراً ،
لَكَمْ فاجَأتني
ولم أحترمْ بأسَها
قلتُ أُهملُها ،
ربما ابتلعتْ يأسَها
إنما للمكائد أخلاقُها
ولذا رفعتْ دائماً رأسَها ..
....
هيه يا شَجَن الموت بالجلطة الغادره
أنا من قريةٍ كافره
خدَّرَ الجُرح يا سيدي حسَّها !

كذب السحر

ضَرَبَ البحرَ الصاخبَ بعصاهُ السحريّةِ
فانشقَّ البحرْ
ألقى في القومِ عصاه فصارتْ أفعى
تتلوّى وتفحُّ وتسعى
سحرٌ ؟
لا تصمتْ .. كذبَ السِّحْرْ !
ناسٌ وشُجيرَه
صوتُ الله يُجلجلْ

لا تأخذْكَ الحيره
لا تضربْ بالمندلْ
سحرٌ ؟
لا تهدأ .. كذبَ السِّحْرْ !
وَلَدٌ أسمر
يقفز في حيٍّ أوروبيٍّ داكنْ
يلعبُ بقذيفة هاونْ
سقطتْ جهرا
من علبة حلوى الحرب الكبرى
نسيتْها ذاكرة الذكرى
ولدٌ أسمر
يتذكّر أبويه المخنوقين ويبكي
يقف على ساقيه الناحلتين ويبكي
ويلوّح بيديه ويقذف خوذة جنديٍّ
في بحر الدمّ الساكن ..
ولدٌ (أوروبيٌّ) أسمر
ولدٌ أسمر

شبَّ على الطوق

في لمح البرق

صار بيوتاً وجيوشاً ومداخن

صار الديناصور الهائل

صار المقتول القاتل

سحرٌ ؟

لا تصمتْ يا غضبي

سحرٌ ؟

لا تهدأ يا غضبي

سحرٌ ؟

لا تخمدْ .. كذبَ السِّحْر !!

النار

خمدتْ ناري ، أنهضي واحتطبي
يـا ابنتي اشتدَّ صقيـعُ المغربِ
وإذا عــزَّ عـلـيـنـا حـطبٌ
يـا آبنتي .. هاتي بقـايـا كُتُبي
وإذا ضـنَّت بـقـايـا كُتُـبٍ
أحرقيني .. ومع الفجر .. آهرُبي !

جثتان

جثّةٌ تخطر في أكفانها بين القبور
رفعتْ للقمر الورديّ عينيها
وغطّت بيديها
جثةً
يسحبُها الدودُ إلى المنفى الأخير ..

المطافيء

سقطتْ في البحر نجمه
أبصرتْها فرقُ الإطفاء من تسعين أُمَّه
أبصرتْها فرقُ الإطفاء من تسعين أُمَّه
هُرعتْ للموقع الناريّ
لكن خراطيم المياه
قذفتْ في عتمة المأساةِ عتمه !

كفارة

صـالوا كُمـاةً دارعين وجـالـوا
مستقتـلين ... وليس ثـمَّ قتـالُ
من كدرة الماضي السحيق تسلّلوا
لـتـمـوتَ في آمـالهم آمـالُ
شقّـوا بحـاراً من دمٍ بعصيِّهم
وبكوا على صدر الشعوب ... ونالوا
وعلى ضحاياهم تسيلُ دمـوعُهم
ودمـي عـلى أنيـابهم سيَّـال

أعرفتَهم يا جُرح .. عفوك إنما
بعض الجوابِ كما علمتَ سؤالُ
عاج السعيد ، عن الطلى متسائلاً
وأنا سألتُك أنتِ يا أطلالُ
قُربانتي بهظتْ، فهل كفَّارةٌ
شفعتْ ؟... وهل تتبدّل الأحوالُ ؟

أطلس

لولدي « محمَّد » ضحكةٌ قُزَحيَّة
وعويلٌ فوضويٌّ مُحرج
بعبارةٍ أدقّ :
الوردة وحمأ البركان
النصل والوريد
الدم ورائحة الزرع .
بعبارة أدقّ :
ولدي . « محمَّد » طفلٌ عاديّ
وفريد بلا حدود

يلتهم السيريلاك ويعطس

يقزِّزُهُ البينيبرين فتذهل أُمُّه وتفرح

وتُفزعه الطائرة

فتحضنه أُمُّه ... وأنفجرُ صامتاً ..

محمَّد

الجميل مثل كلّ الأشتال والحملان

الفريد مثل كلِّ الأطفال والبراعم

يُعلِّمني منذ صرخة الولادة :

« أذكر مسؤوليتك أيّها الرجل

كُن يقظاً يا أطلس ...

إن كنت تحبُّني حقاً ،

ينبغي عليك أن تصون الكرة الأرضيّة !

قصيدة إستثنائية

في زمن الرؤساء الاستثنائيين
الأمراء الاستثنائيين
الشعراء الاستثنائيين
المهزومين الاستثنائيين
أعترفُ بأني رجلٌ استثنائيّ
من وطن استثنائيّ ...
لكنّي أعترف بأن الكرة الأرضيّة
ليست استثنائية !

أعترفُ بخوفي

أعترف بضعفي

فارحمْ روح أبيك. ولا تكبرُ يا ولدي

هل تكبرُ للحزن الاستثنائيّ

وللقمع الاستثنائيّ

وللتصفية الجسديّة ؟

سامحني يا ولدي

سامحني يا ابن الكلب ولا تكبرُ

لم يشفع لي في غرف التعذيب نباحي

لم يحترم النصل الاستثنائيّ جراحي

صرعتْني صيحة غضبي

ذبحتني أوجاعُ العربِ

فاغفر لي انّي يتّمتُك يا ولدي ..

يتّمتُك أو يتّمك الزعماء الجلادون ،

فقهاء الموت الاستثنائيون ،

لا فرقَ ولا يدرون

في هذا الزمن الاستثنائي المجنون !

يا حبَّةَ عيني يا ولدي
كُن وردةَ أَزَلي
وقصيدةَ أبدي
واغفر ضعفَ أبيك ،
وخوفَ أبيك ،
وموتَ أبيك ..
سامحني
لكن لا تسمعني
وأكبرُ وأكبرُ يا ولدي
كي يكبر بلدي فيك
كي لا يحملَ أمسي وزرَ غدي
أكبر يا ولدي واكبرْ
كي يصغرْ
هذا الحزن الاستثنائيّ ،
وهذا الموت الاستثنائيّ ،
وهذا الليل الاستثنائي ،
.. ويصيح الديك !

الخمسة

من كلِّ جهاتِ العالم سيجيءُ الخمسَة
الأوَّلُ ،
يحمل حكمتَه ويُعيد إلى المدلج شَمسه
الثاني ،
يَبتهل إلى العقل السامي ويسدِّدُ قوسَه
الثالثُ ،
يأتي برغيفٍ ويوزِّع في كل نفوس الدنيا نفسَه
الرابعُ ،

يُعلن ميلاد الحقِّ ويبني قُدسَه
الخامسُ ،
يتقمَّصني
يرسلني جسداً لا ظلًا ..
فلتصهل خيل الموتِ على قمة جبل الجرمق
ولتصهلْ خيل الموتِ
على قمّة روحي !!

أندلس

* جادك الغيث، لا جادك الغيث، يا زمن الوصل
والفصل ، كفارتي
لم تَجُز ، والمدى موصد بالمدى
صاحبَ الخان أُسرجْ جواد الفتى
أعطه جرعة من رحيق الهوى
زقُّهُ عطش دائم ، كأسه للردى
بربريّ أنا ، لم ألد طارقا .. ولدتني شفار العدى
بربري أنا ،

وابن زيدون خابية عَتَّقَتْ خمرها صرخات السبايا، وَوَلّادةٌ
خسرتْ عرضها في ملاهي الشمال
(إنما كسبت خبزها !)
يا صهيل الأسى ، يا رنين السنابك ، هل في المخاضات كوكبةٌ
أم ترى محض آل ؟
أنذا قشة في مهب الضلال
من ترى مرشدي ؟ (قشة) .. من ترى ؟
جسدي بين بين
بلدي بين بين
وغدي سكة في الرمال ..
يا التي ملكتْ مهجتي
يا التي غنّصتْ عيشتي
من بعيد قريب تعودين في حلكة الليلة الماطره
وتشعين لؤلؤة توجت جبهة الذاكره
يا لك الله !
هل جئت كي تعلني ساعة الحشرِ ؟
هل بدؤك الآخره ؟ !

أنتِ موجودة (ربما)
حُلمٌ (ربما)
جسد أنت للوهم ، ظلٌّ بلا جسد (ربما)
وأنا الشخصُ أو طيفه ، الطيف أو شخصُهُ
واكتمال الهوى انت ، أو نقصُهُ
أعلني .. آن أن تعلني سرك المبهما !
* حين أدركنا الليل ناشدني صاحبي ان نريح المطايا ، ولكنني
ارتبت في صاحبي ، صحت : غذَّ الخطى !
حين فاجأنا عند منحدر الذكريات لصوص الرؤى والترابْ
لم يكن معنا من عتاد سوى كسرة من طعام المآتم مخبوءةٍ
في كتابْ
حين ضج اللصوص السكارى ذُبحنا جميعاً ، سوى طفلةٍ
أنقذتها الشعاب
كبرت
حملت
أنجبت
وأعدنا الحساب ..

* للشرايين منطقها الواضحُ
للسكاكين تاريخها الفادحُ
فلتواصل مراثيك يا آخر الأنبياء
أجهضتك العناصر يا ملكي ، جاًفتْك السماء
والردى مانعٌ ، والردى مانحُ !
* هل أزحتَ الستار ؟
هل رأيتَ الذي لا يُرى ؟
هل سمعت النحيب الخفيّ ؟
يا غريب الديار
يا احتضار النهار
في مآقي قُصَيّ ؟
* للحُسين شهيدِ الرضا ، ولدٌ ضائعُ ..
قبل يومين، في سوق « فاس »،
شد ردني ضريرٌ عجوزٌ وصاح :
« مرحبا يا سليل الحسين
مرحبا أيها السابعُ
للحسين ، شهيد الرضا ، ولد ضائعُ !

لم أجبه ، ولكن حممت .
هز وجها من الطمي في حسرةٍ أشعلتْ صمتها
أنَّ والدمعُ يهمي على لحيته :
« أيه .. أندلسي كَررت موتها ! »
* كيف كان الذي كان ، يا معجز الكائنات ؟
قيل « ماء ونار » .. فخضنا بماء ونار
ثم قيل « الهواء »
واجترحنا الهواء
ثم قيل « التراب »
واجترحنا التراب ..
فلماذا لماذا اذن تتخلى عن الخالقين الحياة ؟
كيف صار الذي صار ، يا معجز الكائنات ؟ !
* إيه اندلس المنتهى والحلول
أمهليني غدا واحدا .. بعض غدْ
قد يحين المددْ
والذي يقرأ الغيب بشَّرني باختلاف الفصولْ
قال : عبر الطلولْ ،

منزلٌ .. أبد في الأبدْ !
* يَرفُضُ الموتُ أوِ يَقْبل الموتُ .. سيان يا صاحبي
ياسمين الصبا ذابلٌ في رياض الحبيب
وازدهت تل أبيب
وبكى سيد العاشقين
وكبا سيد العارفين
فاعذر الصب في موتهِ الصاخبِ ..
لدمي موعدٌ صارمٌ ،
طعنة .. وعلى رسله ينبجسْ
حين حاورتُه صدني هائجاً :
«انه خلسة المختلسْ
جسدي ، خلسة المختلسْ ! »
* قد يطول السُّرى
قد تضيع الحواضِرُ ، تُنسى القرى
ويطول السرى .
سنّة الدهر ان تهرم الخيل ان تسترد الفوارس انفاسها
ان تشيب الخنادق في هول ضوضائها ، يطلع العشبُ

في ساحة الحرب ، يستذكر الناس أمواتهم ، تقرع الشمس
أجراسها
وتصير الوهادُ الفجاجُ ، الذرى
حُلُما في الكرى !
* وجه غرناطة استهلَكتْه المراثي ، ويافا على قبر زرياب
ميتة من سنين
وعلى باب قرطبة استشهد الصقر ، واشتد قصف الغزاةِ
على تَنَك اللاجئين
إنه الجزْر يا سيدي يا حفيد الحسين
إن تسل « أين ؟ »
ردّ الصدى « أين .. أين ؟ »

......

أيها الضائعُ
أيها السابعُ
للملوك هواياتهم ، للجنود نهاياتهم
أيها الميت الرائعُ !
لم تحافظ على الملك مثل الرجال

فابك مثل النساء

ابكِ مثل النساء

إبك يا سيدي المفتدى

... ليس غير الصدى.. ى.. ى.. ى..

* سوف تطفو على الماء في بركة القصر جبّتك الزاهية

وستهوي الى القعر جثتك الدامية

فاجذب الزقَّ واشرب على ذكر عكا ، على ذكر اشبيلية

الثانية

سيدي ! لم يتمَّ الأذان

واستدار الزمان

تاركاً خلفه الصرخة الخاوية ..

* باسم زيتونة الدهر في مدخل المقبره

باسم نقشٍ على جبهة القنطره

باسم مملكتي المقفره

انحني فوق سيفي الثليم ، وأهوي قتيلاً ، غريباً عن

الأهل والدار ، في شظف الليلة الممطره

آخ .. أندلسي كررتْ موتها

آخ .. لا جادكَ الغيث يا زمن الفصل ، كفّارتي لم تُجز ،
وأنا بربريٌّ ويا حسرتي لم الد « خالداً » ، وابن زيدون دالية
يابسه
آخ ولّادتي .. آخ ولادتي البائسة !

كتاب القرمطي الأخير
إلى مولاه الحاكم بأمره

مولاي «الحاكم»

كرّمني الأوباش بتعذيبي من أجلِكْ

في غرفة تحقيق الزمن القاتم

كرّمني الأوباش بتجريدي من ثوب الصوف، ومن جلدي الزائلْ

شرّفني ـ لو يفقه ـ بالقتل القاتل

لكنّي لم أهلكْ

قاومتُ لأجلك

وبُعثتُ لأجلك

ونطقتُ وبُحتُ لهم في قبو التعذيب الغاشم

لا تغضب لا ترذلني يا مولاي الحاكم

لم آخذ « بتقيَّةٍ » زمني ونطقتُ ،

ألستُ « الناطق » في كل جهات الكون بأسرار «القائم » ؟

منذ تقمّصني روح الله « أبو ذرٍّ » ،

وأنا في حربٍ ضاريةٍ ضد «العثمانيين » وضد « الأحباريين »

وأما بعد ،

فالأرجحُ أن الوردةَ كانت داكنةً بعض الشيءْ

لهذا انشطَر العالم شطرين وماتَ الضوءْ

ويقول شهود عيانٍ إن فراشات الحبّ استأنفتِ الحُكْم

لكنَّ القاضي، كان وما زال يميلُ إلى الظُّلْم

استحلفُكم

أستعطِفُكم

أرجوكم إجلال الموقف بعض الشيء

يحدثُ أحياناً أن يزدرد التاريخ دعابته فيغصَّ بها

يحدثُ أحياناً أن يجتمع القاتل بالمقتول إلى مائدةٍ واحدةٍ

في المقهى الواحد
يحدثُ أحياناً أن الوطن يصير (مع الأسف الفادح) مقهىً
بحرياً يقلبه الملاّحون الغرباء على رأس النادل
دميتْ شفتي السفلى من طول العضّ بأسنانٍ ينخرها
السوسُ ،
اهترأ القلبُ اهترأ القلبُ
هُرعتُ إلى المستشفى
استقبلني الدكتور المتحضِّر .. بالرشّاش
تمدَّدْتُ على الحمّالةِ
هبَطتْ بالبرشوت عليَّ ملائكة الرحمه
خفتُ كثيراً وصرختُ فطوَّقني في الحال رجال الشرطة
والحرس المدنيّ
ويحدثُ أحياناً أن يزدرد التاريخ دعابته فيغصّ ..
طلبتُ محاميً فجاؤوني بدواء تجريبيٍّ ثبتت في الفئران نجاعتهُ
وشفيتُ تماماً وبكيتُ من الخزيِ
تمنّيْتُ الموتَ ولم يُسعِف
فشكرتُ الموت على لفتته السمحاء

لأني منهمك بالحزن البشريّ الممتدّ من الماء إلى الماء
ولأني مسؤولٌ عن طفلين وزوجه ..
يحدثُ أحياناً أن التفت إلى الخلفِ ،
فأمسخ عاموداً من ملح « البحر الميِّتِ »
أرفعُ نصباً « للحولة »
(كانت في وطني أمس بحيرةُ دمعٍ تدعى الحولة) ..
في طائرة الجامبو بين نيويورك وأمستردام ،
عثر رجال الأمن على قنبلةٍ وبحيرة
لم يلقوا القبض عليَّ لأنّي عند وقوع الحادث كنتُ ..
(آغفر لي يا مولاي .. اغفر لي ..)
كنتُ أغازلُ سائحةً إسبانيَّة
في حمّام العبّارة عبر قنال المانش .
يحدثُ أحياناً أن تتفجّر سيارة مرسيدس
حين انفجرتْ في شارع «أللنبي» سيارة مرسيدس
هرع رجال « الشين بيت » إلى عنواني المشبوه ، بحقٍّ
لكني عند وقوع الحادث كنت على متن قطار السهم النازيّ
وكانت تذكرتي تكفي الرحلة ما بين الغفلة واليقظة

ومتاعي .. أغنية وبحيرة .

للمؤتمر الدوليّ مهمَّتهُ العينيَّة يا مولاي

كل الخطباء أصابوا كبد الموضوع

أجادوا في البحث وفي التمحيص وفي سبك الجُمل على أكمل

وجهٍ

نوديَ باسمي فصعدتُ

وكان خطابي جرحاً وبحيرة .

من دهرٍ ، يا مولاي

أعرف رجلًا أنهكه الحبّ ، كثير التجوال من امرأةٍ لامرأةٍ

لكنْ بين الرجل ومحبوبتهِ

كانت من دهرٍ تمتدُّ بحيرة .

سقطتْ أعمدة الهيكل يا مولاي

سقطتْ في الحمأ المسنون

لكن الحادث لم يسفر إلا عن مصرع رجلٍ يُدعى شمشون

وآخر يدعى بن نون ..

ويضيف الراوي أن امرأة حبلى كان تنشد :

« الحبُّ بحيره

والموت بحيره
والشِّعر بحيرة
والعبوات الناسفة بحيره
والطفل الباكي لأبيه الذاهب للشغل .. بحيره
والمؤتمر الدوليّ
السفر الليليّ
الغضب الدمويّ
.. بحيره ..
والشجر . الصحراء . الناس . الآلات . الكتب ..
بحيره »
وعلى كل جهات العالم دوَّتْ صيحة عاشقها الأبديّ :
« إنّي أرتجفُ . تزلزلني الحمّى
غطّيني بيديكِ الحانيتينِ ،
يداكِ بحيرة » .
يا مالكَ روحي وقميص الروح الرثّ
اُمنحني نعمةَ شمسٍ أخرى وظلامٍ آخر
قُدني كالأعمى في بهو نيازكك الممتدة من حرف « الضاد »

الى حرف « الدال »
ومن بُرج « الثور » إلى بُرج « السرطان »
قُدني بالحجَّة والبُرهان
لن أنتقص هواك فلا تحكمني بالعصيان
اعترفُ بحبّك لا أشرك فيك
من شدَّة حبّي أرضاني ما لا يرضيك
لم أسجد بين يديِ آدم أنا نارٌ وهو ترابٌ
في النار عناصرك الكليّة يا مولاي وإنّي في حِلّ
هم طرقوا بابي في منتصف الليلْ
ونهضت على عَجَلٍ مبخوعاً
لم أسأل ، كالعادة ، « مَن بالباب ؟ »
فتحتُ البابَ على مصراعيه
وكان هناك ملائكةٌ
قالوا : « هل تتبرَّع للحملة ضد السرطان ؟ »
قلتُ : « أجل . لا شك بذلك . في الأسبوع الفائتِ
ماتت سيدة أعرفها ، بالسرطان » .
ولبستُ قميص الصوف ، مضينا ، وقرعنا الباب التالي

لم يُفتح

وقرعنا ثانيةً

لم يُفتح

وقرعنا وصرخنا

لم يُفتح

وخلَعْنا الباب ، دخلنا فوجدنا سيدةً

ميِّتةً من أسبوعٍ .. بالسرطان !

هادئةٌ ريح البيداءْ

وأنزفُ منبوذاً في رمل الحسرة

تطلع من بين الكثبان الرئم النافرَةُ

فأسألها جرعة ماءٍ أو قطرة ماءْ

تفزعها طرفة جفني فتطير شعاعاً

وأنا أضحك مهزوماً .. قتلتني طعنةُ « كعب الأحبار »

وأتابع نشرات الأخبار :

أطلق مجهولون النار على العرّاب الأمريكيّ

وكان يئمُّ يهود بروكلين في مسجد مار جريس .

نقل على الفور إلى مستشفى البحريَّة

وأفاد التقرير الطبّي بأن البورصة في حمّى قاتلةٍ
بعد هبوط « الينّ » وتعويم « الدولار » .
ألقى الـ .F.B.I القبض على رجلٍ
يدعى « عزّ الدين القسَّام » ،
بتهمة إطلاق النار ..
وأتانا في نبأ عاجل
أن صبيّاً من حيّ « القصبه »
يفرض صيغته الواضحة المقتضبه
ليفنِّد أكذوبة « كعب الأحبار »
(كوكا كولا المنعشةُ رفيق التين إيجرز
جيل الجينز يفضِّل صابونة بالموليف)
وإليكم آخر أنباء الأمم المتحدة :
زوبعة مجتهدة
تتجوَّل بالفتن وبالعُدد الحربيَّه
بين الدمّ وبين البترول .
وختاماً يا مولاي « الحاكم »
ها أنذا أوشك أن ألفظ آخر أنفاسي

في غبش الطقس الغائم
ما بين يديّ الراعشتين وبين فمي
يمتدُّ « الربع الخالي »
ما بين أبي وابني
تتقلّب سبعةُ أجيالٍ
ما بين الشمس وبين جبيني
آمادُ دمٍ وفراسخ حسره
قلبي ولساني
لا تدخل بينهما شعره
فاْقبل مني التوبه
لا تحرمني رحمتك الرحبه
علِّمني حكمة نوّار اللوز وأمواج البحر وأعشاب البريَّة
لا أطلبُ أن تذكُرني
أطلبُ .. ألا تنساني !

انتقام الشنفرى

ـ النشيد الأول ـ

أيَذكُرني الشرّ بالشرّ ؟
لا بأس .. حسبي شبعتُ على مَسغبَه
وحسبي رضا الضبعِ والسيِّد والبيدِ
والأمم الرِّثة المتربه
وحسبي « أمّ العيال » الرؤوم
وذكر الصعاليك والأغربه ..
أيذكرني الشرّ بالشرِّ ؟
لا بأس ،

مما وُهبتُ أردّ الهبه !
غُبنت أهنت لعنت طعنت
وأمّت يمينُ القبائل وجهي
وباحت بسري يمين امرأه
« إذا ما أروم الودَّ بيني وبينها
يؤمّ بياضَ الوجه مني يمينها »
أقيمُ هجيناً وحُراً أهيم
أهذا إذن شرفي عندهم ؟
وهذا صراطهم المستقيم ؟
وهذا إذن قَدري بينهم ؟
يميناً .. يميناً
هو الثأر يُقسم لن أرجئه
سأقتل منهم بما آستعبدوني
سأقتل منهم مئه
وأقتل أقتل منهم مئه !

ـ النشيد الثاني ـ

بنصال أظافره الوسخه
حكَّ البدوي الساخط غرّته السائبة على مدرجة الريح
لم يأبه بضراعة أرواح الموتى المعترضين على حرب الطبقات
مَسَّدَ عينيه الصافيتين كقلب نبيّ
وبخفة وحشٍ صحراويّ
دَمْلَق ساقيه الهائجتين بسخط « بلو جينز » السَّمل الكالح
وتأهب لمطاوي الخسَّة خلف زوايا الليل الفادح
ومكائد أقبية التكنولوجيا العمياء ..
نادتْه من الرمس الدارس في آل البيداء
أمٌّ لا تعلم حقاً إن كانت ولدته
ولا يعلم إن كانت حقاً ولدته :
يا ولدي المنقوض الناقض
من أين ؟
وإلى أين إلى أين ؟
يا ولدي الجنيِّ الغامض

صفَّر لحناً همجياً

وبلؤم ينطف سماً ورحيقاً

قَضَمَ الحشفة .. وانطلق يجوب العالم

« أقيموا بني أمي صدور مطيِّكُم

فإني إلى قومٍ سواكُم لأمْيَلُ »

وانطلق يجوب العالم

ـ النشيد الثالث ـ

بَشَرٌ ، جِنٌّ ، إله ،

يستبيح المضْمَرا

ويرى ما لا يُرى

شنفرى

سيم خسفاً وهواناً ،

فانبرى

شنفرى

أقسمتْ أحزانه أن يثأرا

ألف ويل يا « شبابه »
يا « سلامان » ويا كل الورى
ألف ويلٍ من عذاب الشنفرى
وانتقام الشنفرى
« فإلّا تزرني حتفتي أو تلاقِني
أمَشِّ بدهوٍ أو عداف بَنَوَّرا
أُمشّي بأطراف الحماط وتارةً
يُنفّضُ رِجلي بُسْبُطاً فعصنصرا
أبغّي بني صعب بن مُرٍّ بدارهم
وسوف ألاقيهم إن الله أخّرا
ويوماً بذات الرّس أو بطن منجلٍ
هنالك نبغي القاصي المتغوِّرا ! »
ويوماً بذات الجليلِ
ويوماً بذات الخليلِ
ويوماً بيافا وحيفا
وبيروت ، باريس ، عمّان ، روما
ويوماً بكل الحواضر

كل المنابر

كل المقابر

وللشمس أمرٌ

وللقدس دهرٌ

يحاذر حيناً وحيناً يجاهر

وشعب على العسف والخسف صابر

وللقدس جرح يهز الضمائر .. ما من ضمائر !

ذريني يا أم واسترسلي جثّةً في كثيب

ذريني ليأسي وغُرمي

وقوسي وسهمي

وبأسي وغُنمي

إذا حرموني الحبيب ، فإني المحب وإني الحبيب

وماضٍ وحاضر

ومستقبل في غيابة هذا الزمان المغامر

« دعيني وقولي بعد ما شئت ، إنني

سيُغدى بنعشي مرة فأغيَّب »

هو الثأر يُقسم لن أرجئه

بما يتموني وما شرَّدوني وما استعبدوني
سأقتل منهم مئه !

ـ النشيد الرابع ـ

من المهدِ
إلى اللحدِ
دمي في وجنة السفاح
في آنيةِ الوردِ
وأوتاري شراييني
وموسيقاي سرّ البرقِ والرعدِ
وغيظ التين والزيتون من ظمأى الكوانينِ ..
أجوس الأرض ملتفاً بحرماني
بلا وطنٍ بلا أهلٍ
بلا شكلٍ بلا ظلٍّ
وأشعل في جذور النار نيراني
وأفري الغلَّ بالغلِّ :

ألا يا أيها الأحياء والموتى
مزيفة مواجعكم
مزورة شرائعكم
وإني قادم أبغي مضاربكم بعسف شريعة الغابِ
فسموني بما شئتم
رسول الشرّ
سموني : رسول الخير
سموني : حمورابي
سأغزوكم بما للحقد من ظفرٍ ومن نابِ
لأشعل بالدم المهراق أحطاب السدى الكابي
نِحل تنوء بخزيها وملوكُ
ويفت فيها مضمَرٌ مهتوكُ
هجنٌ وأحرارٌ ؟ عبيدٌ كلهم
والحق غبن واليقين شكوك
فاضرب ، لُحيت ، هي الحياة رسالة
دموية .. ورسولها صعلوك

ـ النشيد الخامس ـ

مجدولة بالشبق الوحشيّ
تنقضُّ عبر الهجير المرصود بالآفات والفواجيء
يد غليظة
تقتلع ثدي السذاجة
من منابت اللثة الغضه
ينصعق الطفل برعب حيواني فيزعق
انتفضي أيتها العواصف الرملية
يزعق يزعق
كوني يا أعمدة النقع نخيلاً يساقط تمراً دموياً
يد غليظة تسحل الأم المبخوعة
على رمال العالم وثلوجه
مخلّفةً على خرائط الدول وتقاويم الشعوب
خطاً واضحاً من الدم الواضح
يمتد الزعيق المرعب إلى نطفة الحياة وومضة الموت
ويد غليظة

تدسّ ديناميت الخزي تحت أعمدة السماء المنخفضة
لتنسف من الأساس حلماً يُسمّى الإنسان .
أيها السراب العابث المهاجر أبداً
أيتها الكثبان المقيمة على أنفاسك الرتيبة
أنت شاهد عيان في هذه الجريمة المتقنة
وها هو ذا الشنفرى الميتَّم بصكوك الباطل
يرضع حليب العبوديّة الغامضة
ليخلف بانتقامه المتقن
خطاً واضحاً من الدم الواضح ..

ـ النشيد السادس ـ

طوبى لشكوكي ويقيني
طوبى للمشي أماماً في طرق الليل الوعره
طوبى للشغف الدائم في الروح المحتضره
طوبى للنار الأبدية في ثلج جبيني
طوبى لي .. مأخوذاً ، تنزلق على كتفيّ العاريتين أفاعي

الدهشة والشغف البكر ـ أما من لونٍ غير القزحيّ المستهلك ؟ ـ يا قلبي يا قلبي أُرهقك الجسد الصاخب . مغفرةً يا قلبي المتسكّع في أمصار السّحر . اتبعني يا قلبُ . بلوتُ الحامض والحلو تعثرت نهضت تعثرت نهضت. وقاتلتُ أحاجي المكفوفين وصاحبتُ الصدّيقين الكفَره ..

يا قلبي المثقل بخطايا الذكرى وخطايا النسيان اتبعنا يا قلبي . نحن الأبناء البرره ..

نجحد ، لكّنا الأبناء البرره

نكفرُ ، ونظلّ الأبناء البرره

يا قلبي الحافي المتسكّع في سُبُل التاريخ القذره

هي ذي تفاحة موتي في متناول أشواقي النازفة على حدّ السكين

تلفحني نار اللهفة في أنغولا

يأتيني من قمر تشيلي وردٌ ونحاسٌ

تتفتح قيرغيزيا في برعم حبّي

أشربُ نخباً في نيويورك

اعيد قراءة پوست كارد صينيّ مختوم بوداعة نوار اللوز

الأبيضُ مرصودٍ بالتنّين

أأحب بهار الهند ؟ ذراع حبيبي اتشحت بالوشم وإني لجريحٌ

بالحبّ

جريحٌ بالحب . ضمادة جرحي من تفتا الهندِ ، ينزّ الجرح

ويرسم بدموع الوجد وماء الورد وتفتا الهند بلاداً تدعى في

السرّ فلسطين وتدعى بالجهر فلسطين ..

طوبى لنداء الحب وطوبى للورده

لو صحتُ تعالي : لارتعشت أشجار تزهر في النار وفي الثلج .

وأنثى تنتظر رجوعي من أفق وحشيّ لو صحت تعالي :

لانفرجت أوقات الشدَّه .

لكني لا أركض

عرياناً في بيد الشوق وراء كفافي اليوميّ

أحلم بالوردة وأنادي الوردة . لا يشفي جسدي غير الورده .

لا يشفي روحي غير الورده

أحلم بالوردة وأصيح : تعالي

طوبى لي معترفاً أني حين بلغت ديار « سلامان » انقبضت

نفسي

صوتي محظور في شرع « سلامان » ووجهي .
قد أغدو حياً فيها . لكن لن أُمسي
والموت أمان .
صحتُ بنفسي :

حاذري أيتها النفسُ فإنّ الجبنَ موتُ
والرَّدى في الأوجِ صوتُ
فانثري في الملأ القاحل بذرِ التضحياتْ
وافتحي للمطر الإنسيّ أبواب الحياةْ
واطلبي أنصاركِ الشجعان .. يأتوا !

ـ النشيد السابع ـ

ولو أنهم جزوا من الشاة صُوفها
لطاوَعها صفحٌ على البرد والحرِّ
ولكنهـم جـزّوا فؤادا مُـدلَّهـاً
فلا خير، غير الشر، يشفي من الشر
هو الثأر ! يصمي قلبهم ملء وَفْضَةٍ
تَسابق منها الهيف للصدر والنحرِ

وقد حزموا أمراً على كسر شوكتي
وإني على تشميتهم حازمٌ أمري
بما اعتبدوا عنقي أصك صدورهم
بكل مريشٍ قنصةُ موضعُ السر
ولا أنثني حتى تصير جسومُهم
فرائس تغذو ساغب الوحشِ والطيرِ
وإن قبضوا مني ذماء أعافُهُ
فما قبضوا غيرَ الرمادِ من الجمرِ
ولا خير في عيشٍ على القيد سابغٍ
ولا ضير في موت الفتى ميتة الحر!

ـ النشيد الثامن ـ

على رسلهِ انطلق الشنفرى
يجوس وهاد العذاب السحيق ويلطم كِبْرَ الذرى
ذراعاه جسران ،
جسر إلى يقظة الوجد يفضي

وجسر إلى سكرات الكرى
ومن حوله فتية كالسراحين ،
أغربةٌ مثله في الورى
تناوشهم ألم لا يكلُّ
وأخنى نهارٌ وليلُ
ونكَّل بالجسم والروح منهم ،
عدو وأهلُ
فلا مات حقدٌ
ولا عاش ذلٌّ
هو الثأر يقسم لن نرجئه
بما يتَّمونا وما شردونا وما استعبدونا
سنقتل نقتل منهم مئه !

ـ النشيد التاسع ـ

تحلق الشنفرى وفتيته حول ناووس طفولتهم الموؤوده
تمتموا ، على الجوع ، صلوات الغضب المتخم

وانطلقوا عاصفة من الدم والياسمين
دسوا عبوات حزنهم الناسفة
تحت عروش مطلية بالكذب والذهب الأسود
ومرغوا بوحول المذلة وجوهاً من السختيان الحليق
سختيان يتلمَّظُ طبولا ونحاساً في المؤتمرات والخمارات
الراقية !
تسلل الشنفرى إلى المطارات الدولية والموانيء
وبيدٍ ثابتة القلب
سكب السم على موائد رجال الأعمال في السفن السياحية
وجرَّد الطائرات من محركاتها .
على مداخل الأمم المتحدة
أشعل دمية كرويَّة (لعلَّها بيضوية !)
وأتلع جيده في خطبة صماء :
تفضل حضرة المبعوث الدولي فتناول على ضريح أمي وجبة
إفطاره ملتزماً نظام الريجيم الصارم.
اختلفت وجهات النظر : أيكون التنديد شديد اللهجة أم
نكتفي بأكاليل الزهور ولفت النظر ؟

لم يحسم غير الفيتو !

مضى العالم في سبيله ومضى القتلى . وعُلم مراسلنا ان موسم الزهور كان رائعاً هذا العام . لا خوف على الجنازات وحفلات الكوكتيل . وعليه أيها السادة فانني أحتفظ لنفسي برغبة الصراخ وحق الانتقام من جنازير الدبابات.

ها هي ذي الطائرات القاذفة المقاتلة تعترض خطبتي وتقاطع حزني. لغتي لا تملك الفيتو. أحتج رسمياً على حقارة غواصاتكم، همجية أغانيكم ومخالب الشيفرة.

لأجل من كل هذه المكائد ، المراوغات ، الرحلات السرية الخاطفة ، البيانات التفصيلية والمقتضبة ؟ لمن الحمّى ، الخرائط، الانذار المبكر ورؤوس الأقلام ؟ تصطلون على هشيم دمي . في ضوء عنقي المذبوحة تتفرجون على الأفلام الزرقاء . أو. كي. لم أكن أعلم أن قناطر الرخام والأطفال والزخارف الكوفية تستحق كل هذا القدر من العقاب.

وانني لأبشركم بتحرك الطبقات والطبقات الجوفية . عِلم الجيولوجيا هو التابع ، ومن ثم يأتي علماء الآثار الملتحون ، بقبعاتهم المضحكة . أفهم كل شيء ومع هذا لا أفهم شيئاً .

أحني رأسي إجلالاً للطيور الأليفة . للسيرك ولمباريات كرة القدم . لكن ماذا أفعل بكل هذه الجثث ؟ الجثث المنتظرة تحت أنقاض جسدي : ماذا أفعل بلائحة الإتهام المحفورة عميقاً على الجلود المكوية بالسجائر . على خرائب المدارس والأغنيات . على أطلال الطفولة المصعوقة . وعلى أغصان الزيتون المدنسة برائحة ثيابكم وبنادقكم. على السيقان والأيدي المبتورة بسيوف أساطيركم . على الوجوه الجامدة الموصدة بالشمع الأحمر وحظر التجول . أكواخ الصفيح المرنَّة بصيحات التشرد والموت . ماذا افعل بدمي الصارخ في البرية المرشوق على الوصايا العشر كلوحة تجريدية .

ما نفع اللغات التي أتقنها في بابل؟ ما جدوى الشفق الساجي بانتظار الغارة الجوية . لم يبق من دمكم سوى الكيمياء . لم يبق من السيمفونيات والالكترونيكا سوى هذه الشهوة الواحدة ، شهوة القتل القتل . أيها الخنازير السائبة في كروم الفقراء . أيها الصدأ المتراكم على أصص الورد الاصطناعي .

ستاتيستيكا !

هذه هي كلمة السر كلمة السحر . هنا ينهار كبرياؤكم الكاذب .

ستاتيستيكا !

إمتشقوا أقلامكم الذهبية ودوِّنوا في مفكراتكم: ٩٩ قتيلاً حصاد غضبي وانتقامي !

اقتحمت خنادق الديسكو المحصنة بالضياع والقنابل العنقودية .

زعزعت بالحبق والنعناع أكاديميات الكذب والنيترون . ترصدتُ نواياكم الشريرة حيث الانفاق المفضية إلى ذاتها ، في بؤرة الروح المعتم . لم أدخر وسعا في رد الظواهر إلى كنهها الأرضي حذراً من الشعوذات والأحكام المسبقة. ٩٩ هولة .. بما يتمتموني وما استعبدتموني. فلتنتظرني السنابل . الأطفال . الهوايات والأزهار . هناك على صخرة الزمن اللزج بدماء الشهداء والضحايا المساكين . هناك حيث مطالع الأناشيد والجوقات المدرسية . هناك حيث العيون الصافية كدموع كبيرة ، تنتظر الوجه الالهي القادم

على طريق الشيطان.

آنذاك تخضل الأضرحة وأعواد المشانق . يصبح الأمل ممكناً . تنشقّ البوابات الحديدية الصدئة عن عشبة الفرح. آنذاك تزهو الفراخ بزغبها اللدن. آنذاك ينحني الغريب بأدب جم لسيدات البلدة. تعبّد الطرقات وتوزّع الحلوى على الأولاد الشاطرين . ترف فراشة ملونة على ضفيرة طفلة تُحسن الغناء بلغة أخرى . آنذاك يلعب المتقاعدون الورق والنرد وهم ينتهرون الأحفاد المشاغبين باعتزاز أليف . آنذاك تضع الطيور بيوضها على الشبابيك وفي الخنادق الحربية المهملة.

آنذاك أبعث أنا الشنفرى لأحمل الأطفال على منكبي . ولأهيم على وجهي بأغاني الحب اللاذعة . ناثراً دموع فرحي على أوراق البرقوق والنرجس الجبلي . موقظاً الرعيان من تهوية العشق الصعب ليكشوا عن أنوفهم نحلة الربيع العفرية .

آنذاك يصبح انتقامي كتاباً نظيفاً وفق مناهج التدريس ويضربون المثل بوردة غرامي الملتهبة .

ـ النشيد العاشر ـ

فجأة يتوقف بث الاذاعات/ ينطفىء التلفزيون/ يصرخ في بحة الموت صوت ولا حنجرة/ أهي قنبلة يدوية ؟/ المذيعون في فرح غامرٍ/ يعلن الصوت للعالم السادِرِ :

ألقى الانتربول القبض على ارهابي بدوي يحمل باسبورتا لا شك مزوَّر ويجوب الدول الحرة مقتنصاً أصحاب صناعات الطيران الحربي وأرباب البورصة والفيزياء النووية ، مدعياً ان الله تعالى أوكله بالثأر لأطفالٍ نُسفوا في شيء يدعى تل الزعتر

يشتم عالمنا الحر ويجرؤ أن يرسم خارطة العالم باللون الأحمر

عُقدت محكمة الميدان وصدر الحكم باعدام الإرهابي القاتل ، رمياً بالغربة والحزن . ووفق القانون الدولي أتيح له أن يوصي .. قال :

لا تقبروني ! غاية الشِّح ذَرى ِالمقابرِ

واني لذو جدىً ، مُقتبلي وآخِري

فَخلِّفوني .. واهنأي باليسر « أم عامرِ » !

ويرى علماء السايكولوجي أن الإرهابي أصيب بمس في العقل وفي الروحِ ، ولكن الديموقراطية تكفل تنفيذ وصيته بالنص وبالحرف . وبعد الإعدام قذفنا بالجثة في ميدان الحرية حتى يعتبر عبيد الأرض. ابتهجت بالجثة قطط الأحياء الشعبية وكلاب البوليس وعشاق التصوير الفوتوغرافيّ ... نثرنا ملء جهات الأرض عظام الإرهابي القادم من بيد الشرق على أجنحة البرق ..

فجأة يتوقف بث الإذاعات/ ينطفىء التلفزيون/ يصرخ في بحة الموت صوت ولا حنجره/ أهي ماسورة البندقية ؟/ أهي قنبلة يدوية ؟/ المذيعون في غضب غامرٍ/ يعلن الصوت في العالم الثائرِ

يؤسفنا أن نعلن للأمم المتحضرة الحرة والأمم الجاهلة العبدة والأمم المبهورة بين العتمة والنور . ان رئيس الكهان الأسمى سيدنا المحبوب تمشى في الفجر سعيداً بين ورود حديقته. فارتطم بجمجمة سائبة طرحته على الأرض مدمى مشتعلاً بعذاب جهنم . هرعت سيارات الشرطة والإسعاف ونقل على الفور إلى مستشفى البحرية . وهناك اتضح لنا ان الجمجمة

مسممة بالفكر الثوري فلم يعتم سيدنا ان مات شهيداً للبنك وللبورصة والطيران الحربي . واتضح لنا أن الجمجمة تعود إلى ارهابي بدوي جاء من الشرق على أجنحة البرق ..

ـ النشيد الحادي عشر ـ

أخاطبكم من رماد العصور وصحراء أحزانها المجدبه
أنا الشنفرى
رسول الصعاليك والأغربه
بُعثت لأنقُضَ مجد الأباطيل من أُسِّهِ
لأحرق يابس ليل الطواغيت والأخضرا
لأسحب ـ من أنفه ـ عالم العسف والمعصياتِ
إلى شمسهِ
أنا الشنفرى
حبيبُ الأناشيد ، طفل المآسي ، يتيم البراءه
رفيق شقوق الجدار
وعشب البحار

وشوق المدار
إلى شرفات السماء المضاءه
أنا الشنفرى
شهيد الصعاليك والأغربه
وسر التفجُّر عفواً
وروح الهدوء ،
وكفارة الأنفس المذنبه
أيذكرني الشر بالشر ؟
لا بأس
مما وُهبت أرد الهبه .
نذرتُ لِوَرْدِ الرضا والسلامِ
يميني وسيفي وقوسي
وعبوة حزني وبستان شمسي .
أنا الشنفرى
تخيَّرت موتي بحد الحسامِ
لأبعثَ حيّاً بحدِّ الحُسامِ
على كل خارطة شنفرى

وفي كل أغنية شنفرى
ومن كل مجزرة شنفرى
يموت بحد الحسام ويحيا بحد الحسامِ
واني لأنذر من غضبي وانتقامي
ومن غضبي وانتقامي
ومن غضبي
وانتقامي ..

ـ الأغنيةُ

في قديم الزمان ابتنى ملكٌ قصرهُ
من ركام الشعوبِ وجهل الرعيه
وابتنى عرشه من عظام الضحايا
وأتاه جنود المظلات والمدفعيه
بألوف السبايا
في قديم الزمان
ملك مستبد مخاتلْ
صاح في سكرة العنفوان

« تلك صيدون في طرف الصولجان
تلك مصرٌ وبابل »
ثم دار الزمان
في هدير الزلازل
وٱنطوى في جحيم اللظى والدخان
ملك من قديم الزمان ..

ـ الملاحظة ـ

يدَّعي بعضُهم أنه سمع الشنفرى
منشداً هذه الأغنيه
وادعى بعضُهم
أنهم وجدوا الأغنيه
في قميص عتيق يرفُّ على الغَمْرِ !
أجنحة ؟
مهجة ؟
علماً ؟
أحجيه ؟

ويقول الرواة الثقاتْ
إن من أنشد الأغنيه
لم يكن غير جمجمة الشنفرى
بعد أن أوفت النذر
وانطلقت في رحاب الحياةْ ..

● إشارات ●

* الشنفرى ـ أغنى الشعراء الصعاليك وأجمل أغربة العرب قاطبة. تقاذفه بنو شبابة وبنو سلامان بالاستغلال والاستعباد . حين حاول ممارسة حقه الإنساني في الحب صكت وجهه الفتاة السلامية . ولم يطل به الوقت لاكتشاف الضرورة في ممارسة العنف ضد مذليه ومستعبديه اذا هو شاء إسترداد ذاته السليب . أقسم ان يقتل منهم مئة بما اعتبدوه وحين بلغ عدد القتلى ٩٩ أسروه ومثلوا به حياً فارتجز قبل الموت ولم يتح لهم سبيل الشماتة بيده المقطوعة . في قمة المأساة بلغ قمة الإنسانية حين أوصى للضبع « ام عامر » بجثته (لم تقم آنذاك معاهد التشريح الطبي!).. واكتمل انتقام الشنفرى حين تعثر أحد مستعبديه بجمجمته فسقط وقضى نحبه ليكون الكفارة المئة عما لحق بالشنفرى من حيف وغبن.
* أم العيال ـ اسم التحبب الذي أطلقه الشنفرى على رفيقه « تابط شرا » .

(١٥/كانون الأول/١٩٨١)

الرجل الأخير

هو ذا الانفجار
فلينظر الجنس البشري
ولتفتح الكائنات أبوابها
ليدخل ملك الحقيقة .
هو ذا صقر أحزانك
جهاراً ، في حضرة الباطن والظاهر
يَسْلَحُ الخيبة والاحتقار
على تماثيل الحرية وانصاب الاستقلال
في ساحات الأرض كلها .

وهذا أنت
وجهاً لوجه إزاء الموت .
الآن ،
في وهج القذائف وشرر الأسنان المغلوبة على أمرها
اصبح لديك متّسع من التحلي بالصبر
فلنتصارح كما يليق بالروح والجسد .
الآن تسقط ساعات الجدران
برقاصاتها التعيسة
ذات الأجل المُسمى
الآن تخلخل الزوبعة الصافية
نظام اللوحات الهائلة
من «اللوفر» حتى «الارميتاج»
(حاذر، الدبابة قريبة جداً
سدد جيداً) .
لن تسقط في الفخ
لن تؤخذ بالمهاترات والتخمينات
أنت الرجل الأخير

الرجل العاقل الأخير
ولا يليق بالنضج الكامل
ان يتلعثم إزاء النماذج المختبرة
« الملدوغ يخشى جرة الحبل »
لكن حبالاً لا تحصى
تتدلى باتجاه عنقك المستحكم
خلف الكوفية المتسخة بالغضب
(لا تنسى سناج القذائف العنقودية)
كان بودي أن أعلن إدانتي :
« أيها الأحياء
خُذوا أكاليل زهوركم
نحن الموتى
أمضّنا الجوع
وعلينا أن نرهن حاسة الشم
في سوق الأكاذيب الكبرى
أيها الموتى
منذا يسترد الرهان

من أجلكم ؟ »
كان بودي أن أجرِّب مجريات أخرى
بيد ان خبراء الارصاد الجوية
حذَّروا من تقلبات الطقس والأمزجة
حذَّروا من التقاويم ومضاعفات « الأنيميا »
أعرفك أخاً شقيقاً للصواعق
تخلط الأعوام مثل ورق اللعب
وتفلش سرائرك على المائدة
حتى يروا ويعتبروا
أعرفك
لا بأس بإطلالة أخيرة نحو الزهور البرية
المنطوية على اعتباراتها الخاصة
نحو الأعشاب المتطفلة السائبة
في حدائق المنازل المدمرة حديثاً
لا بأس بجرعة ماء ساخن آسن
وإني لأشمّ مذاقه من هنا
من وراء صخرتي هذه

الموقع الأخير للايمان بك .
لم تولد بعد آلة الكبرياء
وهذا مجدك
أيها الحد الفاصل
بين الأقلام والصواريخ الموجهة
أما زيتونتك
المضافة حديثاً إلى حديقة الغُزاة
أما عظام الأجداد
المطحونة مرة أخرى تحت شفرات « البلدوزر »
أما القنطرة الباقية
قوس قزح لسماء غربتك
أما ألواح الصبار غير المصدِّقة
أما أنا
فحزنك الذي ما بعده حزن .
هكذا إذن
يتجسَّد باطل الأباطيل في الوردة الاصطناعية
آخ الوردة المسمومة

آخ . الدجل ، التزوير ،
الرياء ، النفاق ، التشويه ، التمثيل
التمثيل بالجثث
التمثيل بالتاريخ
وما من سميع
غير شرايينك المفرقعة
قنابلك الموقوتة
عذابك المستحيل
عصيانك المندلع في هشيم الخرافات
سبحان دمك
سبحان كلماتك التي لن تقولها
أيها المتشرد بلا حدود
في سحابة تحفظ عن ظهر قلب
تقاويم البرق والرعد والمطر
في الغرفة الصغيرة
في المناخ غير الصحي
تفقد سنبلتك قدرتها على التماسك

وعلى حين غرة
تفحّ مكبرات الصوت
تقتحم الأسماء المستعارة غرفة نومك
يرتفع ناووسك على الأصابع
بين التراتيل القادمة
في صف طويل من الأسرى المهانين
تقلِّب ناظريك في الوجوه المحتشدة
فلا تعرف أحداً.
أنت لا تطلب خبزك كفاف يومك
تجرؤ على بُعد النظر
فيعاقبونك
أيها الأبله . أيها العاقل الأخير
كيف تتطاول على مجريات الأمور ؟
عبر قرون الحسرة
عبر ركام المعطيات الملفقة
رفعتَ يدك
أطلقتَ تهديداتك اليائسة

مدركاً ان شمعة واحدة
لا تضيء هذا الليل
فلتنطلق صيحة اللهب
ولتنطلق عنقاء أصابعك المشتعلة
ملء صقيع الغربة

(لا تؤاخذ أمّنا العمياء
انها تنتظر صورتك .)

في القيلولة الخضراء تحت شجرة السلام يمضغ الغزال سعادته
الجنس البشري يخلّد المنظر
« بكاميراته » ولوحات أطفاله
أما أنت فوحدك تفكّر حزيناً :
« لو تعلم أيها الغزال لو تعلم
ان لحمك سيُفرم على خشبة
من جذع هذه الشجرة
لو تعلمين آه لو تعلمين
أيتها الشجرة
ان جذعك سيُلطخ بدم البراءة . »

وحدك تفكِّر حزيناً
فلا بد لي من تذكيرك
« حتى في العتمة الحالكة
يجد الإنسان طريقه في غرف منزله
في العتمة الحالكة
يلتف على المقاعد
في العتمة الحالكه
يلمس برفق شديد
حافة السرير المظلم
أمّا السكين المتربصة في الركن
بالقبضة المتسلِّلة
عبر النافذة الغدارة
فهذه مسألة لا يستطيع الغزال أخذها بالحسبان . »
لنعترفْ !
لن يتغيَّر شيء على الإطلاق
في اللحظة القادمة
لنعترفْ !

في اللحظة القادمة

يتغيّر كل شيء .

فلنستجمع ما لدينا من جرأة

في مواجهة موتنا المنطقي

برباطة جأش تليق بالبرق

وتكفي لاغاظة العدو والصديق .

تحضرني الآن كلمة « ملفات »

عبارة « الجلسة الاستثنائية »

والرغبة الجامحة في بكاء أصم

على قلبك الباكي .

انها السعادة الوحيدة المُتاحة

في اللحظة القادمة على الأقل

(لم تلمحك الدبابة

انها تبتعد بعض الشيء)

أما أنت فلن تتخلى عن حذرك

لم يبق لك شيء تتخلى عنه

سوى ذلك البرعم الأحمر

خلف الإسمنت المُسلَّح
في قلبك الباكي بين جدران الرخام البارد
الرخام المتقع الرطب بعض الشيء .
أمَّا بالنسبة لي
فلا شيء لديَّ اتشبث به
غير الرغبة الحارقة
في البكاء على قلبك
ها هم مرة أخرى يخرجون إليك
مولعين بالتذكارات المعطوبة
يخرجون إليك
من شرخ الأضرحة
وقد عطروا أنيابهم
بمسك الخطيئة الأولى في رماد أجدادك
انهم يخرجون
خفافاً جارحين
ليطبعوا أكفّهم المغموسة في الدم
على أجنحة الملائكة الأغبياء

على رئتك المهشمة الأضلاع
على زجاج « الأمم المتخدة »
على جبين أمّك المغضّن بالثكل والحوقلات .
هذا شأنهم
منذ طوى النسيان مذبحة السنونوات والنرجس البري
منذ تمت الصفقة بلا فضائح
وتجشأت الآلهة المتخومة
بلحوم أطفالك المذبوحين من الوريد إلى الوريد
جهاراً تحت الشمس
تحت هذه الشمس
هذه الشمس
واني لأعلق على جدران قفصي الصدري
صور جُثّتك
المنشورة بتلذذ فظيع
على الصفحات الأولى من صحف اللصوص القتلة .
أيّة فاكهة ملغومة تحملها هذه الأشجار
أيّة ألغام في الفكاهات

أيّة أشجار غير مبررة

الغابة ؟

إذن الوحوش

لا منطق على الإطلاق

في هذه الموازنات المريبة

وانك لتكاد تصرخ :

كم كنت مصيباً يا «دون كيشوت » .

(المدفعية الثقيلة

تقطع أنفاس الأطفال الرتيبة

في بسملة الفجر الرائق

كعيني طفل مرصود للموت

قرباناً للمدفعية الثقيلة ..)

انهم يربطون دمك بجدول الغلاء

يطالبونك بالتعايش السلمي مع الحرب

بالموت قبل إعداد الحقائب

أمّا أنت

فتهب ابتسامتك حريتها المطلقة .

بلا مؤشر مقنع

بلا دليل
ان تطمئن بهذا القدر
إلى خبايا الحقائب الدبلوماسية
ان تثق بضمير الفولاذ
وروتين كلمة الشرف
انها المجازفة عينها :
ان تلقي بكل مدخراتك في الصفقة
زوجك هي المرأة الوحيدة
التي باعت حليها
لتشتري لك حلماً
وشالاً من الصوف
يُدفيء عنقك المطلوب حياً أو ميتاً
في ليالي العالم القارسة .
السيدات الأخريات
يكتفين برفع التلفون
إلى أفق الأقراط الماسيّة الجذلة
كلمتان أنيقتان تليقان بأحمر « ماكس فاكتور »

ضحكة واعدة
وتتدفق البرقيات
وتزدحم أجهزة التلكس
بالصيحات المطالبة بإعدامك
رمياً بالغربة أو « بالنابالم »
أيها الرجل الوحيد
أيها الأخير العاقل
ها أنت وجهاً لوجه إزاء العدالة الأخيرة
وما من قضاة
هل ثمة جريمة ،
شارك فيها هذا القدر الهائل من البشر والأشياء
كجريمة التعجُّب لوجودك ؟
إني أراك
تخاطب نفسك كعجوز خرف
تنفث دخان سيجارتك
في عيون العالم المحدِّقة بك
سوراً هائلاً من الزجاج .

إنني اسمعك
مفضياً بأسرارك الرزينة
للوردة العائمة على حمأ قلبك
صادعاً بالحقيقة المدمرة ببساطتها :
« أيها الأبرص
لا شفاء لك عندي
أتمنى لك الشفاء
أيها المقعد
لن أقول لك قُم وامشِ
أهديك عكازاً
أيها الميت
تعازينا الحارة
إلى الأهل والأقرباء
في البلاد والخارج »
تحدثنا عن الألوان
قلتُ: « النصوع جواد طليق »
قلت: « المعضلة الليلك »

ثم سألتَ ببراءة فاجعة
« ما لون الآلهة ؟ »
الألوان إذن هي الدليل
هل ثمة من سبيل مهما يكن
نحو التعايش
نحو شكل ما من التعايش ؟
هل ثمة من سبيل
نحو ما يشبه الألوان ،
ما دام الأصل ميئوساً منه
تحت وطأة هذا العمى الساحق ؟
أقول لك ؛
(لحظة ، قد يهدأ القصف قليلاً .)
أقول لك :
ان الطباع قابلة للمساومة
فلا ثبوت في شيء
المهم دائماً وأبداً
هو السعي الحثيث المخلص الواثق

نحو شكل ما من أشكال التعايش مع الألوان
هل أستطيع استعمال تعبير « التماوت » أيضاً ؟
نحن نحب المدن الكبرى
غربتنا ليست دليلاً
إنما هذه هي الحقيقة
وعليه ، نحبّ « بيروت » و « روما »
وحاضرة « الفاتيكان »
حيث تندلق الإيطالية على جراح المسيح
مثل زيت الزيتون الصافي .
وأصارحك بانني لم أفكر بالقِبْلة
في أثناء تجوالي العبثي بين أضرحة البابوات
إنما ابتسمت دون اعتبار لقداسة المكان
حيث رأيت « الدوتشي موسوليني »
قائماً على الشرفة الضيقة القبيحة
مطلقاً قذائف لعابه
من رأسه المضحك
مشيراً بقرف إلى المواطن ميشيلانجلو

ان « واصِلْ عملك بصمت أيها الدهّان المعتوه ! »

(بالمناسبة اين تلقيت تدريبك العسكري ؟)

اجتماعات ، اجتماعات ، اجتماعات
كأنما أستعير قلب الأخ «هملت»
ذلك الأمير المُهان أولاً وأخيراً
قرارات ، قرارات ، قرارات
كأنما أهين النملة
كأنما استخف باللقاح السري
ذلك الجندي المجهول ..
وحين يخلع الوطن طاقية الإخفاء تصبح أنت وزيراً للألوان
وانني لأقترح عليك الآن
في حضرة الموت الصادق الوقور
ان نقيم على باب وزارتك
تمثالاً ضخماً
لتكريم غبار الطلع .

(كيف تميز بين إف ـ ١٥ وشقيقتها إف ـ ١٦ ؟)

أيها المجنون يا نبي العقلاء

تريَّت بين الصُّدف
الشرفات المضروبة آيلة للسقوط
كل الطرق غير سالكة
وانني لأستثني مسرب الفرح الخطير
بين دمعتي وبين البرعم الأحمر
على فوهة قلبك .
لا أسعى لإحراجك
لا أرمي إلى إهانة رجائك الأخير
حين أستذكر (الآن في هذه الزاوية الخانقة)
معادلة النفط = « تاباك آفتر شيف ».
كنت طيِّب القلب
لم تصدقني
لم تصدق هواجسك الهائمة على وجهها
مثل سمكة قرش شرهة
في مياه الحزن العميقة .
يا فتى النعناع والحبق
أيها الغامض الأشد وضوحاً من أصابعي

هل بللت شفتيك المشققتين بالغضب ؟
هل تركت لأمنا المنتظرة
صورتك ذات الإبتسامة الفجائية ؟
يا حبي يا أخي
العواصم مشغولة
بميلاد ولي العهد
بمباريات كرة القدم
بالصحف اليومية
الماضية فوراً
من المطبعة إلى أكشاك الساندوتشات
إلى باعة المقشرات الطازجة
عند باب السيرك .
يا علّتي يا بلسمي الوحيد
انني مريض من أجلك
مريض من أجل حذائك العسكري
مريض من أجل كوفيتك
وانني لأتوب عن الشجن

أغتسل من الرزانة

أتصبب خجلاً وتفاؤلاً

أمام عروق يديك الفتيتين

متمنياً لو كان لي شرف موتك الطقسي

موتك الشهم

الذي يمد يديه القويتين

لينتشل الحياة

من مستنقع الخيبات الشاملة ..

قاعة الديسكو جاهزة يا حبيبي

فماذا أعددت للمؤتمر الصحفي ؟

أية تسلية تدلي بها للرأي العام

في ذكرى انطلاقتك المرعبة نحو البدء ؟

كيف آخيت بين جنازتك المهيبة

وبين حفل زفاف القرابين

أيها الممهَّد للأسف

بمناسبة وبدون مناسبة

ها أنت تتولى أمر الأشواق

بما يليق بالطيور المهاجرة
ها أنت تنطلق على صهوة جوادك الأبيض
راضياً مرضياً
في حقول عباد الشمس
فماذا ظل من التوقعات
للجماهير المحتشدة إزاء معجزتك ؟
بوركت الصواعق القادمة بالنور
لنجدة براعم العتمة
ولك المجد
أيها الواقف بين الأرض والسماء
سارية للصبوات
نصباً تذكارياً للوجد الآدمي

أيها السيد المحترم
شيء ما يستدعي الحاسة السادسة
حتى يراعى ضبط المقادير
ثم تُفتح الفُرجة المواتية

فيتدفق بلا نهاية
نور الحواس الخمس ..
أيها الصعلوك الوحيد
لكم خيَّبَت الحاسبات الالكترونية
لكم استعصى قياس حشرجاتك المباغتة
في مناسبات الشعوب المعدة سلفاً
لكم فاجأت العالم
بدورتك الدموية ..
إذن هذا هو الوضع.
عرب بلا مراوح
يهود بلا يهود
عرب بلا عرب
وثمة رواد المقهى
على حافة كوكب مفقود
يرشقون ناسوتهم
في حُمى أنغام غير مسموعة
ثمة أشجار عملاقة من البلاستيك السام

دُمى تفتح عيونها وتغمضها
وفق التقاليد المرعية
عارضات أزياء عاطلات عن العمل
فوضويون سذج
تنابلة مخادعون
قوّادون قتلة
« مافيا » تختار الرئيس المناسب
وفق معطيات البورصة وسوق المخدرات الدولية
هكذا ،
لا بد من السطو المسلح
ليلاً وبلا رحمة
لابتزاز سر الأعاصير
قسراً وبلا سقوط في محنة التردد
هكذا ،
بالضربة القاضية
بالوردة والتفاحة والحجر
الثالوث المقدس

الإله الذي لا يغادر ضحاياه
دون صلاة صغيرة ...
إنما الظروف
لقمة خبز الأولاد
الإجازات المؤجلة
الواجبات الاجتماعية
كل ذلكِ
ورائحة الصحف المغثية
الكتب التي لم تقرأ بعد
مذكرات الجنرالات والساسة المتقاعدين
الرسائل القلقة في صناديق البريد
المواعيد غير المؤكدة
كل ذلك
والترقب الممسك بالخناق
أفعى افريقية لا تستطيع إفلات صيدها
كل ذلك
ويأس السمكة الصغيرة

في فوضى الدوامة الهائلة
كل ذلك
والشراك التي لا تحصى
كيف تفلت ؟
ها. ماذا تظن نفسك ؟ .

هي ذي قادمة
انظر كيف اصطفتنا
انها تهوي باتجاهنا من سماء الله الواسعة
من قمة عيد المساخر الدولي
ويا لها من تحفة تكنولوجية
مثل باقة ورد رمادية
تقذفها ملائكة الرب الحقود
على أضرحة أطفالنا الموعودين
انظر
صوب جيداً
لا شيء لديّ اصوّبه

غير بروق الغضب المتفجرة في حدقتيّ
لعلها تفك الحصار المضروب على الحلم
لعلها تخلخل سدّ الأغنيات
هات يدك الحرة
اصغ معي ..
اصغ
أية معزوفة سماوية هي هذه ؟
هات يدك الحرة إلى الأبد
نحن الانفجار ..
طوبى للزيتونة المنتظرة
مغمضة عينيها الدامعتين
على معراج جسدينا في فضاء العالم
مثل ملاكين مسكينين

لحظات ونغادر العالم
لحظات ونعود إلى العالم
إلى دهر الداهرين

آمين

فلنصدع بالحقيقة

« أيها الأبرص

لا شفاء لك عندي

أتمنى لك الشفاء

أيها المقعد

لن أقول لك قم وامشِ

أهديك عكازاً

أيها الميِّت

تعازينا الحارة

إلى الاخوة والأعداء

في البلاد وفي الخارج

آميـــن .. »

(١٩٨٢/٧/١٥)

الحصار

مصائد الأسود
الأحابيل والفخاخ
الحب الذي يمحو إمكانيات التراجع .
وقد يكون أشد إيلاماً
ذلك القمقم الأسطوري
بجدرانه الزجاجية الشفافة
حيث تزيد الرؤية من مرارة الحرمان .

ومرة أخرى
الحب الذي يمحو إمكانيات التراجع .
علماً بذلك
آن للأناشيد آن تستعيد توازنها
مأخوذة بالتفاعلات
مسكونة بحمى الولادة .
ولنفرض جدلاً أن النصف الأدنى من الكأس
هو النصف الفارغ حقاً
هل يغير ذلك من مرارة الحقيقة :
نصف الكأس فارغ تماماً !
وعلماً بذلك
فانك ما زلت شديدة التفاؤل
أيتها السيدة التقية ،
وانني لأنحني إجلالاً
لأصص الحبق والورد
على شرفتك المقصوفة حديثاً
أنحني إجلالاً

للحسرة الجارحة
في تَعْديدك المشمس
على عتبة الموت
أنحني إجلالاً
لتنويمة الأطفال
التي ما فتئت ترددينها
على مسمع القبور الصغيرة
لأطفالك المقتولين حديثاً

انحني إجلالاً
لغضون وجهك الصخري
لأصابع يديك الطويلة الباردة
المستلقية مثل سلاسل الجبال
على مرجل بركانك الآدمي .
لو أتيح لهم إعدامي
فسيكون رجائي الأخير
ان أطرح جبهتي المثقلة بالشوك

على ركبتك النبيلة
على ركبتك المدنسة حتى القداسة
بشهوات الصبا المنصرم
بين أشجار البرتقال
في ظلال الزيتون الداكنة
وتحت سقوف الطين المعشبة القاتمة
أيتها الآلهة المعتزلة
كيف ابثك لواعجي
في هذا الصخب المشبع بالرياء ؟
كيف أبلغ عطرك الشافي
في هذه العاصفة الدموية ؟
كيف اقترب
وقد تكدس من حولي
كل هذا الفولاذ
كل هذه الأحقاد الشائكة ؟
ولنفترض جدلاً
ان سنبلة جريئة

تمد رأسها الفدائي
عبر الأنقاض المتكاثرة كالجرذان
هل يمحو ذلك ثقل الحقيقة
ولزوجة الدم
في صحراء بلا سنابل
سنابل بلا حنطة
صحراء بلا طلح
حيث السراب يعلن عصيانه

وانني لأنحني إجلالاً
في حضرة شفتيك المشققتين
أيتها السيدة الرؤوم
يا من يتقدم أبناؤك طوعاً
واحداً تلو الآخر
قرابين للحياة
على مذبح الموت .
احتفظ لنفسي بغضب الروح

بحق الغثيان
على أرصفة العذاب
المشبع بالكحول القاتلة
وأدرك انني ميت لا محالة
مختنقاً بقيئي الشخصي
على مزبلة الأيام العابرة ..
فيعلمون كم أحبهم
حباً يمحو قدرة الحصار
على إشاعة الفوضى في قلوب العشاق .
الخرائط أوهام
الملوك والرؤساء والبورصة
مضيعة للوقت
في هذا النهار المكتظ بدخان الحرائق
حتى ان الصيحة نفسها
لا تجد منفذاً
وإنك لتحتاجين إلى منشار هائل
حتى تمنحي عينيك العشوائين

بصيصاً بلرؤية .
وكم أنت على حق
حين تعلنين
ان الرؤية مستشفى للأمراض العصبية
تمرينات رياضية للتخفف من السمنة
أسلوب علمي للإقلاع عن التدخين
والأفكار الضارة .

في هذا الزمن
يؤمن السحرة بأخاديعهم
بينما يبربر الكهنة سراً :
« اف ! متى تنتهي هذه اللعبة السخيفة ؟ »
وبصراحة تامة :
لست مطالبة بالبت في مسألة الايمان والإلحاد
ينبغي عليك ألّا تقبلي بطرح السؤال في هذا الاتجاه
ففي يوم الدينونة هذا
لا يعوز الجماهير

غير ملائكة شعبيين
يستخفون بالمسيو بيير كاردان
ويكتفون بالبلو جينز والكوفية الصاخبة
في حفلات الكوكتيل الإلهية .

بعد ذلك
يضمنون الهبوط السليم
على خضرة السهول المنهوبة
يخفت الهدير المشمس
يرتفع ثغاء الحملان
حتى إن حفيف أجنحة الفراش
يعلن وجوده الحي المهذّب
على إيقاع طنين النحلة المرحة ..

بعد ذلك
يصفق المسافرون جذلاً
وأفسح المجال لقلبي

هذا الطفل العفريت
الراقص مثل نافورة
في هالة من صمت الكبرياء .
ولا ألوم نفسي أبداً
ذلك أن أنهار الزمن
صقلت حجارة وادي الروح
عبر سنوات العمر المفعمة بالأهوال

وآنذاك
نهتف مثل جوقة جيدة التنظيم :
ها نحن هنا !
أخيراً .. ها نحن هنا !

وآنذاك أخاطبك
أوجّه الكلام إلى قلبك
إلى يديك العاديتين
لا يعنيني من أمور الدنيا

سوى أن تفهمي هواجس روحي .
وماذا بشأن الروح ؟
هل ثمة روح في الخشب المحترق ؟
هل ثمة روح في الضباب الأهبَل
ذلك الذي تخلِّفُهُ وراءَها العاصفة ؟
أضع راحتي على قلبي المتعب
أسمع نبضات الشعوب
استجمع الرمق الأخير في ناظري
فتنكشف قوارير لا تحصى
عناصر شتى
ومخدوعون لا حصر لهم
يزعمون القدرة الكاملة
على الإحتياط للتفاعلات كلها .
طالما أرجأت المواعيد
طالما اختلقت الأعذار للهولة المفترسة
أيتها الأم التقية
فلتغفر لك الأبواب المخلعة في الريح

ولتغفر لك الشرايين المفصودة بلا رحمة
ولتغفر لك كلماتك الطيبة
أيتها البلهاء ،
يا من يعلق الغزاة على أضلاعك
بنادقهم وخوذاتهم
ويقيلون الى ظلك الرحيم
فتمسِّدين شعرهم المطيب بالبارود
وتذرفين الدموع الحارة
على أيديهم الملطْخة بدم أبنائك .
كما تشائين
أحمل لك رأسي
على طبق من تاريخ السنابل
أروي لأحفادك
حكاية الوردة تحت التعذيب
وقصة الأطفال تحت السلاح .
كما تشائين
تهبين مغتصبيك ملجأ سياسياً

في ضريح زوْجك المحترم .
ستهدأ الأعاصير ذات يوم
والأطفال الذين لا يفهمون الآن
مغازي القصف الجويّ
ستنمو معهم أطرافهم الخشبية
وسينشدون أغاني الوطن
بصوت جهوري .
يتزوجون
ينجبون أطفالاً بلا أطراف خشبية
يحضرون المباريات الرياضية للمشوهين
يوزعون الشهادات والحلوى
على الأولاد الشاطرين وعابري السبيل
ويذرفون دموعهم بصمت
في ركن الشيخوخة البارد
آنذاك
يدركون جيداً
مغازي القصف الجويّ ..

في هذه الأثناء
أبذر حسراتي
في الأرض البور
وأقطع المسافات المستحيلة
لألقي برأسي المقطوع
على ركبتك النبوية
أيتها الأم
أيتها العذراء لشدّة أحزانها!
على شاشة التلفزيون
٢٠ بوصة فقط
من أرض الله الواسعة
تنتثر أشلائي
يشخب الدم على وجه المذيع الأنيق.
هل تنفع الأكاذيب
ضماداً لكلّ هذه الجراح؟
أيتها اللائبة بين الأنقاض
بحثا عن حَبل سرّة

ها هم أبناؤك
ينتشرون في الصحاري
واحات من الأمل
للقوافل الضالة .
بوركت سحابة الفصول
المقلعة على كل الآفاق
رجاء خالصاً للظامئين
بورك أبناؤك
بوركت الأيدي المطوّحة في الفضاء
على تمتمات الغضب المكتوم :
« إننا نبذل قصارى جهدنا !»
سيدة ميسورة الحال
جُرِّدتْ من أملاكها
أسيرة حرب
أطلقوا النار على آخر أبنائها
حديقة
اقتلعوا أزهارها

زيتونة اغتصبوا مستقبلها
وألقوا بثمارها
إلى قرود السيرك ..
هكذا ببساطة
فليتغلغل السمّ السوقطري
عميقاً عميقاً
في خلايا الأكاذيب الطازجة
ولتعلن عصيانها اللغات
إزاء التهريج الدموي
لخداع الزهور الميتة
فوق القبور الجماعية !
لنصمد قليلاً في مواجهة التفاعلات
ما لم نمسك الثور من قرنيه الذريتين
فستندلع أمعاؤنا
خطوطاً للتلفون العسكري
حبالا يمشي عليها السحرة
في ساحات الطفولة

وسياطاً تلسع ظهورنا .
لن يرضيك ذلك فاقتصدي أيتها الأم الطيبة
واحترزي للمفاجأة
الأسود يتربص بالأخضر
الأحمر يلتزم جانب الحذر
يتعارك الأزرق مع ذاته
ويظل ما فوق البنفسجي
وحيداً في قارورة الاختبار
أما الليلك
فمسألة قائمة بذاتها .
بريئاً من التعاريف
أغتسل بدمائي الساخنة
أخترق جدران الصوت والحرائق
أكتسح سدود الأكاذيب والانفجارات
وأقبل عليك
أيتها النبية المعتزلة
أقبل عليك

مفعماً بالرجاء الأخير
قبل انبعاثي: أن أطرح جبهتي المثقلة بالشوك
على ركبتك المدنسة الطاهرة
مُفضياً بأسرار لوعتي
لقلبك النابض أبداً

بعد القيامة

صحراء

لا نهائية، بقدر ما تشتهين

وليكن هذا التوهُّج المدهش

شمسك الجديدة

إنما الأزل

يظل أزلك

وجموح الشوق ،

هذا المنطلق بلا ضوابط
يظل اسمه الأبد!

لم ينته كل شيء
تحدَّثوا عن القيامة
عن بدايات كبرى
وبمحض إرادتهم
أشعلوا النار في أطرافهم
حين أوشكت على الخمود
أجَّجوها بالحسرة
منكفئين على وجوههم
لائذين من برودة اليأس
بشهوة جامحة للاحتراق
فاصعدي، نأمة أخيرة
واذهبي أدراج الرياح
من اقصى الوجود
إلى أقصى العدم

حيث تنتظر على أحرّ من الجمر
رغبةٌ لا تُردّ
في اكتساح المغاليق
بدوّاماتها الغامضة المستدرجة
هناك فيها بعد القيامة
الشيء الذي طالما تحدَّثوا عنه .
يرتعش كثيبٌ حار
تتحرك رماله الحياديّة
هي ذي تتشكل وتتضح تقاطيع الجسد
تتماسك التداعيات الهلاميّة
ببطء ، إنما بإصرار .

لحظات ،
ينبلج من خفقان الصحراء
جسدٌ يكون اسمه المرأة
مرحىً
مرحىً أيتها البدوية السمراء

يا مفتوحة العينين
وما من كلام .

أتطلع حولي مصعوقاً
أبحث عن جسدي
ولا أجده .

أيتها الأشياء الغامضة
أعينيني على امتدادك الباهر
على هذا الهدوء الموبِّخ
مثل إله ساخط
يرقب العصاة
غير آسفٍ لمصيرهم الرهيب .
أتحسس أطرافي
ولا أعثر عليها .
أستجير بحاسة البصر
ولا شيء

غير الشحوب المحايد .

فجأة ،
تشعّ حرارة منعشة
في الرمال المكتظة على روحي
فجأة ،
أكتشف يديّ وساقيّ
هي ذي أطرافي
تتكامل في أكداس الرمل
فجأة ،
يُبصر بي جسدي
أنذا أخلقُ صورتي على صورتي
أنذا الإنسان الأول
على كوكب ثانٍ
يكون اسمه « دير ياسين » .

إذن يجوز القول بثقة تامة

إن الخليقة تعيد النظر في ذاتها .

في البدء

تكون إعادة النظر

يرى المرء أن ذلك أحسن

ويعيد النظر

في القوانين

وقوانين القوانين

يحمل الظواهر على محمل الجد

تحسُّباً لما يُخَبِّئه المستقبل من مفاجآت

في دوّامة المجرّة الساحرة

ذات الأجرام الأرضيَّة

المندفعة من أرحام البراكين

ليتلقفها علماء الفضاء

مباركينها بأجمل الأسماء :

ليديتسي

كفر قاسم

صبرا

شاتيلا

قيس وليلى

ماي لاي ..

ولا يسع المرء

إلا أن يكابد الدهشة

إزاء الاختلال الرهيب

في الأعراف والمعايير

سقوط المعادلات دفعة واحدة

ناهيك عن ورقة التوت

التين

البانكنوت

تباليغ الشرطة

ضريبة الدخل

تذاكر السفر

الأنباء التي وردتنا في هذه اللحظة

بيانات الإنقلابات

الإقامات الإجبارية

ثم شهادات الميلاد
والزواج
والشهادات المدرسية
ثم ، المواثيق الدولية
وفق الخانات الصحيحة :
العالم الثالث
السوق الأوروبية المشتركة
الإنحياز وعدم الإنحياز
السلاح النووي
نزع السلاح
المياه الإقليمية
البورصة
شهادات الموت ..
أيتها البدوية
يا التي لم تنطق بعد
هلمّي إليّ
نمنح الأشياء الجديدة

أسماءها الجديدة
لتمنحنا بدورها
اسمينا القديمين ..
وكل شيء يسمِّيك حواءَ الكارثة
وكل شيء يدعوني آدمَ الإنبعاث .
ألم يكن ثمة مناص من تلك الكأس ؟
هل كانت التجربة مرضاً طفولياً ؟
لا تسأليني النسيان
المستقبل نضجُ الماضي
والسنبلة مرهونةٌ بحفنة التراب
حفنة التراب وديعة الريح
الريح توأم الموجه
وما أنتِ بدوني ؟

باسمي تقومين من بين الأموات
باسمك
أجعل الموت معقولاً

تحية صباحٍ أليفة
إنحناءةً على سياج الجيران
من أجل وردة صغيرة
للياقة المشبعة بعرق الكدح .

أيتها البدوية العذراء
يا مفتوحة الفم
وما من كلام
ها أنتِ تحملين عتاد الدهور
على كاهلك الغضّ
وعبر جدار القيامة الشفاف
تبصرين كل شيء
الأعاصير
الأيدي الملطخة بالدم
الأطفال المتشبثة لثاتهم
بنهود أمهاتهم المقطوعة
كل شيء

الأشجار الملويّة في الوحل
العمارات الشاهقة السوداء
النوافذ المخلّعة
الهياكل العظميّة المتفحِّمة على مقاعدها
وقد وضعت ساقاً على ساق
وأشعلت سجائرها
قبالة جهاز التليفزيون
الذي يواصل تحت الأنقاض
عملية البث المباشر
من الجلسة الطارئة
في هيئة الأمم المتحدة
مؤتمر القمة
القيادة العامة
الهيئة العليا
وهلمجرا ..

تُبصرين

عبر جدار القيامة الشفاف كواتم الصوت
على فوهات المسدسات السريَّة
ألكلبشات المطليَّة بالنيكل
هراوات الشرطة
الدبابات
قنابل الغاز المسيل للدموع
المظاهرات
إطارات السيارات المشتعلة
والرصاص الذي يُطلق في الفضاء
يعتذر للملائكة
ويختار طريقه المستقيم
إلى صدور طالبات المدارس ..

آنذاك
تُهرع الهيئات الدولية
لمحاصرة التداعيات وردود الفعل
أما عصابة السخط المزمن

فتمارس حريتها المطلقة
في أكبر عملية سطو مسلَّح
عبر التاريخ !

الحاضر أكذوبة بريئة
وحتى نرى المستقبل
فلا بدّ من التعامل المنطقي
مع الماضي
الماضي الماثل أمامنا دائماً
عملاقاً أخطبوطياً
حرزاً معلّقاً فوق القلب
وندبة على الشفة السفلى .
أيتها الصحراء
أيتها البكارة
ها نحن هنا
وحيدين غريرين
مكلفين رسمياً

من جهة القلب والعقل
بإعادة بناء العالم
بإعداده من جديد
للقيامة القادمة ..

في مجاهل ما قبل الرمل
قامت على التخوم
مملكة تُدعى آر. بي. جي.
كان شعبها من الأطفال
وكانت مليكتُهم
سنونوّةً تطير دوماً نحو الربيع
أما الملك
فكان حجراً .
مات الحجر
فصار وردةً
ماتت الوردة
فصارت تفاحةً .

من رماد الموتى
انطلقت عنقاء جديدة
تطير دوماً نحو اسمها .
والأطفال يتصايحون
تحت جنازير الدبابات التوراتية :
« ها نحن
نخترق النهاية
ها نحن نبدأ
نهذِّب الحجر
نكتشف النار
ونقتصد بالبذار
إنما نُسرف في الحُب ! »
حذار يا صحراء الجسد
حذار يا بدويَّة الروح
ندجِّن الريح
نروِّض الينابيع
أما النسور والببغاوات والفهود

فعلى رِسلها ،
وللعصافير أن تبني أعشاشها
كيف شاءَت
في تجاويف الجماجم المتناثرة
على مدّ النظر ..
جذعاً إلى جذع
حجراً إلى حجر
وتكون العلامة .
من هنا نبدأ
تساورنا الشكوك أحياناً .
يفتقد أحدنا الآخر
ولا نخشى النظر خلفنا .

بونٌ شاسعٌ بيننا
هل نُحمِّل أنفسنا تبعة ما جرى ؟
أيتها الحبيبة
حَسْبنا تبعةُ ما سيجري

أيتها الحبيبة الغالية
يا من يتسلل الضوء عبر شَعرك
متلألئاً على قطرات الندى
مُتمِّماً اللوحة الأولى
على وجه البسيطة !

خذي ما طالته يدي
وليكن اسمه الثمرة
ولينعم روحك
ومن بعد أناديكِ
إليَّ !
وليكن اسمك الأنثى
إليَّ
نخبُّ نحو ما ينبغي أن يكون
معاً
باتجاه الومضة الأولى
على مفترق الطرق

بين العتمة والنور
بين تلويث الفضاء والرمال الطاهرة
في ملتقى البصيرة بالبصر
إليَّ
أيتها المتكاملة بلا شطط
إليَّ
نحفظ التوازن
في دوّامة الحركة والسكون
والرائح والغادي
الممكن والمستحيل ..
يتضرع القلب
لنهارٍ اغتسل لتوّه بالمطر
مقدماً على مغامرات صغيرة
لا تُقدِّم ولا تُؤخِّر في موازين العالم
وينتظر بلا هوادة
ينتظر سبعة أعوامٍ متتالية
على الرصيف

قبالة الدكان المغلق
المعلقة على واجهته لافتة باهتة :
« أعود بعد قليل » ..

حكومات تسقط
« أعود بعد قليل » ..
تثار فضائح
« أعود بعد قليل » ..
تنشب حروب
يتم التوقيع على اتفاقيات لا حصر لها
وهو ينتظر
قبالة الدكان المغلق
الذي « سيعود بعد قليل »
صاحبه الميِّت بالسكتة القلبية
منذ سبعة أعوام
في غرفته المجهولة على السطوح ..
ليتقدَّس اسمك أيها الموت

لتكن مشيئتك
أيها الفرح
ليأت ملكوتك
أيتها القيامة ..

وبعد ،
نلفُّ الميت بفراشه
نعدّ له جنازة مناسبة
ثم ننكص على اعقابنا
إلى المنازل المهجورة في السهوب
حيث ترنُّ أجراسَ القطعان
ويغني الرعاة العصريون
ما علق بالذاكرة
من أغاني الحب السالفة !

وبعد ،
يولد أطفال آخرون
يسألون آباءَهم بقسوة :

لماذا ؟

متى وكيف ؟

لن يكون آنذاك من يجيب

غير المياه الجوفية :

أنا الحزن

أعلن براءتي

أنا الشهوة

أبسط نفوذي

أنا الحب

أنشر قلوعي على اليابسة

وأنثر بذاري في أثلام البحر

أنا الكراهية

ناركم .. ناركم المقدسة !

لن يظل شيء على حاله

ثمة تفاعلات بعيدة المدى

تفرض نفسها

وتقيم سُننها الجديدة
على .الرمال الطاهرة
الآخذة بالتلوث
بزيوت المصانع
بالحرائق
بقيء المحزونين والمرضى
والضجيج البشري ..

بعد استنطاق الظواهر الطبيعية
والنار
والأنصاب
والآلهة المعجونة من التمر
بعد استنزاف الشجيرات المحترقة
بعد الخد الأيسر والخد الأيمن
بعد أسنان المشط
والتقوى
بعد عمال العالم المدعوين إلى الاتحاد

لا بد من الجزاء خيراً
ذلك أن الأطفال
موشكون على الذهاب إلى مدارسهم
فلتهدأ العاصفة قليلاً
وليفسح الظلام جانباً من الطريق
لأجلهم
لأجلهم فقط
لأجل الأطفال
الذاهبين إلى مدارسهم
بعد القيامة !

(١٩٨٢/١٠/٢٩)

تغريبة

الى محمود درويش

لبيروت وجهان
وجهٌ لحيفا
ونحن صديقان
سجناً ومنفى
قطعنا بلاداً وراء بلاد
وها نحنُ ، في تعتعاتِ الدوار
نعودُ
وزادُ المعاد

عناقٌ سريعٌ بباب مطار .
أكانَ اللقاءُ اعتذارا ؟
أكانَ الوداعُ فرارا ؟
بدون كلام نمدّ اليدينْ
ويا ليلُ يا عينُ
لا الليل ليلٌ
ولا العينُ عينْ
يفرِّقنا العالمُ اليعربيُّ
ويجمعُنا العالم الأجنبيُّ
ونبقى أجانبَ في العالَمين !
ويبقى الرحيلْ
مع الريح ، من منزلٍ في الجليلْ
إلى الريحِ
في فندق غامضٍ
يعانقُ فيه القتيلُ القتيلْ ..
بدون سلام
بدون كلام

تُقبِّل في عُنُقي قلبَ أُمِّكْ
« ورُبَّ أخٍ لكَ ... »
أُلقي بهمِّي على صدرِ هَمِّكْ
ونبكي ونضحكُ
.. في غربتينْ !
أتسألني كيف حالي
وأنتِ جوابُ السؤالِ ؟
عذابي فُلهْ
وموتي قُبلَهْ
بلا شفتينْ
ذهبتُ بعيداً
وعدتُ وحيداً
يتمتمُ فيَّ عجوزٌ حقودٌ :
متى ؟ كيف ؟ أينَ ؟
متى ؟
كيف ؟
أين ؟

للندنَ وجهانِ
وجهٌ لحيفا
ونحنُ رفيقانِ
خصماً وإلفا ..
يؤرِّخنا الحبُّ والموتُ
في دفترِ الأرضِ
تغريبة للمهاجرْ
وتغريبة للوطنْ
ونفضي بأسرارنا للقباب
وننقش أحزاننا في القناطرْ
ونُطلقْ من جرحنا عندليباً
يزلزل صمت الزمنْ
ونعجنُ بالدمع
خُبزَ المجازرْ !
أتَذْكُرُ ضرعاً شهياً
رضعناهُ دون شهيَّة ؟
وزيتونةً غادَرتْنا

كسائحة أجنبيّة ؟
وعاشقةً
ما رَحَمْنا هواها ،
وظلّت وفيّة ؟
أتذكُرُ أيّامَ جُعنا
معاً
وشبعنا
معاً
ثمّ جُعنا
معاً
وعشقنا
معاً
ثمَّ ضعنا ؟
سلامٌ عليكَ
سلامٌ عَلَيَّا
على الحبِّ
يولدُ

ثمَّ يموتُ

ـ سلامٌ عليه ـ

ويُبعثُ حيّا ؟

لكلِّ المغنين

أمٌّ حزينه

وكلُّ مغنٍّ

مدينه

تنامُ

وفي قلبها نجمةٌ

وتصحو

وفي جُرحها .. غنغرينه ؟

ونحنُ ،

شروق الاغاريد كنّا

فهل سنكونُ

غروبَ الضغينه ؟ !

من « الرامة » الخائفه

الى « البروة» السالفه

إلى دمعةٍ بيننا واقفه

تقوم على الرمل دنيا

وتسقط في الوحلِ دنيا

وأعداؤنا

لعنةٌ

يُحجِمُ الموتُ

وهْي على رِسْلها زاحفه

وأنصارُنا

عملةٌ زائفه

فماذا عساني أفعلُ وحدي

وماذا ستفعل وَحدَكْ

وقد صارَ لحديَ مهدي

ومهدُكَ لَحْدك ؟

أأُنشد عنكَ

وتنشدُ عني

لصحراء قاحلة قاحله

يموت على ساعديها المغني

وتتركه خلفها القافله ؟

أتخرجُ حوريّة البحرِ
من صدَفِ القاعِ
أم أوصدَ البحر أسرارهُ
وانتهينا ،
نُتمتمُ سخطاً :
متى ؟
كيف ؟
أينَ ؟!
تساءَلت في ساعةِ القصفِ ؟
هل أدركتْهُ القذائفْ
مُكباً على نبأ في جريدة ؟
وهل أخطأتْهُ القذائفْ
ليشربَ كأساً جديدة
ويودعَ لوعته في قصيدة !
تساءَلت : كيفَ هو الآن

غضبان

جوعان

بردان

خائف ؟

وهل فاجأتْهُ القذائف ؟

وهل أمهلتْه القذائف ؟

على شاشة التليفزيون

أبصرتُ وجهك في ضوء قُنبلةٍ مُشمسة

وكانت بقربك جثّةُ طفله

وقصفةُ فُلَّه

وأفواهُ قتلى المحبة والشوقِ

مفغورةٌ ..

آخ.. أبواق خزيي وخوفي

تُجلجِلُ بالدمِّ

ما من سميع وما من مجيبْ

سوى قهقهات سكارى سدوم

وهزء عمورا وتلِّ أبيبْ

وأدنيتُ كفّي لوجهكَ
حاولتُ أن ألمسه
على شاشة التليفزيون
في ضوءِ قُنبلة مُشمسَه
وكانت بقربك جثّةُ طِفلهْ
على وَجهها وجهُ حُبِّي « محمد »
و « وضّاح » يزعقُ رعباً
على شاشة التليفزيون
يزعقُ رعباً
ويجذبُ زندَ « عُمرْ »
لعلَّ ملاذاً ببعض الحُفَرْ
ومتُّ
ومتُّ
وماتَ البَشَرْ
جميع البشرْ
وماتَ القمرْ
وراحتْ تكفِّنه الريحُ سرّاً

وتدفنُه في هشيم الشجرْ
ولم يبقَ من عالم الله والناس
إلا خبرْ
شظايا خبرْ !
وكانت بقربك جثَّه
الى جنبِ جثَّة
وفي القلبِ جثَّه
وما كان بالقرب منّي
سوى دمع عيني
« وربَّ أخٍ .. »

لپاريس وجهان
وجهٌ لحيفا
ونحنُ شقيقان
حِلماً وسُخفا
وتعرفُ قلبي
وتعرفُ حزني

ووردةَ حُبي

وخيبةَ ظني

وتبصر بيتك في وهج صوتي

وأسمع صوتك

في صمتِ بيتي .

« ورُبَّ أخٍ لكَ ... »

فكَّرتُ فيك

لأني أحبُّ بلادي

وفكَّرتَ فيّ

لأنّ البلاد

ـ دع الشِّعر ـ

ليست تُفكِّر في النازحين

وليست تُفكِّر في الرازحين

ـ دع الشعر ـ

كيف يفكِّر صخرٌ وطين ؟

ـ دع الشِّعر ـ

نحنُ حطامُ الأغاني

ومجزرةُ القمح والياسمين
وأعداءُ أطفالنا يضربون
وأصحابُنا يكذبون
ولم يبقَ في الأرضِ
غيرِ الذين
يحبُّوننا ميِّتين
وإن قدَّرَ اللهُ حُسْنَ النوايا
فقد يقبلون بنا لاجئين
ومُستَضعَفين
ومستنزَفين ..
وفكَّرتُ فيك
وفكَّرتَ فيَّ
لأن الشهيدَ
صديقٌ وفيّ !

لبيروت وجهان
وجهٌ لحيفا

ونحنُ صديقان
سجناً ومنفى

للندن وجهان
وجهٌ لحيفا
ونحنُ رفيقان
حباً وخوفا

لپاريس وجهان
وجهٌ لحيفا
ونحنُ شقيقان
قمعاً وعسفا

لتونس وجهان
وجهٌ لحيفا
ونحن غريبان
نحنُ غريبان

نحنُ غريبان
ما من زمانٍ
وما من مكانٍ
لماذا ؟ لماذا ؟
وأين ؟
وكيفا ؟
ووجهٌ ... لحيفا .

قطر الندى

الى إخوتي في جمهورية « سلوى » الديمقراطية الشعبية !!

تدثَّر بالكُفر ليلاً طويلاً
وأسرى إلى فجر قطر الندى
ولا نجم يهدي
ولا وهمَ يُجدي
وقبل ارتطامِ الصدى بالصدى
رمى حجراً في لهاة الصحاري
فأسكتَ جوعَ الضواري

وآلى وأَقسمْ :

« سأبلغ واحة قطر الندى

وألمسُ كعبةَ قطر الندى »

وحين تراءَت هلاماً شفيفاً

وراء السرابِ

وحُمّى العذابِ

تعرَّى من الكُفر فجراً

وصلَّى وسلَّمْ

على سُنَّة الحبِّ والموتِ صلَّى وسلَّمْ

لقطر الندى

وقطرُ الندى نجمةٌ لسطوح المخيَّمْ

وشبّاكها وردةٌ للمدى

وقطر الندى لوعةُ الياسمين

ونُضجُ السنابل قطر الندى

وحين تُغنِّي يُغنِّي الحنين

ويهفو العطاش إلى ماءِ زمزمْ ..

لها المجدُ
والرغدُ
ينطفُ من شفتيها السلامُ
ويهمي الكلامُ
رحيقاً وبلسمْ
ويهجعُ بين السكاكين جُرح المخيَّمْ ..

وقطر الندى نخلةٌ للقفارِ
ونبعٌ لغزلانها الظامئه
وأنثى هزارٍ، بدون هزارِ
وقطر الندى مُهجةٌ دافئه
وشهوةُ شبَّابةٍ في هدوءِ البراري
وقطرُ
الندى
لاجئه ..

تكوَّر رُمّانُها في كروم الرحيل
وعسَّلَ في غربة الأهلِ عنقودُها
واستغاثَ البدنْ :

« أما من حبيبٍ
أما من وطنْ ؟ »

وحنَّتْ
وغنَّتْ
لشُبَّاكها :

« يا حِنّا يا حِنّا يا حِنّا
يا قطر الندى
يا شبَّاك حبيبي يا عيني
جلَّاب الهوى .. »

وشبَّاكُها صرخةٌ في فضاءِ الأبدْ
تُرجِّعُها
نسمةٌ من سماءِ البلدْ
وفي ظلِّ شباكها تعبر الكائنات
يمرُّ البشر

ويلقي التحيّة ضوءُ القمر
يمرُّ غزال الفلاة
وأفعى الطفولة والذكريات
ترفُّ طيورٌ
وتمضي قبورٌ
يُصافحُ فيها الرفات الرفاتْ
ويلثغُ طفلٌ وليد
ويبكي ويضحكُ يومٌ جديد
ومن تحت شباكها
تهبُّ رياح
يحفُّ شجر
وباسم بذار الجراح
يزخُّ المطر
وفي ظلّ شباكها
ومن بين أشواكها
تمرُّ الحياة
خُطا أزلٍ في الأبد

وتحلمُ قطر الندى

« هل يراني أحد ؟ »

وَما من أحد

وما من أحد ..

وأسكتُ ، من قبل أن يدرك الميتين الصباح

لأن دمي مستباح

دمي شهرزادي

ودمعُ بلادي

وقطر الندى .. دمعُ شباكها ..

تنوسُ شراره

على مخمل الأفق

يخفي الصدى وجههُ خجلًا

تقشعرُّ الحجاره

وصمتٌ من الزنكِ والرعبِ

طيفٌ يُطلّ على حزن قطر الندى

ملاكَ ؟ سنونوّةَ ؟ طائره ؟
تَجَسَّدها الموتُ باللغة الجائره ؟

أطلّي
أيجلبُ شباكك الحبَّ ملءَ المدى
وتبقين صامتةً حائره ؟
أطلّي
وصلّي
لأمردَ ، يندفُ من لحمه حَبَقُ الذاكره
ويهواكِ ، يهواكِ قطر الندى
ويُشهر رشّاشه رايةً
ليصدَّ الردى
ويكيد العدى
ويهواكِ . يهواكِ قطر الندى ..

دَمٌ في دروبِ المخيَّمْ
وصرخةُ أُمٍّ

تلوبُ على لحمِ أبنائها
تحتَ أنقاضِ بيتٍ تهدَّمْ
وتبحثُ عن بعضِ أسمائها
بين أنقاضِ قلبٍ تحطَّمْ
وصيحةُ أمردَ
يندفُّ من لحمهِ حبقُ الذاكره
يصوِّبُ حزنَ الطفوله
وشوق طيور الهجيرِ لأرضٍ ظليله
ألا تُبصرين ،
فتى الشمسِ والغيمةِ الماطره
يكادُ يطيرُ
ليسبقَ نيران رشاشهِ
إلى شبحِ الطائره ؟
ويهواكِ ، يهواكِ قطر الندى ..

أطلَّتْ
وصلَّتْ

« يا خوفي ، عدوّك
بيدوّر عليك
لأحطّك بشعري يا روحي
وأتضفّر عليك »

أجل ، هكذا ، امتلئي بالربيع ، امنحي عطر زهركْ
أجل ، هكذا ، باركيه ،
ضعيهِ بشَعْركْ
أجل ، هكذا ،
ولكنّهم يُقبلون
عدوّاً وراءَ عدوٍّ وراءَ عدوٍّ
بلا موعدٍ يُقبلون
وفي موعدٍ يُقبلون
مخالبُهُم نحو صدركْ
وأنيابُهُم نحو ظهركْ
يجيئون ،
من موتِ زيتونةٍ في الجليلْ

إلى طَلَلٍ من طَلَلْ
يجيئون ،
من موتِ أرز الجبلْ
وموتِ الجيادِ
وموتِ السيوفِ
وموتِ النخيلْ
عدواً وراءَ عدوٍّ وراءَ عدوٍّ
لإخماد نوّار حُبّكْ
لإعدام أمرد ،
كفّاهُ تاريخُ شعبكْ
وعيناه تاريخُ قلبكْ
يقاومُ أسطورةً من كتابِ الظلامِ
وزوبعةً من ظلامِ الردى
ويندفُ من لحمه حبقُ الذاكره
وشمسٌ من القدسِ في خَدِّهِ
وجسمُ فلسطين
روحُ فلسطين

وشمٌ على زندِهِ
(وتهواهُ تهواهُ قطر الندى !)

يجيئون ليلاً
نهاراً يجيئونَ
مشحوذة في الأكف المُدى
لقطعِ ضفيرةِ قطر الندى
لقتلِ حبيب تُخبّئُهُ في الضفيره
لقتل سنونوةٍ ،
تتشكّلُ من شبحِ الطائراتِ المغيره ..

وحنّتْ
وغنّتْ

« يا خوفي عدوّك
بيدوِّر عليك
لأحطّك بعيني يا عيني
وأتكحّل عليك »

ضعيهِ بعينكْ

أجل هكذا ،

أَخرجي الموتَ عن طَورِهِ ،

اختزني الحبَّ والوردَ خلف المتاريسِ

في حربِ حُزنكْ

ولا تذكُري غير أمواتِ أهلكْ

ولا تُبصري غير أحياءِ أهلكْ

وشدّي بزغرودةٍ أزرَ هذا المُريد المقاتلْ

بنار البنادقِ حيناً

وحيناً بسُخط نِصال المكاحِلْ

ولا تذرفي الدمعَ

رفقاً بكُحلكْ

لأجل الحبيب المقاوم في خندقِ الرمشِ ،

للكُحل آن

وللدمع آن

سنبكي غداً .. مثلما نشتهي

سنبكي ونبكي

ونحنُ نعانقُ أحبابنا الميتين
وأحبابنا العائدين
إلى فرح المهرجان ..

أزاحتْ أناملُها غيمة الدمعِ
عن كوكب الحبِّ والحلمِ
رفّتْ على الكُحل أهدابُها
وفي وَهْجِ أشواقها خفقتْ أجنحهْ
وفاحتْ على الروح والجسمِ
نعناعة المذبحهْ
وحنّتْ
وغنّتْ :

« يا خوفي ، عدوًّك
بيدوِّر عليك
ولأحطَّك بخصري يا روحي
وأتزنَّر عليك .. »
فراشاتُ حُلمٍ قديمْ

وزنبقةُ الدهشةِ الآسره
ترفُّ على الخاصره
وتخفقُ في الريح أوتارُ عودٍ هشيمْ
ويخفقُ بالخوف قلبٌ
لأنهُمْ قادمون
بسنجاتهم ، تشتهي الخاصره
بأحقادهم ،
تُشعل النار في جسمِ قدّيسةٍ طاهره
بلعنةِ أمواتهم قادمون
من البحر والبرّ والجوِّ
يحتفلُ الشرُّ في عيده بالجنون
ولا شيء لا شيء في الأرض غير 'لسكون
لأن غرامكِ تذكُرُهُ لغةٌ نسيتْها اللغاتْ
« ومَن عاش مات
ومَن مات فات »
وإنك ، قطر الندى ، باقيه
لأنكِ عدلُ الحياةِ

وروح الحياةْ
وإنكِ ، قطر الندى ، باقيه
بأمردَ
تسكنُهُ النارُ والماءُ والعافيه !

يُداهمُني في مرايا الحرائقِ وجهٌ
يشعُّ .. أرى فيه قطر الندى
يشعُّ .. وأبْصِر فيه فتىً أمردا
يشعُّ .. وأبصرُ وجهي
وقافلةً في السوافي
يشعُّ .. أرى وجه جدّي
وسنبلةً في رمال الفيافي
يشعُّ
وأسمعُ دقّاتِ قلبي
وأبصرُ دربي
وتُسلمني الريحُ للريحِ
أوغلُ في الوجه وحدي ..

مقابضُ ليست تُعدُّ ولا بابَ
نورٌ، ولا شمسَ
زرعٌ، ولا ماءَ
من أرجأ الموعدَ ؟
اشتقتُ واشتقتُ واشتقتُ
بايعتُ
سبَّحْتُ
جدَّفتُ
قايضتُ بالليلِ كوفيَّتي
ابتعتُ من كل سوقٍ دثاراً
لأطفاليَ الميتين على عتباتِ التساؤلِ
جابهتُ بالحُجج الدامغاتِ
أساطين فنِّ الأكاذيبِ
جُبتُ البلادَ رسولاً لعينيكِ
بشَّرتُ في العالمين بمذهبِ عشقكِ
كم سترتني المراحيضُ في فندقٍ أو مطارْ
وحيداً

أنوحُ على غربةٍ في المنافي
طريداً
أنوحُ على غربةٍ في الديارْ
وكم لوّعتني الأغاني
وكم أنهكتْني المراثي
ولا بابَ
لا شمسَ
لا ماءَ
واشتقتُ قطرَ الندى
فمن أرجأ الموعدا ؟!

تغضَّنَ روحُ المُريدِ
أطاقَ الذي لا يُطاقْ
متى يُسعفُ الكشفُ ؟
يا قمر الروح
كيف السُّرى
في المحاق ؟

أماناً
هنا افترسَ الوردُ شرنقةَ الشَّهدِ
جرَّ الجفافُ عباءَتهُ في القلوبِ
تكدَّس ثلجٌ جديدٌ
على جُثث الشهداءِ القدامى
قبورٌ جماعيّةٌ في الشوارعِ
والعارُ والجوعُ والخوفُ
هل يُسعفُ الكشفُ ؟
يا قمر الروح ، كيف السُّرى ؟
وكيف جرى ما جرى ؟!

تضجُّ الموانيءُ بالناس
في كلِّ ميناءَ لي جسدٌ ماثلٌ للسَّفَرْ
ولا تستريحُ المطاراتُ من جلبةِ الخلقِ
كلُّ مطارٍ يرى جسدي مسرعاً للسفر
وأنتِ معي في الموانيءِ
أنتِ معى في المطاراتِ

أنتِ معي في المحطّاتِ
أنتِ معي هاجسٌ دائمٌ
ماثلٌ دائماً للسفر ..
وأنتِ معي دائماً
مباركة في معابد جسمي وروحي
مقدسة بطقوسِ محببيكِ
في الإنسِ والجنِّ
هل قرعَ الموت ناقوسَه الضَّخْمَ
إلا ليبرق باسمكِ نصلٌ
ويرحلَ فصلٌ
ويُقبل فصلٌ
لك المجدُ
والرغدُ
يا دمعةَ الفرحِ المُرِّ
في عُرسِ أنثى الهزارِ التقتْ بالهزار
ولا شيءَ في العشِّ
غيرِ المحبَّةِ في أوجِها .. والدمار

ستحفظُ حبَّكِ كُلُّ اللغاتْ
سيُنشدكِ المتشدون
على العشبِ في ساحةِ البيتِ
في حفلةِ الصفِّ
ملءَ المصانعِ
ملءَ المزارعِ
ملءَ الشوارعِ
يشربُ نخبكِ عُشاق كل الشعوبِ وكلِّ الحياة ..
وأقسمُ ،
بالشهداءِ الذين انتهوا غُصَّةً في رحابكْ
ليبتدئوا وردةً عند بابكْ
سأفتحُ جُرحي على سُدُمِ الصمتِ
أقرعُ بوّابة الموتِ
أكرزُ باسمكِ قطر الندى
سأشعلُ ناري على جبل الروحِ
أرسمُ وجهكِ
أنشُرُ ظلَّكِ

ملءَ البلادِ

وملءَ الشعوبِ

وملءَ الأغاني

وأكرزُ باسمك .. قطرَ الندى !!

(الرامة ـ كانون الثاني ١٩٨٣)

قصيدة القبر الجماعي

وَلَدانِ تحتَ الشمس
أُغنيتان للنَّعناع
خيطٌ لا نهائيٌ
وطائرةُ الورقْ ...

ولدان من ورقٍ
وطائرةٌ على أفق نهائيٍّ
وسفحٌ في مغيب الشمس
رفرف واحترقْ

ولدان تحت الردم
خيط من صَدَى النعناع
خيطٌ من دمٍ
يمتدُّ بين الله والأطفال
بين الموتِ نوماً ، والأرقْ
ولدان تحت الثلج
أغنيتان في سنّ الحليب
ووردةٌ ناريّةٌ
تكتظُّ غامضةً
وتُشعلُ في ظلام الروح
ناراً للقوافلْ
يا أيّها الأحياء والأموات
هل لي بينكم مأوىً
فإنّي قادمٌ للتوِّ من أنقاض بابلْ
يا أيّها الأموات والأحياءُ
هل لي عندكم زادٌ
فإنّي عائد لخرابِ بابلْ

حَجّاً إلى القبر الجماعيّ الحبيب
هناكَ لي ولدان
تحتَ الشمس
(من ورقٍ)
وتحت الردم
(من ورقٍ)
وتحت الثلج
(من ورقٍ)
ولي ولدان في القبر الجماعيِّ الحبيب
طفلان من موتٍ ونعناعٍ
أحنُّ إليهما .. وأحنُّ .
ينتظران عودتيَ القريبةَ
بالدفاتر والزبيب
ويحنُّ لي موتٌ قريب
آمنتُ
بين اللاتِ والعزّى ،
مكانٌ شاغرٌ لله

بين الله والقتلى ،

مكانٌ شاغرٌ لي

ثمَّ يُقبل مُؤمنٌ بعدي

ليَشغَل لحظة في الصمت

يَسكُنَ بُرهةً في الموت

منذا أنت ؟

يا من يفتدي جسدي

ومنذا أنت ؟

يا من أمتطي ساقيه

من منفى الى منفى

ومن حلم إلى جرحٍ

ومن موت إلى بَعْثٍ

إلى موت الى موتٍ

إلى ولدين في القبر الجماعيِّ

(آعذُراني !

يا من أشمُّ أريجَ موتكما على بُعدٍ

وأرسُفُ بالزمانِ وبالمكانِ ..

آمنتُ ،
لكنَّ الطريقَ إلى الأحبةِ كافرٌ
والشوق في زمن القذائف كافرٌ
والورد في زمن المجاعة كافرٌ
... لا تعذلاني !)
في البدءِ كان الصمت
أُطلق صيحتي
وَيَرفُّ روحي فوقَ غَمْرٍ راكدٍ
لا بأسَ ،
هذا أحْسَنُ .
ويطوف وجهي في هلام العالَم المُختلِّ
يولدُ من ضلوعي موطنُ
لا بأس ،
هذا أحسنُ .

وتهيجُ قُطعان من الكهّان ،
حول خطيئتي - كينونتي

يتكاثر التجّارُ والمتبطِّلون ،
على رُكام مدينتي
وتطنُّ أسرابٌ من الشعراء والخطباء
حول قصيدتي
لا بأسَ
يُبعَثُ من رمادي ذات يومٍ مُؤمنُ
ونقول : هذا أحسنُ !

بيضاء ؟ لا
سوداء ؟ لا
خضراء ؟ لا
حمراء ؟ لا
دفنوكِ بالألوان
وانكفأوا بلونِ الماءِ
أعْفَى المستحيل المُمْكنُ
فتفجري
وتفجّري

وتفجّري
هُزّي ضريحَ الصَّمتِ والنسيان
وانطلقي على الناسوت واللاهوت
يا مرثيَّتي
لا .. لن يتمَّ الخَلْقُ
تلك مشيئةُ الشهداء
أَوصَوْني ،
بأن يُعطى اليتامى فُرصةً أُخرى
وأن ترثَ الأراملُ نُطفةً أُخرى
وأن يتداول الأحياءُ
في المستقبل المنشود ..
لا لا لن يتمَّ الخَلْق
تلك حكايةٌ مرفوضةٌ من أَصلها
لا لن تمرَّ خرافة الكهّان ،
هُم هُم سَمَّموا بئري وسُنبلتي
ولي ولدان
في الموتى

ولي جسدان
في الأحياء
لي نعناعةُ الذكرى
وحُلمي المُزمنُ ..
كل الدروب تمرّ في جسدي
وتنطفىء الدروبْ
كل الجيوش تحطُّ في بلدي
وفي بلدي تغيبْ
كل الزهور تفوح من ولدي
ولي ولدان
في القبر الجماعيِّ الحبيب ..
وأنا قتيل في الحياة
قتيل أُوْباش الشعوب
أَنا قتيل في الحياة
قتيل أَشلاءِ القبائلْ
وآثنان أَهلُ الأرض :
مقتولٌ وقاتلْ !

قَلْبٌ عَلى نَصْلَيْن واجفْ
بين القوارض والكواسر والجوارح والزواحفْ
جِيَفٌ تفوحُ من المعاطفْ
دُول
رجالاتُ
وظائفْ
أسرى وجلّادون
أسيادٌ . تنابلةٌ . وصائفْ
قتلى ،
وثوّارٌ بلاغيّون
يا حزنَ المنابر والمواقفْ
لم يبقَ للمصباحِ غير دمي
وللمفتاح غير يدي
وداعاً
يا أَسنّةُ
يا مصاحفْ !
أليوم أُعلن في الشعوب رسالَةَ الأحياء

أُعلن في الشعوب نبوَّةَ الشّهداء
أعلن في الشعوب خلافتي ..
منذا يبايعني ؟
ـ الضمائر والعواطفْ
منذا يبايعني ؟
ـ الجداول والسنابل
والنسائم والعواصف
منذا يبايعني ؟
ـ الأغاني والمراثي
والشرايين الرواعف
منذا يبايعني ؟
ـ دمٌ من جبهة التاريخ نازف
ولدان في القبر الجماعيّ الحبيبْ
ولدان من حَمَأ وجُلْنَارٍ
غُلامٌ للتراب
وطفلةٌ للماء
صوتي الريح

جسمي النار

هل تلد العناصرْ

أَسلافَهَا ؟

هل يُستعاد غَدُ الأوائل

مفعَمَ الوَقْتَيْن

في يوم الأواخر ؟

هل تُفتدى ليلى بصاحِبِها ؟

أَزيحوا هذه الكأس المقيتة عن فمي

لَيْلايَ عيدُ الموت والميلاد

مُصْطَفَقُ الغُموض مع الوضوحِ

هِيَ أُمُّ أَطفالي

وزهرةُ حسرتي

ونزيف روحي

مَهْدي .. وشاهدةُ الضريحِ ..

من عتمة الزيتون تطلبني ،

وآتيها ،

ثقيلَ الشوقِ والخطوات
تنشجُ : (كان لي ولدان من حُب ونَعْناعٍ !)
وآخذها كسيرَ القلب
تصرُخ كان لي ولدان
رُدَّهُما !)
أُحاول أن أُهدِّيءَ رَوْعها
بحكاية خرقاء
عن بطل إلهيٍّ
يجيء على جواد ناصعٍ
من حوله أصطفَّ الملائكُ ،
ذلكَ البطلُ الالهيُّ الخصيبْ
لا بُدَّ يولدُها
فتنساني
وبردَ العُقْم
والقبرَ الجماعيَّ الحبيب .
لكنَّها تبكي وتصرخُ :
(لا أريدُ سِواك .. رُدَّهما !)

أُلوبُ ، أُلوبُ
من عارٍ ومن وَجَعٍ أُلوبْ
وأصيح .. لكن لا سميع ولا مُجيب :
أَوْرَثتَني وطناً ؟
أَجِبني يا أبي ، أين الوطنْ ؟
لم يبقَ إلا صخرةً بيضاء
في سعَةِ الكَفَنْ
أين الوطن ؟
لمن الوطن ؟
كيفَ الوطن ؟

وأَصيحُ .. لكنْ لا سميعَ ولا مجيبْ
ليلايَ نائمةٌ على الأعشاب
لِصْقَ القبر
نائمةٌ كميتةٍ
وميِّتةٌ كنائمةٍ
أيوقظُها اندِلاعي بالتفجُّع والنَّحيب

يا ايها القبر الجماعيّ الحبيب ؟!
جَمَلٌ أنا
جَمَلٌ خُرافيٌّ
يَخبُّ على سنام الأرض
(لبرودوي حُنكَتُهُ
يَشمُّ البزنس المُجدي
يُهيئُني
لدورٍ ما يدرُّ الربحَ في هوليوود
وشانزيليزيه
يُجرِّبُ رقصة الكانكان
فوقَ سناميَ السِّحريّ ..)
هل أصبحت أحدَبَ نوتردام ؟
لمن غرامُ القدس ؟
منذا عندليب الشمس ؟
مِرْسالُ الشروقِ إلى الغروب
إلى الشروق إلى الغروب ؟
يا أيها القبر الجماعيُّ الحبيب ...

منذا ؟
ولي ولدان من موتٍ ونعناعٍ
ولي جسدان من نارٍ وبارودٍ

ولي ،
ليلى يدنِّس طُهرَها الأغراب
لو ناديت لانثال الكثيبُ على الكثيب
لـ..ي..لـ.ى..ى..
ولكن ، لا سميعَ ولا مُجيب
ليلى ،
ولي شَبَحٌ جُنونيٌ يَهيمُ على الدروب
عَمَّرتُ دهراً
عاد بي الشيْخُ العجوزُ إلى الجَنين
لم أحصِ عُمري بالسنين
أحصيت عمري بالحروب .
في حربِ ميلادي قُتِلتُ
في حرب مدرستي أسرتُ

في حرب إخصابي
أهنتُ
في حرب إنجابي طُعنتُ
في حرب مَوْتي ،
أُعلنُ الميلاد ،
أُعلن حربيَ الأخرى
على شبحٍ من النيترون والكرتون
أُعلن حربيَ الأخرى
على شيخٍ بُخاريٍّ
وفُرسانٍ من الإسفنج
أُعلن ثورةَ الأطفال والنَّعْناع

لا جدوى بنفخ الوهمِ في الأبواق
ليلى جُثَّة خضراء
في القبر الجماعيّ الحبيب
قَمَرٌ من الحنَّاء راحَتُها
وعيناها على قلبي مُشَرَّعتَان

لا . لن أُغمِضَ العينين
منذا مُبصري من دون عينيها
وهذا الشرق ، أعمى القلبِ والعينين
منذا مُبصرُ الولدين
(پيكاديللي نهارٌ قاحلٌ
لا ضوء في بْرودوي
شانزيليزيه
لا قَمَري ولا شَجري
ولا . لا . لن أموتْ
على مزالِقِ شُرفةٍ في نوتردام)
أَجَل سنامي واضحٌ
كالحُزن في الطِّفَل الكئيبْ
ما خَيروني في الحياة
وإنني يا أيها القبرُ الجماعيُّ الحبيب
أَختار لي موتي الجماعيَّ الحبيب
أَختارُ ،
ميلادي الجماعيَّ الحبيب ...

(الرامة ١٨/٤/١٩٨٣)

الفهرس

ما تيسر من سورة الموت ٩

مصارع الرجال ١١

الدم الصهيل ١٧

الفصل قبل الأخير ٢٠

توجوا الموت ليقتلوه في أعالي الظهيرة ٢٢

حيث صار الموت عادة ٣٠

الموت في الغربة ٤٣

لا مفر! ٤٦

هبني قدرة الشهداء ٤٧

خديجة تنتظر حبيبها العائد بالمهر ٥٠

الجواد الأبيض يصهل على التل ٥٢

المنارة ٥٧

طلقة واحدة ٥٨
محاولة لتركيب صور قديمة ممزقة ٦١
حوارية السنبلة وشوكة القندول ٦٦
غزة ٦٨
ريبورتاج.. عن حزيران عابر ٧٣
طانيوس شاهين ٨٨
مقابلة مع المدير ٩٢
الحب على الطريقة الاسرائيلية ٩٣
حوارية مع الوطن ٩٥
سيد الموقف ٩٦
الاثنان الواحد ٩٧
أطفال رفح ١٠٠
الزبانية والسفير الساذج ١٠٩
.. وأريد ١١٢
للذي يطلب حبيبي ١١٣
أحلام تطردها وكالة الأنباء ١١٥

وقريباً.. ١١٨
قصيدة قديمة ١٢١
ابن نايوبي الأخير ١٢٣
تذكرة سفر الى الالزاس ولواء اسكندرون ١٣١
مارش ١٣٣
إلقاء القبض ١٣٤
سكتش ١٣٥
حلم عبد الناصر ١٣٦
القلب المشطور ١٣٧
حين بكت طفلة سمراء ١٣٨
الهدوء الذي لا يسبق العاصفة ١٤٠
حتى إشعار آخر ١٤٤
القطار ١٥٨
الحج الى بريست ليتوفسك ١٥٩
اعتراف لصبية البتولى ١٦٦
جسر المحبة على نهر اللوار ١٦٨

التفاحة المسمومة وجوازا السفر ١٧٣
عود ثقاب ١٧٧
الطفل المجهول ١٧٨
اعترافات المهرب ١٨٠
كفر قاسم الى دهر الداهرين ١٩٤
في غرفة التحقيق ٢٠٠
كم جندياً يقفون على رأس الابرة؟ ٢٠٢
طقس تقليدي لنسف المنازل التقليدية ٢٠٥
وكانت قرية اسمها سيرين ٢٠٨
العودة الى جبل الله ٢١٢
رسائل ملغومة الى جميع عناوين العالم! ٢١٦
ردع ٢٢٣
العشاء الأخير ٢٢٤
مارش لقوات الطوارىء الدولية ٢٢٦
الموت قبل موعد المبارزة ٢٢٨
سأحيا كثيراً! ٢٣٠

لحظة حب ٢٣٢
كيف لا؟ ٢٣٤
اعتقال ٢٣٦
خبز ٢٣٨
كيف لا؟ ٢٣٩
سيبصر بي المبصرون ٢٤٠
ولكن! ٢٤٢
مشاريع صغيرة، لمستقبل ما.. .... ٢٤٣
لقاء غير مفاجئ مع جحا المفاجئ ٢٤٧
الحكاية ٢٤٩
طبعاً! ٢٥١
تذاكر سفر ٢٥٢
غراب السلام ٢٥٣
قتلتني زهور البلاستيك، قتلني الشعر المستعار! ٢٥٥
رمضان كريم ٢٦٠
كيف أعطي ثمار موتي ٢٦٣

تعتيم ٢٦٥

قليلا! ٢٦٨

القاتلة ٢٧٠

شهوة اليقين ٢٧٢

الى أين يا منتهى تذهبين؟ ٢٧٣

عصافير «الغابة السوداء» ٢٧٧

الكرنڤال الدموي ٢٨٢

جناز في ثلاثاء الرماد ٢٨٦

الجلسة الأخيرة ٢٩٢

الخبر الأخير عن عبد الخالق محجوب ٢٩٧

حفلة البرق والرعد في أوجها! ٣٠٣

لن تبصر الأرض إلا خلال شرايينك! ٣٠٩

الطريق الى جبل النار ٣١٣

الوصول الى جبل النار ٣١٩

القتلى يعلنون العصيان ٣٢٤

أنا محتاج لنقاء ضميرك! ٣٣٠

دبكة الموت ٣٣٤
٣٠ آذار ٣٤٤
قد نمهل لكن لن نهمل ٣٦١
الموت يثمر.! ٣٦٩
وحي الشعب ٣٧٢
شظايا ٣٧٧
الرجل الذي زار الموت ٣٧٩
صيحة إزاء بوابة عكا ٣٨٤
زغردت بنت الأكابر.. ..... ٣٨٧
شهداء الحب ٣٩١
مجنون فلسطين ٣٩٥
كانت وتبقى ٤٠٢
أم الجليل ٤٠٥
مارش للثورة في يوم النصر على النازية ٤٠٩
ودم الشهيد رسالة نبوية ٤١٣
القارات ٤١٨

المتمرد ٤٢٠
إضراب جلوس في جهنم ٤٢١
العودة الى المدار الليلي ٤٢٣
مسافر الى الأبد ٤٢٤
إعتراف لكاهن الموت ٤٢٦
لم أعد أعرف ٤٢٧
ليتك تتبددين ٤٢٨
سكران ٤٣٠
لماذا؟ ٤٣١
باسمك أنت ٤٣٤
أبجدية العمر ٤٣٦
تلاوات من آي الحب ٤٤٠
العائد الى مملكة الحبق ٤٤٥
كما نشاء ٤٥٧
في انتظار ((غودو)) ٤٥٩
إلتباس ٤٦١

لست ألومك ٤٦٢
الملك الظالم ٤٦٣
عصفورة ميتة ٤٦٥
بلا حدّ! ٤٦٧
أنت النساء ٤٦٩
لماذا؟ ٤٧١
يداك ٤٧٣
النار الدائمة ٤٧٤
المتبرجة ٤٧٥
الكشف الأول ٤٧٧
الكشف الثاني ٤٧٨
لم نتعارف بعد! ٤٨٠
ومضة ٤٨٢
فجأة ٤٨٣
لغة جديدة ٤٨٤
سر المهنة ٤٨٦

الخوف ٤٨٨
بريد بدون طوابع ٤٩٠
أحبك كما يشتهي الموت! ٤٩٢
أحبك... .... ٤٩٤
إمبارغو على الموت ٤٩٧
المتخفي ٥٠١
نخلة النص ٥٠٧
حفنة نور ٥١٦
دنيا! ٥١٧
حصرم ٥١٨
الحقيبة ٥١٩
للذين أبصروا ٥٢٠
حبيبتي ٥٢١
سيناريو الغربة (١) ٥٢٣
سبعة ٤٢٥
سيناريو الغربة (٢) ٥٢٦

موضة قديمة ٥٢٧
سيناريو الغربة (٣) ٥٢٨
الظل والاستثناء ٥٣٠
صبراً! ٥٣١
ڤامبير ٥٣٣
ماذا حدث للمتنبي حين دخل مقهى في شعب بوان؟ ٥٣٥
اصعد قليلاً.. لتبصر! ٥٣٨
من أنت؟ ٥٤٣
الهولة الثالثة ٥٤٥
مملكة للموت ٥٤٩
قرية كافرة ٥٥١
كذب السحر ٥٥٢
النار ٥٥٥
جثتان ٥٥٦
المطافيء ٥٥٧
كفارة ٥٥٨

أطلس ٥٦٠
قصيدة إستثنائية ٥٦٢
الخمسة ٥٦٥
أندلس ٥٦٧
كتاب القرمطي الأخير الى مولاه الحاكم بأمره ٥٧٦
انتقام الشنفرى ٥٨٦
الأغنية ٦١١
الملاحظة ٦١٣
الرجل الأخير ٦١٥
الحصار ٦٤٤
بعد القيامة ٦٦١
تغريبة ٦٨٤
قطر الندى ٦٩٩
قصيدة القبر الجماعي ٧٢٠

هيئة المستشارين :

أ. إبراهيم فريح (مدير التحرير)
د. جابر عصفور
أ. جمال الغيطاني
د. حسن الابراهيم
أ. حلمي التوني (المستشار الفني)
د. خلدون النقيب
د. سعد الدين إبراهيم (العضو المنتدب)
د. سمير سرحان
د. عدنان شهاب الدين
د. محمد نور فرحات (المستشار القانوني)
أ. يوسف القعيد

■ دار سعاد الصباح

للنشر والتوزيع

هي مؤسسة ثقافية عربية مسجلة بدولة الكويت وجمهورية مصر العربية وتهدف إلى نشر ما هو جدير بالنشر من روائع التراث العربي والثقافة العربية المعاصرة والتجارب الابداعية للشباب العربي من المحيط إلى الخليج وكذا ترجمة ونشر روائع الثقافات الأخرى حتى تكون في متناول أبناء الأمة فهذه الدار هي حلقة وصل بين التراث والمعاصرة وبين كبار المبدعين وشبابهم وهي نافذة للعرب على العالم ونافذة للعالم على الأمة العربية وتلتزم الدار فيما تنشره بمعايير تضعها هيئة مستقلة من كبار المفكرين العرب في مجالات الإبداع المختلفة .

مطابع
ت : ٩٣٢٧٠٦

دار سعاد الصباح

ص.ب : ٢٧٢٨٠

الصفاة ١٣١٢٣ - الكويت

القاهرة - ص.ب : ١٣ المقطم

تليفون : ٣٤٩١٧٢٧

٣٤٩٧٧٧٩

فاكس : ٥٠٦١٠٣٠